لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ
﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا
لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ
فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ
رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الْحَجِّ
ترتيبها ٢٢ — آياتها ٧٨

[١٠٢] ﴿ لا يسمعونَ حَسِيسَهَا ﴾ أي : صوتاً يحسُّ به منها ، لبعدهم عنها وعما يفزعهم ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهم خَالِدُونَ ﴾ [قال ابن جرير: وهم فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذاتها ماكثون فيها، لا يخافون زوالاً عنها، ولا انتقالاً عنها].

[١٠٣] ﴿ لا يحزُنُهُمُ الفَزَعُ الأكْبَرُ ﴾ للحشر ﴿ وتتلقَّاهُمُ الملائِكَةُ ﴾ تستقبلهم مهنئين لهم قائلين : ﴿ هذا يومُكُمُ الذي كُنْتُم تُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا ، وتُبَشَّرونَ بنيل المثوبة الحُسنى فيه .

[١٠٤] ﴿ يومَ نطْوِي السَّماءَ ﴾ والطيّ ضد النشر ﴿ كطيِّ السِّجِلِّ للكُتُبِ ﴾ كما يطوى السجل وهو الكتاب . وطي السماء كناية عن انكدار نجومها ، ومحو رسومها ، بفساد تركيبها واختلال نظامها ، فلا يبقى أمر ما فيها من الكواكب على ما نراه اليوم ، فيخرب العالم بأسره ﴿ كما بَدَأْنَا أَوَّلَ خلْقٍ نُعيدُهُ ﴾ [عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: (يحشر الناس حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً، فأول من يكسى إبراهيم) ثم قرأ الآية: أخرجه ابن جرير] ﴿ وعْداً عَلَيْنَا إنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ أي : منجزين إياه .

[١٠٥] ﴿ ولقدْ كَتَبْنا في الزَّبُورِ ﴾ وهو كتاب داود عليه السلام ، ويقال : المراد به كل كتاب منزل ﴿ مِنْ بعدِ الذِّكْرِ ﴾ أرجح الأقوال أن المقصود بالذكر: اللوح الذي كُتب فيه كل شيء قبل الخلق ، والله أعلم ﴿ أنَّ الأرضَ يَرِثُها عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ العاملون بطاعته ، المنتهون إلى أمره ونهيه .

[١٠٦] ﴿ إنَّ في هذا لَبَلاغاً ﴾ البلاغ : الكفاية ﴿ لقومٍ عَابِدِينَ ﴾ يعبدون الله ، بما شرعه وأحبه ورضيه ، ويُؤْثِرونَ طاعته على طاعة الشياطين وشهوات النفس .

[١٠٧] ﴿ وَمَا أرسلناكَ إلاَّ رَحْمَةً للعَالَمِينَ ﴾ فإن ما بُعِثْتَ به سبب لسعادة الدنيا والآخرة .

[١٠٨] ﴿ قُلْ : إنّما يُوحى إليَّ أنَّما إلهُكُمْ إلـهٌ واحدٌ ، فهل أنتم مُسْلِمُونَ ﴾ منقادون لما يُوحى من التوحيد مستسلمون له ؟ .

[١٠٩] ﴿ فإن تَوَلَّوْا ﴾ عن التوحيد ﴿ فَقُلْ : آذَنْتُكُمْ على سواءٍ ﴾ أي : أعلمتكم وهديتكم على كلمة سواء بيننا وبينكم ، نؤمن بها ونجني ثمرات سعادتها في الدارين ﴿ وإنْ أدْري ﴾ وما أدري ﴿ أقَرِيبٌ أمْ بعيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴾ من الفتح عليكم ، وإيراث أرضكم غيركم ، ولحوق الذّل والصَّغار بعصيانكم .

[١١٠] ﴿ إنَّهُ يعلمُ الجَهْرَ منَ القَوْلِ ويَعْلَمُ ما تكْتُمُونَ ﴾ فسيجزيكم على ذلك .

[١١١] ﴿ وإنْ أدْري لعلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ ﴾ وما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم ، أو ابتلاء ليُنظر كيف تعملون ﴿ وَمَتاعٌ إلى حينٍ ﴾ أي : تمتيع لكم إلى أجل مقدور ، والتمتيع بمعنى الإبقاء والتأخير .

[١١٢] ﴿ قُلْ ربِّ احْكُمْ بالحقِّ ﴾ أي : افصل بيننا وبينهم بالحق ، وذلك بنصر من آمن بما أنزلت على من كفر ﴿ وربُّنَا الرحمٰنُ المُسْتَعانُ على ما تَصِفُونَ ﴾ من الكذب والافتراء على الله ورسوله ، بنصر أوليائه ، وقهر أعدائه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ
سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ
﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ
وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي
رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ
وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

[سورة الحج]

الجزء ٣٤

سميت الحج لاشتمالها على أصل وجوبه والمقصود من أركانه ، وهي مكية سوى ثلاث آيات : ١٩ ـ ٢٢ . وقيل : كلها مدنية . وآياتها ٧٨ آية .

[١] ﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُم إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شيءٌ عَظيمٌ ﴾ يأمر تعالى عباده بتقواه ، والآية من جوامع الكلم ، في فعل المأمورات واجتناب المنهيات . والزلزلة : التحريك الشديد والإزعاج العنيف . والساعة : القيامة . [اختلف المفسرون في زلزلة الساعة . هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة ، أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجداثهم . . . . فقال قائلون : هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة ، وعن علقمة رحمه الله قال : قبل الساعة . وعن عامر الشعبي رحمه الله قال : هذا في الدنيا قبل يوم القيامة ـ ابن كثير].

[٢] ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عمَّا أرْضَعَتْ ﴾ وهو طفلها ﴿ وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ أي : ما في بطنها لغير تمام ﴿ وتَرَى النَّاس سُكَارَى ﴾ كأنهم سكارى ﴿ وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾ على التحقيق ﴿ ولكِنَّ عذابَ اللَّهِ شديدٌ ﴾ ولكن خوف عذاب الله ، هو الذي أذهب عقولهم .

[٣] ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ في اللَّهِ بغيرِ عِلْمٍ ﴾ أي : يخاصم في شأنه تعالى بغير علم ﴿ ويتَّبِعُ ﴾ في جداله ﴿ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴾ عات متمرد ، كرؤساء الكفر الصادّين عن الحق . [٤] ﴿ كُتِبَ عليه ﴾ أي : قضى على الشيطان ﴿ أنَّه من تولاَّهُ فأنَّه يُضِلُّهُ ﴾ يضل من تولاه بأن اتخذه ولياً ، وتبعه ، ولا يهديه إلى الحق ﴿ ويَهْدِيهِ إلى عذابِ السَّعِيرِ ﴾ يسوقه إلى عذاب جهنم الموقدة . قيل : نزلت الآية في النضربن الحارث وكان جَدِلاً . [٥] ﴿ يا أيها النَّاسُ إن كُنْتم في ريبٍ من البَعْث ﴾ وكونه مقدوراً له تعالى ، أو من وقوعه ﴿ فإنَّا خلَقْناكم من ترابٍ ﴾ خلقنا أول آبائكم ، أو أول موادّكم ، وهو المنيّ ، من تراب ، إذ خلق من أغذية متولدة منه ، والبعث خلق من تراب ﴿ ثمَّ منْ نُطْفَةٍ ﴾ تولّدت من الأغذية الترابية ﴿ ثمَّ من عَلَقَةٍ ﴾ أي : قطعة من الدم جامدة ﴿ ثمَّ منْ مُضْغَةٍ ﴾ أي : قطعة من اللحم بقدر ما يُمضغ ﴿ مُخَلَّقَةٍ وغيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ أي : مصورة وغير مصوّرة . والمراد : تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ، ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً، [قال ابن جرير: المخلقة: المصورة خلقاً تاماً، وغير مخلقة: السقط قبل تمام خلقه] ﴿ لِنُبَيِّنَ لكُمْ ﴾ بهذا التدريج ، قدرتنا وحكمتنا وأن من قَدِر على تغييره وتصويره أولاً ، قدر على ذلك ثانياً ﴿ ونُقِرُّ في الأرحام ما نَشَاءُ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ وهو وقت الوضع ﴿ ثمَّ نُخرِجُكُمْ طِفلاً ثمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ وهو كمال قوتكم وعقلكم ﴿ ومنكم من يُتوَفَّى ﴾ بعد بلوغ الأَشُدِّ أو قبله ﴿ ومِنكُمْ من يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ ﴾ وهو الهرم والخرف والأرذل : الأردأ ﴿ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ من بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾ أي : من بعد علم كثير ، شيئاً من الأشياء ، أو شيئاً من العلم ، مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله ﴿ وترى الأرض هامِدةً ﴾ ميتة يابسة ﴿ فإذا أنْزلْنا عَلَيْهَا الماءَ ﴾ أي : المطر ﴿ اهْتَزَّتْ ﴾ تحركت بالنبات ﴿ وَرَبَتْ ﴾ انتفخت وعلت ، لما يتداخلها من الماء ويعلو من نباتها ﴿ وأنْبَتَتْ مِن كُلِّ زوْجٍ ﴾ من كل صنف ﴿ بهيجٍ ﴾ حسن رائق يسر ناظره .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾
وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾
ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾
ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ۨ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ۨ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾
يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾
يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾
مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿ ذَلِكَ ﴾ الذي ذُكر من خلق الإنسان على أطوار مختلفة ، وتصريفه في أحوال متباينة ، وإحياء الأرض بعد موتها ﴿ بأنَّ اللَّهَ هُوَ الحقُّ ﴾ حاصل بسبب أن الله هو الحق وحده في ذاته وصفاته وأفعاله ، فهي من آثار ألوهيته ﴿ وأنَّهُ يُحيي الموتى ﴾ أي : يقدر على إحيائها إذ أَحْيى النطفة والأرض الميتة ﴿ وأنَّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ .

[٧] ﴿ وأن السَّاعةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فيهَا ﴾ فهي في وضوح دلائلها التكوينية ، بحيث ليس فيها مظنة أن يُرتاب في إتيانها ﴿ وأنَّ الله يبعثُ مَنْ في القُبُورِ ﴾ من الأموات ، أحياء إلى موقف الحساب .

[٨] ﴿ ومنِ النَّاسِ منْ يجادلُ في اللَّهِ بغيْرِ عِلْمٍ ولا هُدىً ولا كتابٍ مُنِيرٍ ﴾ أي : يجادل بمجرد الرأي والهوى .

[٩] ﴿ ثانِيَ عِطْفِهِ ﴾ حال من فاعل ﴿ يجادل ﴾ أي : عاطفاً لجانبه إعراضاً واستكباراً عن الحقِّ إذا دُعيَ إليه ﴿ ليُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي : ليصد عن دينه وشرعه ﴿ لَهُ في الدُّنْيا خِزْيٌ ﴾ أي : إهانة ومذلّة ﴿ ونذيقُهُ يوم القيامةِ عذاب الحريقِ ﴾ أي : النار المحرقة .

[١٠] ﴿ ذلك بما قدَّمتْ يَدَاكَ ﴾ يقال له يوم القيامة : ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والضلال والإضلال ﴿ وأنَّ اللَّه ليسَ بظلاَّمٍ للعبيدِ ﴾ بل هو العدل في معاقبة الفجّار ، وإثابة الصالحين .

[١١] ﴿ ومِنَ النَّاسِ منْ يَعْبُدُ اللَّهَ على حَرْفٍ ﴾ يعبده تعالى على طرف من الدنيا ، كالذي ينحرف إلى طرف الجيش ، فإن أحسّ بظفر وغنيمة قَرَّ ، وإلاَّ فرَّ ﴿ فإنْ أصابَهُ خَيْرٌ ﴾ دنيويّ من صحة وسعة ﴿ اطْمأَنَّ بِهِ ﴾ أي : ثبت على ما كان عليه ظاهراً ﴿ وإنْ أصابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ ما يُفْتَتَنُ به من مكروه ينزل به ﴿ انقَلَبَ على وجْهِهِ ﴾ أي : رجع إلى ما كان عليه من الكفر ﴿ خَسِرَ الدُّنْيا والآخِرَةَ ذلكَ هو الخُسْرانُ المُبِينُ ﴾ الواضح الذي لا يخفى على ذي بصيرة .

[١٢] ﴿ يدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يضرُّهُ وما لا يَنْفَعُهُ ﴾ أي : ارتد عن دين اللَّه يدعو من دونه آلهة لا تضره إن لم يعبدها في الدنيا ، ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها ﴿ ذلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ البَعِيدُ ﴾ عن الحق والهدى .

[١٣] ﴿ يَدْعُو ﴾ هذا المرتد المنقلب على وجهه ، إذا أصابته فتنة ﴿ لَمَنْ ضَرُّهُ أقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ أي : وثناً وصنماً ، ضره في الدنيا بالذل والخزي وفي الآخرة بالعذاب ، أسرع إليه من نفعه الذي يتوقعه بعبادته ، وهو الشفاعة والتوسل به إلى الله تعالى ﴿ لَبِئْسَ المَوْلَى ﴾ الناصر له ﴿ ولَبِئْسَ العَشِيرُ ﴾ المصاحب له .

[١٤] ﴿ إنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جنَّاتٍ تَجْري من تَحْتِهَا الأنْهَارُ إنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ من الأفعال المبنيّة على الحكمة التي من جملتها إثابة من أطاعه وتعذيب من عصاه

[١٥] ﴿ مَنْ كانَ يَظُنُّ أنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ في الدنيا والآخرةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إلى السَّمَآءِ ﴾ أي : بحبل إلى ما يعلوه ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ ليختنق ﴿ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ ﴾ والمعنى : من كان منهم يظن أن لن ينصر اللَّهُ نبيَّه ، فليختنق وليهلك نفسه ، ثم لينظر في نفسه ، هل يذهبن احتياله هذا في المضارّة والمضادّة ، ما يغيظه من النصرة ؟ كلا . فإن الله ناصر رسوله لا محالة .

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾
۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾
يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾
وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾
كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

[١٦] ﴿ وكذلكَ أنْزَلْنَاهُ ﴾ أي : القرآن الكريم ﴿ آياتٍ بيِّناتٍ وأنَّ اللَّهَ يَهْدِي من يُريدُ ﴾ .

[١٧] ﴿ إنَّ الذينَ آمَنُوا ﴾ وهم المسلمون أتباع محمد ﷺ ﴿ والذينَ هادُوا ﴾ اليهود ﴿ والصَّابئينَ ﴾ راجع تفسير سورة البقرة ، الآية ٦٢ ﴿ والنَّصَارَى ﴾ أهل الإنجيل ﴿ والمجُوسَ ﴾ عبدة النّار من أهل فارس وسواها ﴿ والذين أَشْرَكُوا ﴾ كفار العرب خاصة ﴿ إنَّ اللَّهَ يفصلُ بينَهُمْ يومَ القيامَةِ ﴾ فيُدخل من آمن منهم به وعمل صالحاً الجنَّةَ ، ومن كفر به النَّارَ ﴿ إنَّ اللَّهَ على كل شيءٍ شهيدٌ ﴾ فإنه تعالى شهيد على أفعالهم ، حفيظ لأقوالهم ، عليم بسرائرهم .

ربع الحزب ٣٤ سجدة

[١٨] ﴿ ألَمْ تَرَ أنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ في السَّمٰواتِ ومَنْ في الأرْضِ والشَّمْسُ والقَمَرُ والنُّجُومُ والجِبَالُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ وكثيرٌ من النَّاسِ ﴾ فالسجود فيها مستعار من معناه المتعارف ، لمطاوعة الأشياء له تعالى ، فيما يُحدث فيها من أفعاله ، ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها فيكون السجود في الجمادات الانقياد ، وفي العقلاء العبادة ﴿ وكثيرٌ ﴾ أي : من النَّاس ﴿ حقَّ عليهِ العَذَابُ ﴾ بكفره واستعصائه ﴿ ومَنْ يُهِنِ اللَّهُ ﴾ بأن كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره إلى الشر ﴿ فَما له من مُكْرِمٍ ﴾ يكرمه بالسعادة ﴿ إنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشَاءُ ﴾ .

[١٩] ﴿ هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا في رَبِّهِمْ ﴾ يعني : فريق المؤمنين وفريق الكافرين . ومعنى : اختصموا في ربهم ، أي في دينه وعبادته [عن قيس بن عباد قال : سمعت أبا ذر رضي الله عنه يقول : أقسم بالله لنزلت : ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ في هؤلاء الستة : حمزة وعبيدة وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة ـ رواه البخاري] . ﴿ فالَّذينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ ﴾ أي : قُدِّرَتْ ﴿ لَهُمْ ثيابٌ من نارٍ يُصَبُّ منْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الحَمِيمُ ﴾ أي : الماء الحارّ . [عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال (إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه ـ وهي الصهر ـ ثم يعاد كما كان) اخرجه ابن جرير] .

[٢٠] ﴿ يُصْهَرُ ﴾ يذاب ﴿ بِهِ مَا في بُطُونِهِمْ ﴾ من الأمعاء والأحشاء ﴿ والجُلُودُ ﴾ .

[٢١] ﴿ ولَهُمْ مَقَامِعُ ﴾ سياط يُضرَبُونَ بها ﴿ مِنْ حديدٍ ﴾ .

[٢٢] ﴿ كُلَّمَا أرادُوا أنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ، وذُوقُوا عذابَ الحَرِيقِ ﴾ [ومعنى الخروج : أن النار تضربهم بلهبها فتلقيهم إلى أعلاها فَيُضْرَبُونَ بالمقامع فيهوون فيها ـ النسفي] .

[٢٣] ﴿ إنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جنَّاتٍ تجري من تَحْتِهَا الأنهارُ يُحَلَّونَ فيها من أَسَاوِرَ من ذَهَبٍ ولُؤلؤاً ﴾ وفي الحديث المتفق عليه : (تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء) ﴿ ولِبَاسُهُمْ فيها حريرٌ ﴾ .

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

[٢٤] ﴿ وهُدُوا إلى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ وَهُدُوا إلى صراطِ الحميدِ ﴾ أي : المحمود وهو الجنّة ، أو الحق تعالى ، المستحق لغاية الحمد .

[٢٥] ﴿ إنَّ الذينَ كَفَرُوا ويَصُدُّونَ عن سبيلِ اللَّهِ والمَسْجِدِ الحَرامِ ﴾ أي : مكة ﴿ الَّذي جَعَلْنَاهُ للنَّاسِ سَوَاءً العَاكِفُ فيه ﴾ المقيم ﴿ والبادِ ﴾ الطارىء ﴿ ومَنْ يُرِدْ فيهِ بإلْحادٍ ﴾ بميل عن القصد . ويشمل الإلحاد : الإشراك ، ومنع الناس من عمارته ، واقتراف الآثام ﴿ بظُلمٍ ﴾ بغير حق ﴿ نُذِقْهُ منْ عذابٍ أليمٍ ﴾ أي : جزاء على هتكه حرمته . وقد ذهب بعض السلف إلى أن السيئة في الحرم أعظم منها في غيره ، وأنها تُضَاعَفُ فيه ، وإن همَّ بها فيه أُخِذَ بها .

[٢٦] ﴿ وإذْ بوَّأْنا لإبْراهيمَ مكانَ البَيْتِ أنْ لا تُشْرِكْ بي شَيْئاً ﴾ أي : واذكر إذ عيَّنَّاه وجعلناه له مباءة ، أي : منزلاً ومرجعاً لعبادته تعالى وحده ﴿ وطهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ من الأصنام والأوثان والأقذار ﴿ للطَّائفين والقَائِمِينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ أي : لمن يطوف به ويقيم ويصلّي .

[٢٧] ﴿ وأَذِّنْ في النَّاسِ بالحَجِّ ﴾ أي : نادِ فيهم به ﴿ يأتُوكَ رِجالاً ﴾ مشاة ، جمع : راجل ﴿ وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ أي : ركباناً على كل بعير مهزول ، أتعبه بُعد الشقة فهزله ﴿ يأْتِينَ ﴾ صفة : لكل ضامر ﴿ منْ كلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ أي : طريق واسع بعيد .

[٢٨] ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية ﴿ ويذكُرُوا اسمَ اللَّهِ في أيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأنْعَامِ ﴾ أي : على ما ملكهم منها ، وذلّلها لهم ، ليجعلوها هَدْياً وضحايا . والأيام المعلومات : أيام العشر من ذي الحجة ، أو : يوم النحر وثلاثة أيام أو يومان بعده . أو : يوم عرفة والنحر ويوم بعده : أقوال للأئمة ﴿ فَكُلُوا منها ﴾ أي من لحومها ، والأمر للندب . وقد ثبت أن رسول الله ﷺ لما نحر هَدْيَهُ ، أمر من كل بُدْنَة ببضعة فتطبخ ، فأكل من لحمها ، وحسا من مرقها ﴿ وأطعموا البائسَ ﴾ الذي أصابه بؤس ، أي : شدة ﴿ الفقيرَ ﴾ الذي أضعفه الإعسار ، والأمر هنا للوجوب .

[٢٩] ﴿ ثمَّ ﴾ بعد الذبح ﴿ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ ليؤدوا إزالة وسخهم من الإحرام بالحلق والتقصير وقصّ الأظفار ولبس الثياب ﴿ ولْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ ما ينذرونه من أعمال البِّر في حجّهم ﴿ وليطَّوَّفُوا بالبيتِ العتيقِ ﴾ أي : طواف الإفاضة ، وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج ، ويقع به تمام التحلل . والعتيق : القديم . لأنه أول بيت وضع للناس ، أو المُعْتَق من تسلط الجبابرة .

[٣٠] ﴿ ذلكَ ﴾ الأمر ﴿ ومَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ ﴾ أي : أحكامه . والحرمات : جمع حرمة وهو ما لا يحل هتكه ﴿ فَهُوَ خيرٌ لهُ عندَ ربِّهِ ﴾ أي : ثواباً ﴿ وأُحِلَّتْ لكُمُ الأنعامُ إلاَّ ما يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ وذلك قوله في سورة المائدة الآية ٣ ، والمعنى : أن الله قد أحل لكم الأنعام كلها ، إلا ما استثناه في كتابه ، فحافظوا على حدوده ، وإياكم أن تحرِّموا مما أحل لكم شيئاً ، وأن تحلوا مما حرّم الله ﴿ فاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأوْثَانِ ﴾ أي : فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ، كما تُجتنب الأنجاس ﴿ واجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ فإن عبادة الأوثان رأس الزور .

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

[٣١] ﴿ حُنَفَاءَ للَّهِ ﴾ مخلصين له الدين ، منحرفين عن الباطل إلى الحق ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ شيئاً من الأشياء ﴿ ومَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فكأنَّمَا خرَّ منَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ﴾ أي : سقط من السماء فقطعته الطيور في الهواء ﴿ أوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ ﴾ أي : تقذفه ﴿ في مكانٍ سَحِيقٍ ﴾ بعيد مُهلك لمن هوى فيه .

[٣٢] ﴿ ذلكَ ومَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ أي : معالم الحج ومناسكه ﴿ فإنَّهَا ﴾ فإن تعظيمها ﴿ مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ ﴾ أي : من أفعال ذوي التقوى ، والإضافة إلى القلوب ، لأن التقوى وضدها تنشأ منها .

[٣٣] ﴿ لكُمْ فيها ﴾ لكم في الهدايا ﴿ منافعُ ﴾ منافع درّها ونسلها وصوفها وظهرها ﴿ إلى أجَلٍ مُسَمًّى ﴾ إلى وقت نحرها ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إلى البيتِ العَتِيقِ ﴾ وهو الكعبة . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بُدنة ، قال : (اركبها) . قال : إنها بدنة . قال : (اركبها ويحك) ، في الثانية أو الثالثة . رواه الشيخان .

[٣٤] ﴿ ولِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً ﴾ أي : شرعنا لكل أمة أن يذبحوا لوجهه تعالى ، على وجه التقرب ﴿ ليذكروا اسمَ اللَّهِ عَلَى ما رَزَقَهُمْ منْ بَهِيمَةِ الأنْعَامِ ﴾ في الآية تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نَعَماً ﴿ فإلهُكُمْ إلهٌ واحدٌ فَلَهُ أسْلِمُوا ﴾ أي أخلصوا له الذكر خاصة ، لا تشوبوه بإشراك ﴿ وبشِّرِ المُخْبِتِينَ ﴾ المطيعين المتواضعين .

نصف الجزء ٣٤

[٣٥] ﴿ الذينَ إذَا ذُكِرَ اللَّهُ وجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي : خافت لتأثرهم عند ذكره ﴿ والصَّابرينَ على ما أَصَابَهُمْ ﴾ في سبيل الله ﴿ والمُقِيمِي الصَّلاَةِ ﴾ في أوقاتها ﴿ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ يتصدّقون .

[٣٦] ﴿ والبُدْنَ ﴾ جمع : بُدْنة ، وهي : الإبل ﴿ جعلناها لكمْ من شعائرِ اللَّهِ ، لكُمْ فِيهَا خيرٌ ﴾ لكم في تضحيتها من المنافع الدينية والدنيوية ﴿ فاذْكُرُوا اسمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوافَّ ﴾ أي : قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن . وعن ابن عباس : قياماً على ثلاث قوائم ، معقولة يدها اليسرى . يقول : بسم الله ، والله أكبر ، لا إله إلا الله ، اللهم منك ولك ﴿ فَإِذَا وجبتْ جُنُوبُهَا ﴾ أي : سقطت على الأرض ، وهو كناية عن الموت ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وأطْعِمُوا القَانِعَ ﴾ أي : السائل ﴿ والمُعْتَرَّ ﴾ المتعرض بغير سؤال ، أو القانع الراضي بما عنده وبما يُعطى من غير سؤال ، وقد استنبط من الآية أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء ، فيأكل ثلثاً ، ويهدي ثلثاً ، ويتصدق بثلث ﴿ كذلكَ سخَّرْنَاهَا لكم ﴾ ذللناها لكم ﴿ لعلَّكم تَشْكُرُونَ ﴾ والشكر : صرف العبد ما أنعم عليه ، إلى ما خلق لأجله .

[٣٧] ﴿ لنْ ينالَ اللَّهَ لُحُومُهَا ولا دِمَاؤهَا ولكنْ يناله التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ أي : لن يصيب رضاءه لحومها المتصدق بها ، ولا دماؤها المهراقة ، من حيث أنها لحوم ودماء ولكن بمراعاة النيّة والإخلاص ، ابتغاء وجهه الأعلى ﴿ كذلكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لتُكَبِّرُوا اللَّهَ على مَا هَدَاكم ﴾ لتعرفوا عظمته فتوحدوه بالعبادة على ما أرشدكم إلى طريق تسخيرها ﴿ وبَشِّرِ المُحْسِنِينَ ﴾ أي : المخلصين في أعمالهم .

[٣٨] ﴿ إنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عنِ الذينَ آمَنُوا ﴾ الله تعالى ناصرهم على أعدائهم ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ ﴾ في أمانة الله ﴿ كَفُورٍ ﴾ لنعمته بعبادته غيره ، فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم .

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن
يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ
صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ
كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ
أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

[٣٩] ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ ﴾ أي : يقاتلهم المشركون ﴿ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لقديرٌ ﴾ [قال المفسرون : كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون يجيؤون من بين مضروب ومشجوع ، فشكوهم إلى رسول الله ﷺ فيقول لهم : (اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال) حتى هاجر رسول الله ﷺ ، فأنزل الله هذه الآية ـ النيسابوري] .

[٤٠] ﴿ الذينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلاَّ أَنْ يَقُولُوا ربُّنا اللَّهُ ﴾ بغير حق سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين ، لا موجب الإخراج والتسيير [قال ابن عباس : لما خرج رسول الله من مكة ، قال أبو بكر: إنا لله وإنا إليه راجعون ، أخرج رسول الله ﷺ ، والله ليهلكن جميعاً ، فلما نزلت ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ إلى قوله ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ عرف أبو بكر أنه سيكون قتال ـ ابن جرير]﴿ ولولا دَفْعُ اللَّهِ الناسَ بعضهم ببعض لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وصَلَواتٌ ومَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللَّهِ كثيراً ﴾ لولا كفّه تعالى المشركين بالمسلمين ، وإذنه بمجاهدة المسلمين للكافرين ، لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم ، وعلى متعبداتهم فهدموها . والصوامع : مباني الرهبانية لخلوتهم . والبيع : معابد النصارى . والصلوات : كنائس اليهود . [ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيراً] وهُدِّمت : بمعنى عُطِّلت ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ أي: ينصر دينه وأولياءه ﴿ إنَّ اللَّهَ لقوي عزيزٌ ﴾ .

[٤١] ﴿ الذينَ إنْ مكَّنَّاهُمْ في الأرْضِ ﴾ بنصرهم على عدوهم ﴿ أقَامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ وأَمَرُوا بالمعروفِ ونَهَوْا عنِ المُنْكَرِ ولِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ أي : مرجعها إلى حكمه وتقديره .

[٤٢] ﴿ وإنْ يُكَذِّبوكَ فقدْ كذَّبتْ قبلَهم قَوْمُ نُوحٍ وعادٌ ﴾ وهم قوم هود ﴿ وثَمُودُ ﴾ وهم قوم صالح .

[٤٣] ﴿ وقومُ إبراهيمَ وقَوْمُ لُوطٍ ﴾ كذلك كذّبوا أنبياءهم .

[٤٤] ﴿ وأصْحَابُ مَدْينَ ﴾ وهم قوم شعيب ﴿ وكُذِّبَ مُوسَى ﴾ ولم يقل : وقوم موسى كسابقه ، لأن موسى ـ عليه وعلى أنبياء الله السلام ـ ما كذبه قومه بنو إسرائيل ، وإنما كذبه غير قومه وهم القبط ﴿ فأمْلَيْتُ للكافرينَ ﴾ أي : أمهلتهم ﴿ ثمَّ أخذْتُهُمْ ﴾ بالعقوبة ﴿ فكَيْفَ كانَ نَكِيرِ ﴾ أي : إنكاري عليهم بالإهلاك .

[٤٥] ﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ فكم من أهالي قرية ﴿ أهلكناها ﴾ بالعذاب ﴿ وهيَ ظالمة ﴾ مشركة كافرة ﴿ فهيَ خَاوِيَةٌ ﴾ ساقطة ﴿ على عُرُوشِهَا ﴾ أي : سقوفها ﴿ وبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ ﴾ وكم من بئر متروكة لا يُستقى منها ، لهلاك أهلها ﴿ وقصْرٍ مَشيدٍ ﴾ مرفوع . من : شاد البناء ، إذا رفعه .

[٤٦] ﴿ أفَلَمْ يسيروا ﴾ أي : أهل مكة في تجارتهم ﴿ في الأرضِ فتكُونَ لَهُمْ ﴾ بما يشاهدونه من مواد الاعتبار ﴿ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ ما يجب أن يُعقل من التوحيد ﴿ أوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِها ﴾ ما يجب أن يُسمع من الوحي والتخويف ﴿ فإنَّها لا تَعْمى الأبْصَارُ ولكِنْ تَعْمى القُلُوبُ التي في الصُّدُورِ ﴾ والمعنى : ليس الخلل في مشاعرهم ، وإنما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ
أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ
ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ
فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

[٤٧] ﴿ ويستعجلونك بالعذابِ ﴾ المبيّن في قوله تعالى : ﴿ وإذْ قالوا اللهمَّ إنْ كانَ هذا هُوَ الحقَّ من عندِك فأمْطِرْ علينا حجارة من السماءِ أو ائتنا بعذابٍ أليمٍ ﴾ الأنفال : ٣٢ ﴿ ولنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وعْدَهُ ﴾ فيصيبهم ما أوعدهم به ، ولو بعد حين ﴿ وإنَّ يوماً عِنْدَ ربِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ أي : هو تعالى حليم لا يعجل ، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه ، كيوم واحد عنده ، بالنسبة إلى حلمه ، لعلمه بأنه على الانتقام قادر ، وأنه لا يفوته شيء . [عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ قال : من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض . وقال مجاهد : هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ ـ ابن كثير] .

[٤٨] ﴿ وكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها ﴾ أي : أمهلتها ﴿ وهي ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها وإليَّ المَصِيرُ ﴾ إلى حكمي مرجع الكل فأجزيهم بأعمالهم .

[٤٩] ﴿ قُلْ : يا أيُّها النَّاسُ إنَّما أنَا لَكُمْ نذيرٌ مُبِينٌ ﴾ .

[٥٠] ﴿ فالذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ وهي الجنّة .

[٥١] ﴿ والذينَ سَعَوْا في آياتِنا مُعَاجِزِينَ ﴾ أي : سعوْا في ردّ آياتنا ، وصدّ النّاس عنها مشاقّين . فالمعاجزة مستعارة للمشاقة مع المؤمنين ومعارضتهم ، فكلما طلبوا إظهار الحق طلب هؤلاء إبطاله ﴿ أولئِكَ أصْحَابُ الجحيم ﴾ .

[٥٢] ﴿ ومَا أرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ولا نبيٍّ إلاَّ إذَا تَمَنَّى ﴾ أي : رغب في انتشار دعوته ، وسرعة علوّ شرعته ﴿ ألْقَى الشَّيْطَانُ في أُمْنِيَّتِهِ ﴾ بما يصدّ عنها ، ويصرف المدعوّين عن إجابتها ﴿ فينسخُ اللَّهُ ما يُلقي الشيطانُ ﴾ أي : يبطله ويمحقه ﴿ ثمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ ﴾ أي : يثبتها ﴿ واللَّهُ عَليمٌ ﴾ يعلم الإلقاءات الشيطانية ، وطريق نسخها من وجه وحيه ﴿ حكيمٌ ﴾ يحكم آياته بحكمته . [قال ابن جرير: قيل إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ أن الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه ، فاشتدّ ذلك على رسول الله ﷺ ، واغتم به ، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات] .

[٥٣] ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلقي الشيطانُ فِتنةً للذينَ في قلوبِهِمْ مرضٌ ﴾ أي : شك وارتياب ﴿ والقاسيةِ قُلُوبُهُم ﴾ وهم العتاة المتمردون ﴿ وإنَّ الظَّالمينَ لفي شقاقٍ ﴾ أي : خلاف للحق ﴿ بعيدٍ ﴾ عن موافقته جداً ، بسبب ظلمهم وشركهم .

[٥٤] ﴿ وَلِيَعْلَمَ الذينَ أوتُوا العِلْمَ ﴾ النافع الذي يفرّقون به بين الحق والباطل ، والمؤمنون بالله ورسوله ﴿ أنَّهُ الحقُّ مِنْ ربِّكَ ﴾ الضمير للقرآن أو لله تعالى ﴿ فيُؤمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ له قُلُوبُهُم ﴾ بالانقياد ، والخشية . والإخبات : الخشوع ﴿ وإنَّ اللَّهَ لَهَادِ الذينَ آمَنُوا إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي : إلى طريق الحق والاستقامة .

[٥٥] ﴿ ولا يَزَالُ الذينَ كَفَرُوا في مِرْيَةٍ منْهُ ﴾ أي : في شك وجدال من التنزيل الكريم ﴿ حتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ ﴾ أي : القيامة ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ أو يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يومٍ عقيمٍ ﴾ يوم لا يوم بعده ، والمراد به الساعة أيضاً .

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟
لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

[٥٦] ﴿ المُلْكُ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي : يوم تزول مريتهم ﴿ للَّهِ ﴾ وحده ، بحيث لا يكون لأحد تصرفٌ لا حقيقةً ولا صورةً ﴿ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ بالمجازاة ﴿ فالذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ في جنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ والإيمان يُصَدِّقهُ العمل .

[٥٧] ﴿ والَّذينَ كَفَروا وكَذَّبُوا بآياتِنا ﴾ أي كفرت قلوبهم بالحق وجحدته ، وكذبوا به وخالفوا الرسل واستكبروا عن اتباعهم ﴿ فَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهينٌ ﴾ مقابلة استكبارهم وإبائهم عن الحق .

[٥٨] ﴿ والذينَ هَاجَرُوا في سبيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا ﴾ في الجهاد ﴿ أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزقاً حسناً ﴾ من الجنة ونعيمها ﴿ وإنَّ اللَّهَ لَهُوَ خيرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [قال ابن أبي حاتم عن ابن عقبة ـ يعني أبا عبيدة بن عقبة ـ قال : قال شرحبيل بن السمط : طال رباطنا وإقامتنا على حصنٍ بأرض الروم ، فمر بي سلمان ـ يعني الفارسي ـ رضي الله عنه فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من مات مرابطاً أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر ، وأجرى عليه الرزق ، وأمن من الفتّانين) ، واقرأوا إن شتم : ﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ﴾ الآية ـ ابن كثير] .

[٥٩] ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ ، وإنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ .

[٦٠] ﴿ ذلِكَ ومَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عليهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ﴾ أي : ومن جازى ظالماً بمقدار ظلمه ، ولم يزد في الاقتصاص منه ، ثم تعدى عليه الظالم ثانياً ، لينصرن الله ذلك المظلوم . الآية نزلت في سرية من الصحابة لقوا جمعاً من المشركين في شهر محرم ، فناشدهم المسلمون لئلا يقاتلوهم في الشهر الحرام ، فأبى المشركون إلا قتالهم وبغوا عليهم ، فقاتلهم المسلمون ، فنصرهم الله عليهم . رواه ابن أبي حاتم ﴿ إنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ تعريض بالحث على العفو والمغفرة ، فإنه تعالى مع كمال قدرته لمَّا كان يعفو ويغفر ، فغيره أولى بذلك .

[٦١] ﴿ ذلك بأنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ في اللَّيْلِ ﴾ أي ذلك النصر بسبب أنه قادر . ومن آيات قدرته البالغة ، إيلاج أحد المَلَوَيْنِ في الآخر ، بزيادته في أحدهما ما ينقص من ساعات الآخر ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَميعٌ بَصيرٌ ﴾ .

[٦٢] ﴿ ذلِكَ بأنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ ﴾ المعبود الحق الذي لا مثل له ولا ندّ ﴿ وأنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ ﴾ وأن الذي يدعوه المشركون هو الباطل الذي لا يقدر على صنعة شيء بل هو المصنوع . أي فتتركون عبادة من منه النفع وبيده الضر ، وتعبدون الباطل الذي لا تنفعكم عبادته ﴿ وأنَّ اللَّهَ هُوَ العليُّ الكبيرُ ﴾ فلا أعلى منه ولا أكبر .

[٦٣] ﴿ ألم تَرَ أنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ منَ السَّماءِ ماءً فتُصْبِحُ الأرْضُ مُخْضَرَّةً إنَّ اللَّهَ لطيفٌ خبيرٌ ﴾ [لطيف بعباده ، خبير بمصالح خلقه ، يحيط بكل شيء ـ النسفي] .

[٦٤] ﴿ لَهُ ما في السَّمٰواتِ ومَا في الأرْضِ وإنَّ اللَّهَ لَهُوَ الغنيُّ الحميدُ ﴾ أي الغني عن عباده ، المحمود بنعمه .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ
بِأَمْرِهِۦ ۚ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَٰكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ
فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ
فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ
بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن
ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿ ألَمْ تَرَ أنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا في الأرْضِ ﴾ أي : جعلها مُعدَّة لمنافعكم ﴿ والفُلْكَ ﴾ وسَخَّر لكم البحر ، حتى أن الفلك ـ السفن ـ ﴿ تجري في البَحْرِ بأمْرِه ﴾ بتيسيره لمنافعكم ﴿ ويُمْسِكُ السَّمَاءَ أنْ تَقَعَ عَلَى الأرْضِ إلا بإذْنِهِ ﴾ إلا بمشيئته وقدرته ﴿ إنَّ اللَّهَ بالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ في آلائه وآياته المذكورة ، وما أبان فيها من طرق الاستدلال على وحدانيته ، لا إله إلا هو .

[٦٦] ﴿ وَهُوَ الذي أحْيَاكُمْ ﴾ في أرحام أمهاتكم ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكم ﴾ يوم الحساب ﴿ إنَّ الإنسانَ لَكَفُورٌ ﴾ أي : جحود للنعم ، بعبادة غير بارئها ، أو إشراكه معه .

[٦٧] ﴿ لكُلِّ أمَّةٍ جَعَلْنا ﴾ وضعنا ﴿ مَنْسَكاً ﴾ شريعة ومُتَعَبَّداً [قال ابن جرير: عني بذلك إراقة الدم أيام النحر بمنى ، لأن المناسك التي كان المشركون جادلوا فيها رسول الله ﷺ كانت إراقة الدم في هذه الأيام] . ﴿ هُمْ نَاسِكُوهُ فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ في الأمْرِ ﴾ في ذلك الجعل والوضع والحوار في تنوعه في كل أمّة ، وعدم وحدته ﴿ وادْعُ إلى ربِّكَ إنَّكَ لَعَلى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي : اثبت على دينك ثباتاً لا يطمعون أن يخدعوك عنه . أو معناه : ثابر على الدعوة إلى ما أُمِرْتَ به ، فلا تضرّك منازعتهم .

[٦٨] ﴿ وإنْ جَادَلُوكَ ﴾ سفاهة وتعنتاً ﴿ فَقُلِ اللَّهُ أعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [أي : لا تجادلهم وأنذرهم بهذا القول ـ النسفي] .

[٦٩] ﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بينَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ من أمر الدين .

[٧٠] ﴿ ألَمْ تَعْلَمْ أنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا في السَّماءِ والأرْضِ ، إنَّ ذلك في كِتَابٍ ، إنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [قال رسول الله ﷺ : (إن الله قدَّر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء) . وفي السنن من حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : (أولُ ما خلق الله القلم . قال له : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن . فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة) . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام ، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى : اكتب . فقال القلم : وما أكتب ؟ قال : علمي في خلقي إلى يوم تقوم الساعة . فجرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة ـ ابن كثير] .

[٧١] ﴿ ويَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلطَاناً ﴾ أي : حُجَّة ﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ من ضرورة العقل أو استدلاله ﴿ وَمَا للظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ يدفع عنهم ما يُراد بهم .

[٧٢] ﴿ وإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا بيِّناتٍ ﴾ واضحة الدلالة على حقيقتها وما تضمنته ﴿ تَعْرِفُ في وجوهِ الذينَ كَفَرُوا المُنْكَرَ ﴾ أي : الإنكار أو الفظيع من التهجم ، أو الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله ﴿ يكادُونَ يَسْطُونَ بالذينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنَا ﴾ يبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ من ذلِكُمُ ، النَّارُ وعَدَهَا اللَّهُ الذينَ كَفَرُوا وبِئْسَ المَصِيرُ ﴾ .

الجزء التاسع عشر — سورة الحج

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ
وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟
رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾
وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ
ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ — ترتيبها ٢٣ — آياتها ١١٨

[٧٣] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ ﴾ أي : بُيِّنَ ﴿ مَثَلٌ ﴾ حال مستغرب ﴿ فاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ تدبَّروه حق تدبّره ، فإن الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع ﴿ إنَّ الذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يعني الأصنام ﴿ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً ولو اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ أي : لخلقه متعاونين ، وتخصيصه الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره ﴿ وإن يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه ﴾ فهذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه ، لم يقدروا ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ ﴾ أي : الصنم يطلب ما سُلب منه ﴿ والمَطْلُوبُ ﴾ أي : الذباب بما سلب . وجُوِّز أن يراد بالطالب : عابد الصنم ، وبالمطلوب : معبوده . [قال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (قال الله عز وجل : من أظلم ممن ذهب بخلقٍ كخلقي ؟ فليخلقوا ذرّة فليخلقوا شعيرة) ـ أخرجاه في الصحيحين ورواه الإمام أحمد ـ ابن كثير] .

سجدة عند الشافعي

[٧٤] ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ما عرفوه حق معرفته ، حيث أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿ إنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عزيز ﴾ أي : قادر وغالب ، فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيهاً به ، أو لَقَوِيٌّ بنصر أوليائه عزيز ينتقم من أعدائه .

[٧٥] ﴿ اللَّهُ يصطفي ﴾ يختار ﴿ مِنَ الملائكةِ رُسُلاً ومِنَ النَّاسِ ﴾ فلا نكران لاصطفائه من البشر من شاء لرسالته ﴿ إنَّ الله سميعٌ بصيرٌ ﴾ .

[٧٦] ﴿ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أيْدِيهِمْ ومَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي : ما عملوه وما سيعملونه ﴿ وإلى الله تُرجَعُ الأُمُورُ ﴾ لأنه مالكها ، فلا يُسأل عما يفعل ، وهم يُسألون .

[٧٧] ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا اركَعُوا واسْجُدُوا ﴾ أي : صَلُّوا ، أو اخضعوا له تعالى ، وخُرُّوا له سُجَّداً لا لغيره ﴿ واعبُدُوا ربَّكُمْ وافْعَلُوا الخَيْرَ ﴾ كصلة الأرحام ومواساة الأيتام والحضّ على الإطعام والاتصاف بمكارم الأخلاق ﴿ لعلَّكم تُفْلِحُونَ ﴾ لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة .

[٧٨] ﴿ وجَاهِدُوا في اللَّهِ حقَّ جهادِه ﴾ أمرٌ عامٌ في جهاد الكفار والظلمة والنفس ، على أن المطلوب القيام بمواجبه وشرائطه على وجه التمام والكمال بقدر الطاقة ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ اختاركم لدينه ولنصرته ﴿ ومَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدِّينَ مِنْ حَرَجٍ ﴾ من ضيق ، بتكليف ما يشق القيام به ، كما كان عليه من قبلنا [قال ﷺ : (بعثت بالحنيفية السمحة) ، وقال لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما حين بعثهما أميرين إلى اليمن : (بَشِّرا ولا تُنَفِّرا ، ويسِّرا ولا تُعسِّرا) ـ ابن كثير] ﴿ مِلَّةَ أبيكم إبرَاهِيمَ ﴾ أي : وسع دينكم توسيع ملة أبيكم إبراهيم ، وإنما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله ﷺ وهو كالأب لأمته ﴿ هُوَ سمّاكُمُ المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي : من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة ﴿ وفي هَذا ﴾ القرآن فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم ﴿ ليكونَ الرَّسُولُ شهيداً عَلَيْكُمْ ﴾ بأنه قد بلغكم رسالات ربكم ﴿ وتكُونُوا شُهَدَاءَ على النَّاسِ ﴾ بتبليغ الرسل رسالات الله إليهم ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وآتُوا الزَّكاةَ واعْتَصِمُوا باللَّهِ هو مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ المولى ونِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ وإذ خصَّكم بهذه الكرامة فاعبدوه وأنفقوا مما آتاكم بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ، وثقوا به ، ولا تطلبوا النصرة والولاية إلا منه ، فهو خير مولى وناصر.

الجزء الثامن عشر — سورة المؤمنون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ
فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ
ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن
سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا
ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

[سورة المؤمنون]

سميت سورة المؤمنين لاشتمالها على أوصافهم ونتائجها . وهي مكية . واستثنى بعضهم منها الآية ٦٤ . وآياتها ١١٨ .

[١] ﴿ قدْ أفْلَحَ المؤمنونَ ﴾ دخلوا في الفوز الأعظم .

[٢] ﴿ الذينَ هُمْ في صلاتهم خَاشِعُونَ ﴾ متذللون مع خوف وسكون للجوارح ، لاستيلاء الخشية والهيبة على قلوبهم .

[٣] ﴿ والذينَ هُمْ عن اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ معرضون عن الفضول وما لا يعني من الأقوال والأفعال ، في عامة أوقاتهم ، لاستغراقهم بالجد .

[٤] ﴿ والذينَ هُمْ للزَّكاةِ فاعِلُونَ ﴾ أي : للتجرد عن رذيلة البخل .

[٥] ﴿ والذين هُمْ لفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ ﴾ أي : لا يزنون . روي عن الإمام أحمد أنه قال : لا أعلم بعد القتل ذنباً أعظم من الزنى .

[٦] ﴿ إلاَّ على أزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ ﴾ من النساء ﴿ فإنَّهُمْ غيرُ مَلُومِينَ ﴾ لأنه الحق المأذون فيه .

[٧] ﴿ فمنِ ابْتَغَى وراءَ ذلِكَ ﴾ قصد غير ما ذكر ﴿ فأولئِكَ هُمُ العَادُونَ ﴾ الكاملون في العدوان المرتكبونه على أنفسهم .

[٨] ﴿ والذينَ هُمْ لأَمانَاتِهم وعهدِهم راعُونَ ﴾ أي : قائمون عليها بحفظها وإصلاحها .

[٩] ﴿ والذينَ هُمْ على صَلَواتِهِم يُحافِظُونَ ﴾ وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدّوها في أوقاتها ، ويقيموا أركانها ، ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتم به أوصافها .

[١٠] ﴿ أولئك ﴾ الجامعون لهذه الأوصاف ﴿ هُمُ الوارثونَ ﴾ .

[١١] ﴿ الذينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ ﴾ أي : الجنة ﴿ هُمْ فيها خَالِدُونَ ﴾ لا يخرجون منها أبداً .

[١٢] ﴿ ولَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ ﴾ أي : ابتدأنا خلقه ﴿ منْ سُلاَلَةٍ ﴾ أي : خلاصة ﴿ مِنْ طِينٍ ﴾ تراب خلط بماء .

[١٣] ﴿ ثمَّ جعلناهُ نُطْفَةً ﴾ بأن خلقناه منها ، أو ثم جعلنا السلالة نطفة بالتصفية ﴿ في قَرارٍ ﴾ أي : مستقر ، وهو رحم المرأة الذي نقل إليه ﴿ مَكِينٍ ﴾ أي : متمكن لا يمجّ ما فيه .

[١٤] ﴿ ثمَّ خلقنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ بالاستحالة من بياض إلى حمرة كالدم الجامد ﴿ فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ أي : قطعة لحم بقدر ما يمضغ ﴿ فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً ﴾ بأن صلبناها وجعلناها على هيئات وأوضاع مخصوصة ، تقتضيها الحكمة ﴿ فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ﴾ جعلناه محيطاً بها ساتراً لها كاللباس ﴿ ثمَّ أنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخرَ ﴾ بتمييز أعضائه وتصويره ، وجعله في أحسن تقويم ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ ﴾ تعاظم قدرة وحكمة وتصرفاً ﴿ أحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ أي : المقدّرين . [١٥] ﴿ ثمَّ إنَّكم بَعْدَ ذلِكَ ﴾ أي : بعد ما ذكر من الأمور العجيبة وتحصيل هذه الكمالات ﴿ لمَيِّتُونَ ﴾ لصائرون إلى الموت . [١٦] ﴿ ثمَّ إنَّكم يَوْمَ القيامةِ تُبْعثُونَ ﴾ من قبوركم للحساب والمجازاة . [١٧] ﴿ ولقدْ خَلَقْنَا فوْقَكُمْ سَبْعَ طرائِقَ ﴾ أي : سبعَ سموات هي طرق للملائكة والكواكب ﴿ وما كُنَّا عنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ أي : ما كنا مهملين أمر الخلق ، بل نحفظه وندبر أمره .

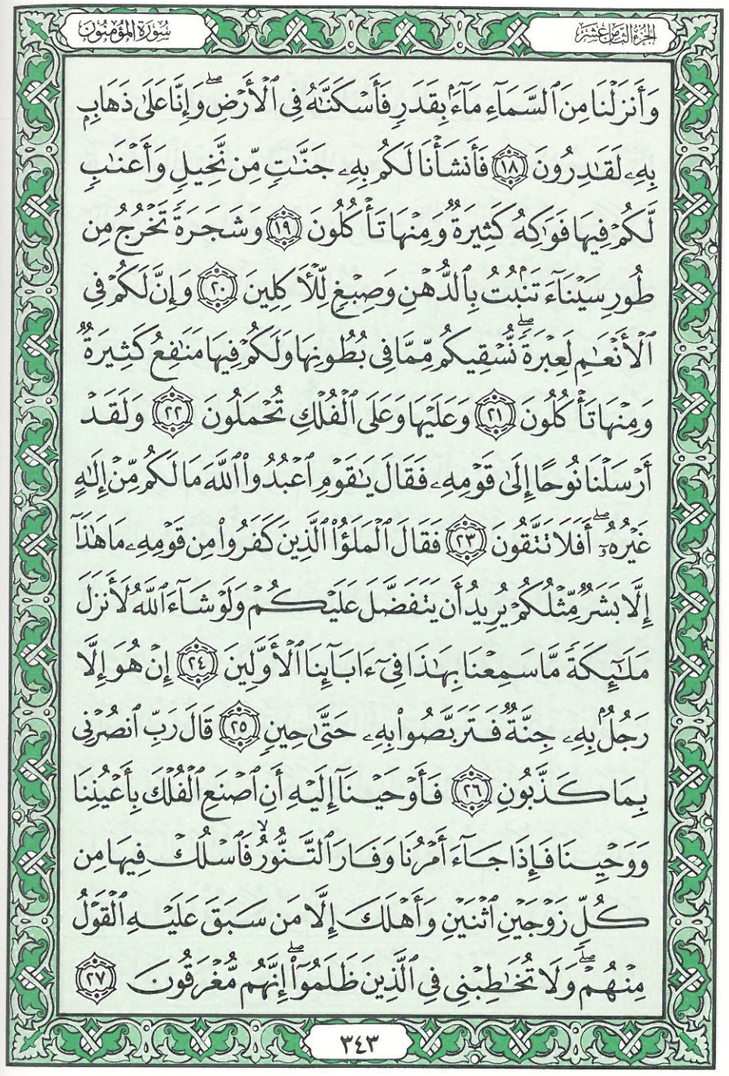

[١٨] ﴿ وأنزلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ ﴾ بتقدير يصلون معه إلى منفعتهم أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ﴿ فأسكنَّاهُ في الأرْضِ ﴾ جعلناه قارّاً فيها ، يتفجر من الأماكن التي أراد سبحانه إحياءها ﴿ وإنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لقادرونَ ﴾ على إزالته بالتغوير وبغيره ، كما قدرنا على إنزاله .

[١٩] ﴿ فأنشأنا لَكُمْ به جنَّاتٍ منْ نَخِيلٍ وأعنابٍ لكُمْ فِيهَا ﴾ أي : في الجنَّاتِ ﴿ فَواكِهُ كثيرةٌ ومِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ .

[٢٠] ﴿وشَجَرَةً﴾ أي : ومما أُنشىء لكم : شجرة ﴿تَخْرُجُ من طُورِ سَيْناءَ﴾ وهو جبل بفلسطين أو بين مصر وأيلة ـ محل معروف يسمى اليوم : العقبة ـ والشجرة : شجرة الزيتون ، نُسبت إلى الطور لأنه مبدؤها ، أو لكثرتها فيه ﴿تنبُتُ بالدُّهْنِ﴾ ملتبسة بالدهن المستصبح به ﴿وصِبْغٍ للآكِلِينَ﴾ وبإدام يغمس فيه الخبز. يقال : صبغ اللقمةَ : دهنها وغمسها . [قال رسول الله ﷺ : (كلوا الزيت وادَّهنوا به فإنه من شجرة مباركة) أخرجه الإمام أحمد مرفوعاً . وروى عبد بن حميد رحمه الله في مسنده عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إئتدموا بالزيت وادَّهنوا به ، فإنه يخرج من شجرة مباركة) ـ ابن كثير] .

[٢١] ﴿ وإنَّ لكُمْ في الأنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾ تعتبرون بحالها وتستدلون بها ﴿ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِها ﴾ من الألبان ﴿ ولَكُمْ فيها منافِعُ كثيرةٌ ﴾ في ظهورها وأصوافها وشعورها ونتاجها ﴿ ومِنْهَا تأْكُلُونَ ﴾ .

[٢٢] ﴿ وعَلَيْهَا وعلى الفُلْكِ ﴾ وهي السفن ﴿ تُحْمَلُونَ ﴾ بخلقه وتسخيره وإلهامه فله الحمد .

[٢٣] ﴿ ولقدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إلى قَوْمِهِ فقال : يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْرُهُ ، أفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ .

[٢٤] ﴿ فقالَ الملأ الذينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : مَا هذا ﴾ الداعي إلى عبادة الله وحده ، بدعوى الرسالة منه ﴿ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يريدُ أن يتفضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ أن يطلب الفضلَ عليكم ويرأسكم ﴿ ولوْ شاءَ اللَّهُ ﴾ إرسال رسول ﴿ لأَنْزَلَ ملائِكَةً ﴾ من السماء ﴿ ما سَمِعْنَا بِهَذَا ﴾ بمثل ما يدعو إليه ﴿ في آبائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾ .

[٢٥] ﴿ إنْ هُوَ إلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ مسَّه جنون ﴿ فتربَّصُوا بِهِ حتَّى حينٍ ﴾ أمهلوه فترة لعله يرجع أو يفيق من جنَّته أو يتمادى فنكيد له .

[٢٦] ﴿ قالَ ﴾ نوحٌ بعدما أيس من إيمانهم ﴿ ربِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ .

[٢٧] ﴿ فأوْحَيْنَا إليهِ أنِ اصْنَعِ الفُلْكَ بأعْيُننا ﴾ ملتبساً بحفظنا وكلاءتنا ، لا تلحقها آفة ولا يعترضها نقص ﴿ ووحيِنَا ﴾ أي : أمرنا وتعليمنا كيف تصنع ﴿ فإذَا جَاءَ أمْرُنَا ﴾ أي : عذابنا ﴿ وفارَ التَّنُّور ﴾ كناية عن الشدة ، كقولهم : حمي الوطيس . والتنور : كانون الخبز حقيقة ، وأطلقه بعضهم على وجه الأرض ومنبع الماء للآية مجازاً ﴿ فاسْلُكْ فيها ﴾ فأدْخِلْ في السفينة ﴿ مِنْ كُلٍّ ﴾ من كل أمَّة من المخلوقات ﴿ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وأهلَكَ ﴾ أفراد عائلته ﴿ إلاَّ من سبقَ عليهِ القولُ منهم ولا تُخَاطِبْني في الذينَ ظَلَمُوا ﴾ في الدعاء لهم بالنجاة ، عند مشاهدة هلاكهم ﴿ إنَّهم مُغْرَقُونَ ﴾ في بحر الهلاك ، كما غرقوا في بحر الضلال وظلمهم أنفسهم .

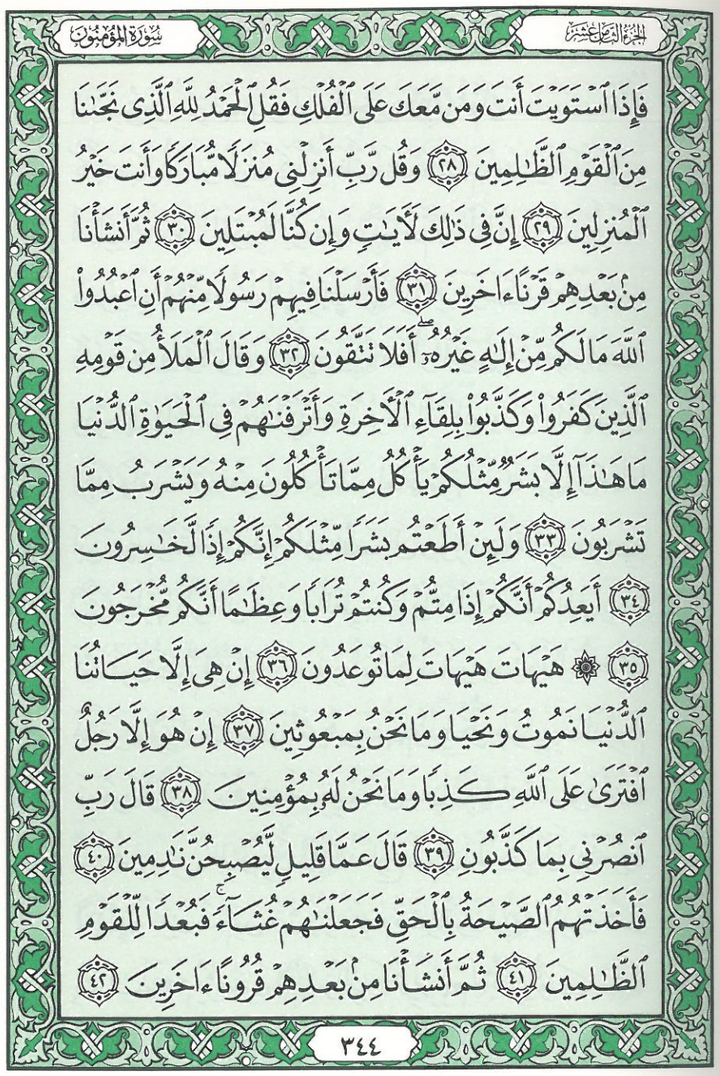

[٢٨] ﴿ فإذَا اسْتَوَيْتَ ﴾ أي اعتدلت ﴿ أنتَ ومَنْ مَعَكَ على الفُلْكِ فَقُلِ الحمدُ للَّهِ الذي نجَّانَا مِنَ القَوْمِ الظالمينَ ﴾ الكافرين ، [كما قال في سورة الزخرف : ﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ ـ ابن كثير] .

[٢٩] ﴿ وقُلْ ربِّ أنْزِلْني ﴾ في السفينة ، أو : منها ﴿ مُنْزَلاً مُبَارَكاً ، وأنتَ خَيْرُ المُنْزِلِينَ ﴾ لمن أنزلته منزل قربك ، [وفي قرة العينين على تفسير الجلالين : ﴿ وقل ﴾ عند نزولك من الفلك ﴿ رب أنزلني مُنزلاً ﴾ مكان النزول ﴿ مباركاً ﴾ ذلك الإنزال أو المكان] .

[٣٠] ﴿ إنَّ في ذلكَ ﴾ أي : فيما فُعل بنوح وقومه ﴿ لآياتٍ ﴾ يَستدل بها ويعتبر أولو الأبصار ﴿ وإنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ أي : مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد ، أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا ، لننظر من يعتبر ويدّكر .

[٣١] ﴿ ثم أنْشَأْنَا مِنْ بَعدِهم قَرْناً آخَرِينَ ﴾ هم عاد أو ثمود .

[٣٢] ﴿ فأرْسلنا فيهم رسولاً منْهُمْ أنِ اعبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ منْ إلهٍ غَيْرُهُ أفلا تتقونَ ﴾ .

[٣٣] ﴿ وقالَ المَلأُ منْ قَوْمِهِ الذينَ كَفَرُوا وكذَّبُوا بِلقَاءِ الآخِرَةِ وأتْرَفْنَاهُمْ ﴾ ونعّمْنَاهُم ﴿ في الحياةِ الدنيا ما هذا إلاَّ بشرٌ مثلُكُمْ يأْكُلُ ممَّا تأكُلُونَ منْهُ ويشْربُ ممَّا تَشْربونَ ﴾ .

[٣٤] ﴿ ولئِنْ أطعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إنَّكم إذاً لَخَاسِرُونَ ﴾ لعزة أنفسكم بالتذلل لمثلكم .

[٣٥] ﴿ أيَعِدُكُمْ أنَّكم إذَا مِتُّمْ وكُنْتُمْ تُراباً وعِظَاماً أنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ من الأجداث ـ القبور ـ أحياءً كما كنتم .

[٣٦] ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ تكرير لتأكيد البُعْد . أي بَعُدَ الوقوعُ أو الصحةُ لما توعَدون من البعث .

[٣٧] ﴿ إنْ هيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَموتُ ونَحْيَا ﴾ أي : يموت بعض ويولد بعض ، لينقرض قرن ويأتي قرن آخر ﴿ وما نحن بمبعوثين ﴾ للحساب .

[٣٨] ﴿ إنْ هُوَ إلاَّ رَجُلٌ افْتَرَى على اللَّهِ كَذِباً ومَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[٣٩] ﴿ قال ﴾ رسولهم ﴿ ربِّ انْصُرْني بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ .

[٤٠] ﴿ قال ﴾ سبحانه ﴿ عمَّا قليلٍ ليُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾ .

[٤١] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾ أي : العقوبة الهائلة ، أو صيحة مَلَكٍ ﴿ بالحقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾ كغثاء السيل ﴿ فَبُعْداً للقومِ الظالمينَ ﴾ أي : هلاكاً لهم ، إخبار أو دعاء . [قال ابن عباس : جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر، وقال مجاهد : أولئك ثمود ـ ابن جرير] .

[٤٢] ﴿ ثُمَّ انْشَأْنا مِنْ بعدِهم قروناً آخرين ﴾ [أي : أمماً وخلائق ـ ابن كثير] .

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ
كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۖ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ
هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

[٤٣] ﴿ ما تسبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ أي : وقتها الذي عُيِّن لهلاكها ﴿ ومَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ .

[٤٤] ﴿ ثمَّ أرْسَلْنَا رُسُلَنا تَتْرَى ﴾ متواترين ، واحداً بعد واحد ﴿ كُلَّما جاءَ أُمَّةً رسولُها كذَّبُوهُ فأتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً ﴾ في الإهلاك ﴿ وجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ يعني : أنهم فنوا ولم يبق إلا خبرهم ، إن خيراً وإن شرّاً ﴿ فَبُعْداً لقوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[٤٥] ﴿ ثمَّ أرْسَلْنا موسَى وأخَاهُ هَارُونَ بآياتِنا وسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ أي : حجة واضحة ملزمة للخصم ، والمراد بالسلطان : الآيات نفسها .

[٤٦] ﴿ إلى فرعونَ وَمَلَئِهِ فاستكبروا ﴾ عن الانقياد وإرسال بني إسرائيل مع موسى وتحريرهم من تلك العبودية لهم ﴿ وكانوا قوماً عَالِينَ ﴾ متمردين .

[٤٧] ﴿ فَقَالُوا أنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ .

[٤٨] ﴿ فكذَّبوهُمَا فكانوا منَ المُهْلَكِينَ ﴾ أي : المُغْرَقين في البحر .

[٤٩] ﴿ ولَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكتابَ ﴾ التوراة ﴿ لعلَّهم ﴾ قوم ﴿ يهتدونَ ﴾ إلى طريق الحق ، بما فيها من الشرائع والأحكام .

[٥٠] ﴿ وجَعَلْنَا ابنَ مريمَ وأمَّهُ آيةً ﴾ دلالة على قدرتنا الباهرة ﴿ وآوَيْنَاهُمَا ﴾ جعلنا مأواهما أي منزلهما ﴿ إلى ربْوَةٍ ﴾ أرض مرتفعة ﴿ ذاتِ قَرارٍ ﴾ مستقر من أرض منبسطة مستوية ﴿ ومَعِينٍ ﴾ وماء معين ، ظاهر جارٍ ، أو : مُدْرَك العين ، (من عانه) إذا أدركه بعينه .

[٥١] ﴿ يا أيُّهَا الرسلُ ﴾ نداء وخطاب لجميع الأنبياء باعتبار زمان كلٍّ وعهده ﴿ كُلُوا منَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ وإن إباحة الطيبات للأنبياء شرع قديم ، واحتجاجاً على الرهابنة في رفض الطيّبات ﴿ واعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ أي : عملاً صالحاً ، فإنه الذي به سعادة الدارين ﴿ إنّي بما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ لا يخفى عليّ منها شيء ، وموفيكم أجوركم وثوابكم عليها . [٥٢] ﴿ وإنَّ هذهِ أُمَّتُكُمْ ﴾ واعلموا أن هذه ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها ﴿ أمَّةً واحدةً ﴾ ملة واحدة ، وهي شريعة الإسلام ﴿ وأنا ربُّكُمْ ﴾ من غير شريك ﴿ فاتَّقُونِ ﴾ فخافوا عقابي ، في مفارقة الدين والجماعة .

[٥٣] ﴿ فتقطَّعُوا أمرَهُمْ بينَهُمْ زُبُراً ﴾ أي : جعلوا دينهم بينهم قطعاً وفرقاً منوعة ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم ، فرح بباطله ، مطمئن النفس ، معتقد أنه على الحق . [٥٤] ﴿ فَذَرْهُمْ في غَمْرَتِهِمْ ﴾ في جهالتهم ومشيهم على هواهم ، ونبذهم كتاب الله . وشبّه جهالتهم بالماء الذي يغمر القامة ، لأنهم مغمورين فيها ﴿ حتَّى حينٍ ﴾ إلى وقت يستفيقون فيه من سباتهم ، بظهور دين الله وعلو كلمته وهزم عدوه . [٥٥] ﴿ أيَحْسَبُونَ أنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ ﴾ أي : نعطيهم إياه ، ونجعله مدداً لهم ﴿ منْ مَالٍ وبَنِينَ ﴾ .

[٥٦] ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ في الخَيْرَاتِ ﴾ أي : ليس كما يحسبون ﴿ بَلْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ كلاَّ ، لا نفعل ذلك ، بل هم لا يشعرون أصلاً ، كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ، ليتأمّلُوا ويعرفوا أن ذلك الإمداد استدراج لهم واستجرار إلى زيادة الإثم ، وهم يحسبونه معاجلة فيما لهم فيه إكرام .

[٥٧] ﴿ إنَّ الذينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ هم من خوف عذابه حذرون .

[٥٨] ﴿ والذينَ هُمْ بآيات ربِّهم يُؤْمِنُونَ ﴾ . [٥٩] ﴿ والذينَ هُمْ بربِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ ﴾ شركاً جليًّا ، ولا خفيًّا .

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۖ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا
عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ
﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ
ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ
﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ
كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن
ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

[٦٠] ﴿ والذين يُؤْتُونَ ما آتَوْا ﴾ يعطون ما أعطَوْه من الصدقات ﴿ وقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ خائفة ﴿ أنّهم إلى ربِّهم راجِعُونَ ﴾ يخشون الحساب على تقصيرهم .

[٦١] ﴿ أُولئكَ يُسَارِعُونَ في الخيراتِ ﴾ أي : في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الأعمال الصالحة ﴿ وهم لها سابقونَ ﴾ ينالونها قبل الآخرة ، حيث عُجِّلت لهم في الدنيا .

[٦٢] ﴿ ولا نُكَلِّفُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا ﴾ بيان أنه تعالى لا يكلف عباده إلا ما في وسعهم ﴿ ولدَيْنَا كِتابٌ يَنْطِقُ بالحقِّ ﴾ وهو كتاب الأعمال ﴿ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ .

[٦٣] ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ في غَمْرَةٍ منْ هَذَا ﴾ مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ﴿ وَلَهُمْ أعْمَالٌ ﴾ سيئة كثيرة ﴿ مِنْ دُونِ ذلكَ ﴾ الذي ذُكر من كون قلوبهم في غفلة ، وهي فنون كفرهم ومعاصيهم ﴿ هُمْ لها عَامِلُونَ ﴾ معتادون لا يزايلونها .

[٦٤] ﴿ حتَّى إذَا أخذنَا مُتْرَفِيهِمْ ﴾ أي : متنعميهم ﴿ بالعذابِ ﴾ بالانتقام ﴿ إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴾ يصرخون باستغاثة .

[٦٥] ﴿ لا تَجْأَرُوا اليَومَ ﴾ يقال لهم تبكيتاً : لا تصرخوا مستغيثين فإنه غير نافع لكم ﴿ إنّكم منّا لا تُنْصَرُونَ ﴾ .

[٦٦] ﴿ قدْ كانتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ على أعْقَابِكم تَنْكِصُونَ ﴾ تُعرضون عن سماعها .

[٦٧] ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ﴾ بالبيت الحرام ، فشهرتهم بالاستكبار به ، وأن لا مفخر لهم إلا أنهم قُوّامه ﴿ سَامِراً تَهْجُرُونَ ﴾ يعني أنهم يسمرون ليلاً بذكر القرآن وبالطعن فيه ، وتسميته سحراً وشعراً ونحو ذلك .

[٦٨] ﴿ أفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَوْلَ ﴾ أي : القرآن ، ليعلموا أنه الحق المبين ﴿ أمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأوَّلِينَ ﴾ من الهدى والحق ، فاستبدعوه واستبعدوه ، فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال .

[٦٩] ﴿ أمْ لَمْ يَعْرِفُوا رسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ جاحدون بما أرسل به . وهذا توبيخ آخر يشير إلى عظيم جهالتهم ، بأنهم ما عرفوا شأنه ولا دَروا سرَّ ما بُعث به مما يؤسف له . [٧٠] ﴿ أمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ أي : جنون ، وهذا توبيخ آخر ، فيه تعجب من تلوّنهم في الجحود ، وتفننهم في العناد ﴿ بل جَاءَهُمْ بالحَقِّ وأكثَرُهُمْ للحقِّ كارِهُونَ ﴾ لما فيهم من الزيغ والانحراف .

[٧١] ﴿ ولوِ اتَّبَعَ الحقُّ أهواءَهُمْ ﴾ ولو كان ما كرهوه من الحق الذي هو التوحيد والعدل المبعوث بهما الرسول ﷺ موافقاً لأهوائهم المتفرقة في الباطل الناشئة من نفوسهم الظالمة المظلمة ﴿ لَفَسَدَتِ السَّمٰواتُ والأرْضُ ومنْ فيهِنَّ ﴾ لفسد نظام الكون لانعدام العدل الذي قامت به السموات والأرض ، والتوحيد الذي به قوامهما ﴿ بلْ أتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ ﴾ بل هو عظة لهم لو اتعظوا ﴿ فَهُمْ عنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ بالنكوص عنه .

[٧٢] ﴿ أمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً ﴾ أي : جُعلاً على أداء الرسالة ، فلأجل ذلك لا يؤمنون ﴿ فخراجُ ربِّكَ خيْرٌ ﴾ أي : عطاؤه ﴿ وهُوَ خيرُ الرَّازقينَ ﴾ .

[٧٣] ﴿ وإنَّكَ لتَدْعُوهُمْ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ هو طريق التوحيد المستلزم لحصول العدالة في النفس ، ووجود المحبة في القلب وشهود الوحدة .

[٧٤] ﴿ وإنَّ الذينَ لا يُؤمنونَ بالآخِرَةِ عنِ الصراطِ لَنَاكِبُونَ ﴾ أي : منحرفون .

﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ
الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا
إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

[٧٥] ﴿ ولوْ رَحِمْنَاهُمْ ﴾ ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿ وكَشَفْنَا ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ ﴾ ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب ، وضر الجوع والهزال ﴿ لَلَجُّوا في طُغْيَانِهِمْ ﴾ في عتوّهم وجرأتهم على ربهم ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ يترددون .

[٧٦] ﴿ ولقدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالعَذَابِ ﴾ ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا ، وأنزلنا بهم بأسنا وسخطنا وضيّقنا عليهم معايشهم ، وأجدبنا بلادهم ، وقتلنا سراتهم بالسيف ﴿ فَمَا استكانُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ فما خضعوا لربهم فانقادوا لأمره ونهيه ، وأنابوا إلى طاعته ﴿ وما يتضرَّعُونَ ﴾ التضرّع : الدعاء .

[٧٧] ﴿ حتَّى إذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ باباً ذَا عَذَابٍ شديدٍ ﴾ يعني ما نزل بهم من القتال والقتل يوم بدر ، أو باب المجاعة والضر ﴿ إذَا هُمْ فيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ حزنى نادمون على ما سلف منهم ، في تكذيبهم بآيات الله ، في حين لا ينفعهم الندم والحزن .

[٧٨] ﴿ وَهُوَ الذي أنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ والأبصَارَ والأفْئِدَةَ ﴾ لتسمعوا وتبصروا وتفقهوا ﴿ قليلاً ما تَشْكُرُونَ ﴾ نعمةَ الله في ذلك ، بصرفها لما خلقت له .

[٧٩] ﴿ وهُوَ الذي ذَرَأَكُمْ في الأرْضِ ﴾ أي : خلقكم وبثكم بالتناسل فيها ﴿ وإليهِ تُحْشَرُونَ ﴾ تُجمعون يوم القيامة ، بعد تفرقكم إلى موقف الحساب .

[٨٠] ﴿ وهُوَ الذي يُحيي ﴾ خلقه ، يجعلهم أحياء ، بعدما كانوا نطفاً أمواتاً ، ينفخ الروح فيها ، بعد الأطوار التي تأتي عليها ﴿ ويُميتُ ولَهُ اختلافُ الليلِ والنَّهارِ ﴾ بالطول والقصر ﴿ أفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ أن من أنشأ ذلك ابتداء من غير أصل ، لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم .

[٨١] ﴿ بل قَالُوا مِثْلَ مَا قالَ الأوَّلُونَ ﴾ من الأمم المكذبة رسلها .

[٨٢] ﴿ قَالُوا أإذا مِتْنَا وكنَّا تُراباً وعِظاماً أإنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ أحياء ، كهيئتنا قبل الممات .

[٨٣] ﴿ لقدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وآباؤنا هَذَا من قَبْلُ ، إنْ هذا إلا أساطيرُ الأوَّلينَ ﴾ أي : ما سطروه في كتبهم مما لا حقيقة له .

[٨٤] ﴿ قُلْ : لِمَنِ الأرْضُ ومنْ فيها إن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

[٨٥] ﴿ سيقولون للَّهِ ، قُلْ أفلا تَذَكَّرُونَ ﴾ فتعلمون أن من ابتدأ ذلك ، قادر على إعادته .

[٨٦] ﴿ قُلْ : مَنْ ربُّ السَّمٰواتِ السَّبْعِ وربُّ العَرْشِ العَظِيمِ ﴾ .

[٨٧] ﴿ سَيَقُولُونَ للَّهِ ، قُلْ أفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ عقابه على شرككم به ، وتكذيبكم خبره وخبر رسوله .

[٨٨] ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شيءٍ وهُوَ يُجِيرُ ﴾ يغيث من أراد ، ممن قُصِدَ بسوء ﴿ ولا يُجَارُ عليهِ ﴾ ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء ، فيدفع عنه عذابه وعقابه ﴿ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

[٨٩] ﴿ سَيَقُولُونَ للَّهِ ، قُلْ فأنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ أي : تُخدعون عن توحيده وطاعته ، مع ظهور الأمر وتظاهر الأدلّة .

بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾
ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

[٩٠] ﴿ بلْ أتَيْنَاهُمْ بالحقِّ وإنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ في دعواهم أن له ولداً ومعه شريكاً .

[٩١] ﴿ ما اتَّخذَ اللَّهُ منْ وَلَدٍ وَمَا كان مَعَهُ مِنْ إلهٍ ، إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلهٍ بما خَلَقَ ، ولَعَلاَ بعضُهم على بعْضٍ ﴾ لأنه يجب أن يتخالفا بالذات ، وإلاَّ لَـما تُصُوِّرَ العددُ . والمتخالفان بالذات يجب أن يتخالفا في الأفعال ، فيذهب كُلٌّ بما خلقه ، ويستبد به ، ويظهر بينهم التحارب والتغالب ، فيفسد نظام الكون ﴿ سُبْحَانَ اللَّه عمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

[٩٢] ﴿ عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ فتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الغيب : ما غاب ، والشهادة : ما شوهد .

[٩٣] ﴿ قُلْ : ربِّ إمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾ من العذاب . أي : إن كان لابد من أن تريني .

[٩٤] ﴿ ربِّ فَلاَ تَجْعَلْني في القومِ الظَّالمينَ ﴾ أي : نَجِّني مِنْ عَذَابهم .

[٩٥] ﴿ وإنَّا عَلَى أنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ ﴾ منَ العذاب ﴿ لَقَادِرُونَ ﴾ وإنّما نؤخره لحكمة بلوغ الكتاب أجله .

[٩٦] ﴿ ادفعْ بالتي هيَ أحْسَنُ ﴾ بالخلة التي هي أحسن الخلال ، وهو العفو والصفح ﴿ السَّيِّئَةَ ﴾ يعني أذى المشركين ﴿ نحنُ أعلمُ بما يصفُونَ ﴾ فَسَيَرَوْنَ جزاءه .

[٩٧] ﴿ وقلْ ربِّ أعوذُ بكَ منْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ أي : وساوسهم المغرية على الباطل والشرور والفساد ، والصدّ عن الحق .

[٩٨] ﴿ وأعُوذُ بِكَ ربِّ أنْ يَحْضُرُونِ ﴾ أي : يحضروني في حال من الأحوال .

[٩٩] ﴿ حتَّى إذَا جاءَ أحَدَهُمُ المَوْتُ ﴾ [قال ابن جرير: قال ابن زيد : حين تنقطع الدنيا ويعاين الآخرة ، قبل أن يذوق الموت] ﴿ قالَ ربِّ ارْجِعُونِ ﴾ إلى الدنيا فردوني إليها .

[١٠٠] ﴿ لعلِّي أعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ والمعنى : حتى إذا احتضر وشاهد أمارات العذاب ، وعاين وحشة هيئات السيئات ، تمنى الرجوع ، وأظهر الندامة ، ونذر العمل الصالح في الإيمان الذي ترك ﴿ كلاَّ إنَّها كلمةٌ ﴾ يعني قوله : ﴿ ربِّ ارجعون ﴾ ﴿ هُوَ قائِلُهَا ﴾ أي : لا يجاب إليها ولا تسمع منه ﴿ ومِنْ ورائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ حائل يحول بينهم وبين الرجعة ، يلبثون فيه إلى يوم القيامة .

[١٠١] ﴿ فإذَا نُفِخَ في الصُّورِ فلا أنْسَابَ بَيْنَهُمْ يومَئِذٍ ﴾ لشدة الهول من هجوم ما شغل البال حتى زال به التعاطف والتآلف ﴿ ولا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً ، لعظم الفزع وشدة ما بهم من الأهوال . [عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ ، وأهل النارِ النارَ ، نادى منادٍ من أهل العرش : يا أهل التظالم تداركوا مظالمكم ، وادخلوا الجنة) أخرجه ابن جرير] .

[١٠٢] ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أي : رجحت حسناته ﴿ فأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ [يعني الخالدون في جنات النعيم ـ ابن جرير] .

[١٠٣] ﴿ ومَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فأولئِكَ الذينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ ﴾ بتضييع ما منحت من الاستعداد لأن تربح في تجارة الكمال ، بفطرة الإيمان وصالح الأعمال ﴿ في جهنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ .

[١٠٤] ﴿ تَلْفَحُ وجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ تحرقها ، وتخصيص الوجوه لأنها أشرف الأعضاء ﴿ وَهُمْ فيها كَالِحُونَ ﴾ مشوهون ، قبيحو المنظر .

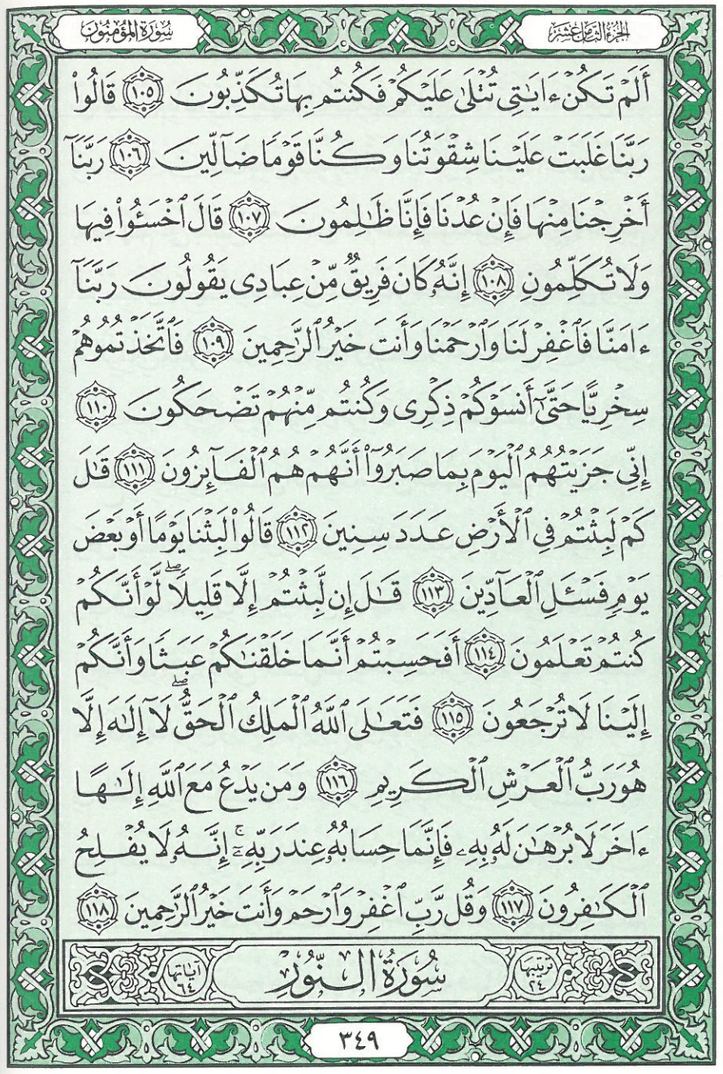

[١٠٥] ﴿ ألَمْ تكُنْ آيَاتي تُتْلى عَلَيْكُمْ فكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبونَ ﴾ .

[١٠٦] ﴿ قَالُوا ربَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا ﴾ أي : ملكتنا ﴿ شِقْوَتُنَا ﴾ التي اقترفناها بسوء اختيارنا ﴿ وكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ ﴾ عن الحق ، ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب .

[١٠٧] ﴿ ربَّنَا أخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾ من النار ﴿ فإنْ عُدْنَا فإنَّا ظَالِمُونَ ﴾ وأرجعنا إلى الدنيا ، فإن عدنا بعد ذلك إلى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي ، فإنا متجاوزون الحدّ في الظلم .

[١٠٨] ﴿ قَالَ اخْسَؤُوا فيها ﴾ أي : ذلوا فيها كخسىء الكلاب ﴿ ولا تُكَلِّمُونِ ﴾ في رفع العذاب ، فإنه لا يرفع ولا يخفف . [روى ابن جرير عن قتادة قوله في هذه الآية ، : بلغني أنهم ينادون مالكاً فيقولون : ليقض علينا ربك ، فيسكت عنهم قدر أربعين سنة ثم يقول ﴿إنكم ماكثون﴾ الزخرف : ٧٧ ، قال : ثم ينادون ربهم ، فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ، ثم يقول : ﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾ قال : فييأس القوم ، فلا يتكلمون بعدها كلمة ، وكان إنها هو الزفير والشهيق . قال قتادة : صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق] .

[١٠٩] ﴿ إنَّهُ كان فريقٌ مِنْ عِبَادِي ﴾ وهم المؤمنون ﴿ يَقُولُونَ ربَّنَا آمنَّا فاغفِرْ لنا وارْحَمْنَا وأنتَ خَيْرُ الرَّاحمينَ ﴾ .

[١١٠] ﴿ فاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حتَّى أنْسَوْكُمْ ﴾ بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ﴿ ذِكْري وكُنْتُم منْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ . ثم أشار تعالى لبيان حسن حالهم ، وأنهم انتفعوا بما آذوهم ، بقوله :

[١١١] ﴿ إنّي جزيتُهُمُ اليومَ بِمَا صَبَرُوا أنَّهم هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ .

[١١٢] ﴿ قَالَ ﴾ الله تعالى ، أو المَلَكُ المأمور بسؤالهم ﴿ كمْ لَبِثْتُمْ في الأرْضِ عَدَدَ سنينَ ﴾ .

[١١٣] ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يوماً أو بعْضَ يوْمٍ فاسْأَلِ العَادِّينَ ﴾ فسل من فيه أن يعدّ ، ويقدر أن يلقى إليه فكره . وقيل : فسل الملائكة الذين يعدُّون أعمار العباد ويحصون أعمالهم .

[١١٤] ﴿ قالَ إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ قليلاً ، لَوْ أنَّكم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ شيئاً مَا ، أو لو كنتم من أهل العلم .

[١١٥] ﴿ أفَحَسِبْتُمْ أنَّما خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً ﴾ بغير حكمة حتى أنكرتم البعث ﴿ وأنَّكم إلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ للجزاء .

[١١٦] ﴿ فتَعَالَى اللَّهُ ﴾ أي : تعاظم عما تصفون ، لأنه ﴿ المَلِكُ الحَقُّ ﴾ المتصرف وحده الذي قصد بالخلق معرفته وعبادته ﴿ لا إلهَ إلاَّ هوَ ربُّ العَرْشِ الكريمِ ﴾ أي : العظيم المجيد .

[١١٧] ﴿ ومَنْ يَدْعُ معَ اللَّهِ إلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ فإنَّما حسابُه عندَ ربِّهِ إنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافِرُونَ ﴾ لا ينجح أهل الكفر بالله ، عنده ، ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم .

[١١٨] ﴿ وقُلْ : ربِّ اغْفِرْ وارْحَمْ وأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ أي : خير من رحم ذا ذنب ، فقبل توبته .

[سورة النور]

سميت سورة النور بالنور لاشتمالها على ما أمكن من بيان النور الإلهي . وهي مدنيّة . وقيل الآية ٥٨ مكية . وآياتها ٦٤ آية .

[١] ﴿ سُورَةٌ أنْزَلْنَاهَا ﴾ أي : هذه السورة ﴿ وفَرَضْنَاهَا ﴾ وأوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعيّاً ﴿ وأنْزَلْنَا فِيهَا آياتٍ بيِّناتٍ لعلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي : تتذكرونها فتعملون بموجبها .

[٢] ﴿ الزَّانية والزَّاني فاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ كل من زنى من الرجال والنساء ، فأقيموا عليه هذا الحد ، وهو جلده مائة جلدة ، عقوبة لما صنع ﴿ وَلاَ تأْخُذْكُمْ بِهِمَا رأْفَةٌ في دينِ اللَّهِ ﴾ أي : رقة ورحمة في طاعته فيما أمركم به ، من إقامة الحد عليهما ، على ما ألزمكم به ﴿ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ ﴾ فإن من كان بذلك مصدِّقاً ، فإنه لا يخالف الله في أمره ونهيه ﴿ وليَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ منَ المُؤْمِنينَ ﴾ وليحضر جلدهما طائفة من أهل الإيمان بالله ورسوله .

[٣] ﴿ الزَّاني لا يَنْكِحُ إلاَّ زانيةً أوْ مُشْرِكَةً ﴾ فأما تحريم نكاح الزانية فقد تكلم فيه الفقهاء ، وفيه آثار عن السلف ، وليس مع من أباحه ما يُعتمد عليه ، وقد ادّعى بعضهم أنها منسوخة بقوله : ﴿والمُحْصَنَاتُ منَ النِّساءِ إلاَّ ما مَلَكتْ أيمانُكُمْ ﴾ وزعموا أن البغيَّ من المحصنات ، وتلك حجة عليهم ، فإن أقل ما في الإحصان العفَّة ﴿ والزَّانيةُ لا يَنْكِحُهَا إلاَّ زانٍ أوْ مُشْرِكٌ ﴾ أمَّا المشرك فلا إيمان له يزجره عن الفواحش ومجامعة أهلها ، وأما الزاني ففجوره يدعوه إلى ذلك ، وإن لم يكن مشركاً ﴿ وحُرِّمَ ذلكَ على المؤمنينَ ﴾ .

[٤] ﴿ والذينَ يَرْمُونَ ﴾ أي : يقذفون ـ يتهمون ـ بالزنى ﴿ المُحْصَنَاتِ ﴾ المسلمات الحرائر العاقلات البالغات العفيفات عن الزنى ﴿ ثمَّ لم يَأْتُوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ يشهدون على ما رموهن به ﴿ فاجلدوهم ثمانينَ جَلْدَةً ﴾ أي : كل واحد من الرامين ، وتخصيص النساء لخصوص الواقعة ، ولأن قذفهن أغلب وأشنع ، وإلا فلا فرق فيه بين الذكر والأنثى ﴿ ولا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادةً أبداً ﴾ في أي واقعة كانت ، لظهور كذبهم ﴿ وأولئك هُمُ الفاسِقُونَ ﴾ لخروجهم عما وجب عليهم من رعاية حقوق المحصنات .

[٥] ﴿ إلاَّ الذينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ ﴾ القذف ﴿ وأصْلَحُوا ﴾ أعمالهم ﴿ فإنَّ اللَّهَ غفورٌ رَحِيمٌ ﴾ بقبول توبتهم وعفوه عنهم .

[٦] ﴿ والذينَ يَرْمُونَ أزْواجَهُمْ ﴾ أي : يتهمونهن بالزنى ﴿ ولمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إلاَّ أنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أحَدِهِم أربَعُ شهاداتٍ باللَّهِ إنَّهُ لَمِنَ الصَّادقين ﴾ فيما رماها به من الزنى . [٧] ﴿ والخَامِسَةُ ﴾ والشهادة الخامسة للأربع المتقدمة ﴿ أنَّ لعنةَ اللَّهِ عليهِ إنْ كانَ منَ الكَاذِبِينَ ﴾ فيما رماها به من الزنى ، فيسقط عنه حد القذف ، ويجب عليها الحد وهو الرجم ، إلاَّ إن لاعنت أيضاً . [٨] ﴿ ويَدْرأُ عَنْهَا العذابَ ﴾ الدنيويّ وهو الرجم ﴿ أن تَشْهَدَ أرْبَعَ شَهَادَاتٍ باللَّهِ إنَّهُ لمنَ الكاذِبِينَ ﴾ فيما رماها به من الزنى . [٩] ﴿ والخَامِسَةَ أنَّ غضبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إنْ كانَ ﴾ الزوج ﴿ من الصَّادقينَ ﴾ في اتهامه ـ قذفه ـ إياها . [١٠] ﴿ ولوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ وأنَّ اللَّهَ توَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ لحرجتم وشق عليكم كثير من أموركم ، ولكن لرحمته ولطفه ، شرع لكم من الفرج والمخرج ، ما أنزله وأحكمه .

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ
كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

[١١] ﴿ إنَّ الذينَ جاؤوا بالإفْكِ ﴾ بأبلغ ما يكون من الكذب ، وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك . والمراد به ما أفك به الصدّيقة ، أم المؤمنين [عائشة] رضي الله عنها . وفي لفظ : المجيء ، إشارة إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل ﴿ عُصبةٌ مِنكُمْ ﴾ أي : جماعة منكم ﴿ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ﴾ والخطاب لرسول الله ﷺ ولآل الصِّدِّيق رضي الله عنهم، ولمن ساءه ذلك من المؤمنين﴿ بَلْ هو خَيرٌ لَكُمْ ﴾ بل قد جرَّ لكم خيراً عظيماً ﴿ لكُلِّ امرِىءٍ منهم مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإثْم ﴾ أي : جزاؤه ، وذلك الذم في الدنيا إلى يوم القيامة والجلد ثمانين ، ولعذاب الآخرة أشد ﴿ والذي تولّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ﴾ أي : قام بعظمه وإشاعته ، بعد ابتدائه بالخوض فيه ، وهو عبد الله بن أُبيّ ﴿ لَهُ عذابٌ عظيمٌ ﴾ .

[١٢] ﴿ لَوْلاَ ﴾ تحضيضية بمعنى : هلاّ ﴿ إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ والمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خيراً ﴾ يجعلهم كنفس واحدة ، فمن عاب مؤمناً فكأنما عاب نفسه ﴿ وقالوا: هذا إفكٌ مُبين ﴾ أي : هذا الذي سمعناه ، من رمي أم المؤمنين ، إفك مبين جليٌّ لمن عقل وفكر فيه .

[١٣] ﴿ لَوْلا جَاؤُوا عليهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ هلاّ استشهدوا عليه أربعة شهداء عدولاً من المسلمين ﴿ فإذْ لمْ يأتُوا بالشُّهَدَاءِ فأولئكَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ في حكمه وشريعته ﴿ هُمُ الكَاذِبُونَ ﴾ وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجدّوا في دفعه وإنكاره .

[١٤] ﴿ ولَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ في الدُّنيا والآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فيهِ عذابٌ عظيمٌ﴾ لعوجلتم بالعقاب، بسبب ما خُضْتُم فيه من الإفك .[١٥] ﴿ إذْتَلَقَّوْنَهُ ﴾ تستمعوه بعضكم من بعض ﴿ بألسنتكم وتَقُولُونَ بأفْواهِكُمْ ما ليسَ لكم بِهِ عِلْمٌ ﴾ تأكيد على أن الإفك ما هو إلا قول يجري على الألسن والأفواه من غير يقين قلبي ﴿ وتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً ﴾ أي : لا عقوبة على مشيّعه ﴿ وهُوَ عندَ اللَّهِ عظيمٌ ﴾ في الوزر واستجرار العذاب .

[١٦] ﴿ ولولا إذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ﴾ تكذيباً لمشيّعيه ﴿ ما يكونُ لنَا ﴾ ما يصح لنا بوجهٍ ما ﴿ أنْ نتكلَّم بِهذَا ، سُبْحَانَكَ هذا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ كذب عظيم يستحيل صدقه .

[١٧] ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أنْ تَعُودُوا لمثْلِهِ أبَداً إنْ كُنْتُمْ مُؤمِنِينَ ﴾ فالإيمان يصدّ عن كل قبيح .

[١٨] ﴿ويُبَيِّنُ اللَّهُ لكُمُ الآيَاتِ﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدّبوا بها ﴿واللَّهُ عليمٌ حكيمٌ﴾ .

[١٩] ﴿إنَّ الذينَ يُحِبُّونَ أنْ تشيعَ الفاحِشَةُ﴾ وهي الفِرية والرمي بالزنى ونحوه، كاللواط وما عظم فحشه ﴿في الذينَ آمَنُوا لَهُمْ عذابٌ أليمٌ في الدُّنْيَا﴾ من الحدّ وغيره من العقوبات الزاجرة ﴿والآخِرَةِ﴾ من عذاب النار ﴿واللَّهُ يعلمُ﴾ ما في القلوب من الأسرار والضمائر ﴿وأنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة، وهو مُعاقِبُهُ عليها .

[٢٠] ﴿ ولَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ وأنَّ اللَّهَ رَؤوفٌ رَحِيمٌ ﴾ تكرير للمنَّة ، بترك المعاجلة بالعقاب ، للدلالة على عظم الجريمة ، وحذف الجواب وهو : لمسَّكم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى
مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ
ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟
وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

[٢١] ﴿ يا أيُّهَا الذينَ آمَنُوا لا تتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ﴾ بإشاعة الفاحشة ﴿ ومَنْ يتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فإنَّهُ يأمُرُ بالفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ ، ولَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُم وَرَحْمَتُه ما زكى ﴾ ما طهر من دنسها ﴿ منكم من أحدٍ أبداً ﴾ [قال ابن عباس : أي : ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه، ولم يتق شيئاً من الشر يدفعه عن نفسه ـ ابن جرير] ﴿ولكنَّ اللَّهَ يُزكِّي من يشاءَ ﴾ من عباده بإلهامه التوبة والإنابة ﴿ واللَّهُ سميعٌ عليمٌ ﴾ .

[٢٢] ﴿ ولا يَأْتَلِ ﴾ لا يحلف ﴿ أُولُوا الفَضْلِ مِنكُمْ والسَّعَةِ ﴾ الأغنياء الذين يملكون ما يفيض عن حاجاتهم ﴿ أنْ يُؤتُوا أُولي القُرْبى والمَسَاكِينَ والمُهَاجِرِينَ في سبيلِ اللَّهِ وليَعْفُوا وليَصْفَحُوا ﴾ عمن أساء إليهم ، فلا يحلفون أن يمنعوا الصدقات عنه ﴿ ألا تحبُّون أنْ يغفرَ اللَّهُ لكُمْ ، واللَّهُ غفورٌ رحيمٌ ﴾ وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربُّهم ، مع كثرة خطاياهم وذنوبهم . وقد نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لمّا حلف ألا يصل مسطح بن أثاثة وكان يعوله من قبل لأنه تحدّث بالإفك على عائشة رضي الله عنها .[قالت عائشة رضي الله عنها : فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً ـ ابن جرير] .

[٢٣] ﴿ إنَّ الذينَ يَرْمُونَ ﴾ يتهمون بالباطل ﴿ المُحْصَنَاتِ الغافِلاتِ المؤمناتِ ﴾ العفائف عن الفاحشة ، النقيّات القلوب عنها ﴿ لُعِنُوا في الدُّنْيَا ﴾ بالذم والحد وردّ الشهادة إلا إذا تابوا ﴿ والآخِرَةِ ﴾ حيث يلعنهم ثمة الملائكة ومن شاء الله ﴿ ولَهُمْ عذابٌ عظيمٌ ﴾ ورجح ابن جرير أن هذه الآية [نزلت في شأن عائشة، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه بها فيها] .

[٢٤] ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وأَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُمْ بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي : يعترفون بها بإنطاق الله تعالى إياها أو بظهور آثار ما عملوه عليها .

[٢٥] ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي : يوم إذ تشهد عليهم أعضاؤهم بما ذُكِرَ ﴿ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دينَهُمْ ﴾ أي : جزاءهم ﴿ الحَقَّ ﴾ الواجب الثابت ﴿ ويَعْلَمُونَ أنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ ﴾ المظهر للأمور كما هي في أنفسها .

[٢٦] ﴿ الخبيثاتُ ﴾ من النساء ﴿ للخبيثينَ ﴾ من الرجال ﴿ والخبيثون للخبيثاتِ والطيِّباتُ للطيِّبين والطيِّبونَ للطيِّباتِ ﴾ بحيث لا يكاد يتجاوز كلُّ واحد إلى غيره ، وحيث كان رسول الله ﷺ أطيب الأطيبين ، وخيرة الأولين والآخرين ، تبين كون الصدّيقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات بالضرورة ، واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات ﴿ أولئكَ مُبرَّؤونَ مِمَّا يَقُولُونَ ، لَهُم مَغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ وهو الجنة .

[٢٧] ﴿ يا أيُّهَا الذينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُم حتَّى تَسْتَأْنِسُوا ﴾ حتى يؤذن لكم ﴿ وتُسَلِّمُوا عَلَى أهْلِهَا ، ذلِكُمْ ﴾ الاستئذان والتسليم ﴿ خيرٌ لكُمْ ﴾ من الدخول بغتة ﴿ لعلَّكم تذكَّرُونَ ﴾ فتتعظوا وتعملوا بموجبه .[ومن أدب الاستئذان ألا يقف تلقاء الباب بوجهه ، ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره ، فقد جاء رجل على باب النبي ﷺ يستأذن ، فقام على الباب ـ يعني مستقبل الباب ـ فقال له النبي ﷺ : (هكذا عنك ـ أو هكذا ـ فإنما الاستئذان من النظر) ـ ابن كثير] .

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن
قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾
قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ
ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ
ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ
ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟
إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

[٢٨] ﴿ فإنْ لمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً ﴾ من الآذنين ﴿ فلا تَدْخُلُوهَا حتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ واصبروا حتى تجدوا من يأذن ﴿ وإن قيلَ لكُمُ ارجِعُوا فارجِعُوا ﴾ إن أُمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع فارجعوا ولا تلحّوا بتكرار الاستئذان ﴿ هُوَ ﴾ الرجوع ﴿ أزْكى لكُمْ ﴾ أطهر مما لا يخلو عنه الإلحاح والوقوف على الأبواب من دنس الدناءة ﴿ واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ فيجزيكم على نيتكم الحسنة في الزيارة ، أو المكر والخيانة بأهل المزور أو ماله .

[٢٩] ﴿ ليسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تدْخُلُوا ﴾ بغير استئذان ﴿ بُيُوتاً غَيْرَ مسكونةٍ ﴾ غير معدّة لسكنى طائفة مخصوصة ، بل ليتمتع بها كائناً من كان ، كالخانات والحمامات وبيوت الضيافات ﴿ فيهَا متاعٌ لكُمْ ﴾ منفعة وحاجة ﴿ واللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ وعيد لمن يدخل مدخلاً من هذه المداخل ، لفسادٍ ، أو اطلاع على عورات .

[٣٠] ﴿ قُلْ للمؤمنين يغضُّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ ﴾ أي : مقتضى إيمانكم الغض عما حرّم الله تعالى النظر إليه ﴿ ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ عن الإفضاء بها إلى محرم ﴿ ذلكَ ﴾ الغض والحفظ ﴿ أزْكى لَهُمْ ﴾ أطهر للنفس وأتقى للدين ﴿ إنَّ اللَّهَ خبيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ وكيف يجيلون أبصارهم ، وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم .

[٣١] ﴿ وقُلْ للمؤمناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصَارِهِنَّ ويَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ بالتستر والتصوّن عن الزنى . ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبيّ إلى ما تحت سرّته إلى ركبته ، وإن اشتهت غضت بصرها رأساً ﴿ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ الزينة : ما تزيّنت به المرأة من حليّ أو كحل أو خضاب . فما كان ظاهراً منها ، كالخاتم والكحل والخضاب ، فلا بأس بإبدائه ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ أي وليسترن بأقنعتهن شعورهن وأعناقهن وصدورهن بإلقائها على مواضع الجيوب في النحر والصدور ﴿ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ لأزواجهنّ فإنهم المقصودون بالزينة ﴿ أوْ آبائهنَّ أو آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أو أبْنائِهِنَّ أو أبْنَاءِ بُعُولَتِهِن أوْ إخْوانِهِنَّ أوْ بني إخوانِهِنَّ أَوْ بني أَخَوَاتِهِنَّ ﴾ لأن هؤلاء محارمهن الذين تؤمن الفتنة من قبلهم ﴿ أوْ نِسَائِهِنَّ ﴾ قيل : هن المؤمنات . فليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية . وقيل : النساء كلهن ، فإنهن سواء في حلِّ نظر بعضهن إلى بعض ﴿ أوْ مَا مَلَكَتْ أيْمَانُهُنَّ ﴾ وظاهر الآية يشمل العبيد والإماء ، وإليه ذهب قوم ، وهذا الذي قطع به الشافعيّ وجمهور أصحابه . وذهب قوم إلى أنه عنى بذلك الإماء المشركات ، وأنه يجوز لها أن تُظهر زينتها إليهن وإن كن مُشركات ﴿ أو التَّابعينَ ﴾ أي : الخدام لأنهن في معنى العبيد ﴿ غَيْرِ أولِي الإرْبَةِ ﴾ أي : الحاجة إلى النساء ﴿ منَ الرِّجَالِ ﴾ كالشيخ الهرم والبله ، واستدل بهذا من أباح نظر الخصيّ ﴿ أو الطِّفْلِ الذينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ أي : لم يفهموا أحوالهن لصغرهم . فيستدل به على تحريم نظر المراهق الذي فهم ذلك كالبالغ ﴿ ولا يَضْرِبْنَ ﴾ الأرض ﴿ بأرجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ ﴾ عن الأبصار ﴿ من زِينَتِهِنَّ ﴾ كالخلخال فإن ذلك مما يورث الرجال ميلاً إليهن ، ويوهم أن لهن ميلاً إليهم ﴿ وتُوبُوا إلى اللَّهِ جميعاً أيُّهَا المُؤْمِنُونَ ﴾ أي : ارجعوا إليه بالعمل بأوامره واجتناب نواهيه ﴿ لعلَّكم تُفْلِحُونَ ﴾ لكي تفوزوا بسعادة الدارين .

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن
يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا
تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ
لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾

[٣٢] ﴿ وأنْكِحُوا الأيَامَى منكُمْ ﴾ أي : زوجوا . والأيامى : جمع أيِّم ، من لا زوجة له أو لا زوج لها بكرين كانا أو ثيِّبين ﴿ والصَّالحينَ منْ عبادِكُمْ وإمَائِكُمْ ﴾ ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم ﴿ إنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ واللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي : غنيٌّ ذو سعة ، لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته .

[٣٣] ﴿ وليَسْتَعْفِفِ الذينَ لا يجدونَ نِكاحاً حتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّه مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي : وليجتهد في العفة الذين لا يجدون أسباب الزواج ﴿ والذينَ يبتغُونَ الكِتَابَ مِمَّا ملكتْ أيْمانُكُمْ فكاتبُوهُمْ ﴾ والمكاتبة أن يعرض السيد على عبده عتقه مقابل مال يؤديه العبد لسيده في مدّة محدّدة ﴿ إنْ عَلِمْتُمْ فيهم خَيْراً ﴾ كالأمانة ، والقدرة على الكسب والصلاح ﴿ وآتُوهُمْ منْ مَالِ اللَّهِ الذي آتاكُمْ ﴾ أمر للموالي ببذل شيء من أموالهم . وفي حكمه ، حط شيء من مال الكتابة . ولغيرهم بإعطائهم من الزكاة إعانة لهم على تحريرهم ﴿ ولا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ ﴾ أي : إماءكم ﴿ على البِغَاءِ ﴾ وهو الزنى ﴿ إنْ أرَدْنَ تَحَصُّناً ﴾ ﴿ إنْ ﴾ هنا ليست لتخصيص النهي بإرادتهن التعفف عن الزنى وجواز إكراههن إن لم يردن الإحصان ، بل المقصود النهي عن إكراههن على كل حال ﴿ لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحياةِ الدُّنْيا ﴾ يعني من كسبهن وأولادهن ﴿ وَمَنْ يُكْرِههُنَّ ﴾ على ما ذكر من البغاء ﴿ فإنَّ اللَّهَ من بَعْدِ إكراهِهِنَّ غفورٌ رحيمٌ ﴾ لهنَّ .

[٣٤] ﴿ ولقدْ أنْزَلنا إليكُمْ آياتٍ مُبيِّناتٍ ﴾ واضحات أو مفسرات للأحكام الشرعية ﴿ ومثلاً منَ الذينَ خَلَوْا منْ قَبْلِكُمْ ﴾ أي : خبراً عظيماً عن الأمم الماضية وما حل بهم ، بظلمهم وتعدّيهم حدود الله تعالى ﴿ ومَوْعِظَةً للمتَّقينَ ﴾ فيتعظون به وينزجرون عما لا ينبغي لهم .

[٣٥] ﴿ اللَّهُ نورُ السَّمٰواتِ والأرْضِ ﴾ أي : منوِّرهما بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار ، أو مدبرهما أو موجدهما ، فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره ﴿ مَثَلُ نورِه ﴾ أي : صفة نوره العجيبة الشأن ، وهو القرآن المبين ﴿ كمشكاةٍ ﴾ كصفة كوّة غير نافذة في الجدار ، في الإنارة والتنوير ﴿ فيها مِصْباحٌ ﴾ أي : سراج شديد الإضاءة ، وقيل : المشكاة : الأنبوبة في وسط القنديل ، والمصباح : الفتيلة المشتعلة ﴿ المِصْبَاحُ في زُجَاجَةٍ ﴾ أي : قنديل من الزجاج الصافي الأبيض ﴿ الزُّجَاجَةُ كأنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ متلألىء وقّاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته ﴿ يُوقَدُ من شجرةٍ مباركةٍ ﴾ كثيرة المنافع ، بأن رويت فتيلته بزيتها ﴿ زيتُونةٍ لا شَرْقيةٍ ولا غَرْبِيَّةٍ ﴾ في مكان عليها الشمس مشرقة من أول طلوعها إلى آخر غروبها ، كصحراء أو رأس جبل ﴿ يكادُ زَيْتُها يضيء ولوْ لمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ لصفائه ولمعانه ﴿ نورٌ على نُورٍ ﴾ ذلك النور الذي عبّر به عن القرآن ، نور عظيم كائن على نور كذلك ﴿ يهدي اللَّهُ لِنُورِهِ من يشاءُ ﴾ بأن يوفقهم للإيمان به وفهم دلائل حقيّته ﴿ ويضربُ اللَّهُ الأمْثَالَ للنَّاسِ ﴾ ليدني لهم المعقول من المحسوس ، توضيحاً وبياناً ، ولذلك مثّل نوره المعبّر عنه بالقرآن ، بنور المشكاة ﴿ واللَّهُ بِكُلِّ شيءٍ عَلِيمٌ ﴾ فلا يخفى عليه شيء . وفيه وعد ووعيد .

[٣٦] ﴿ في بيوتٍ أذِنَ اللَّهُ أن تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فيها اسْمُه ﴾ المراد بالبيوت : المساجد كلها ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فيهَا بالغُدُوِّ ﴾ قبل طلوع الشمس ﴿ والآصَالِ ﴾ جمع أصيل وهو العشيّ قبل غروب الشمس .

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ
ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ
بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا
وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن
فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ
يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ
عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾

[٣٧] ﴿ رجالٌ لا تُلْهِيهِم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذِكرِ اللَّهِ ﴾ بالتسبيح والتحميد ﴿ وإقامِ الصَّلاةِ ﴾ إقامتها لمواقيتها من غير تأخير ﴿ وإيتاءِ الزَّكاةِ ﴾ المال الذي يتزكى مُؤتيه من دنس الشح ورذيلة البخل ، وتطهر نفسه ويصفو سره ﴿ يخافونَ يوماً تتقلَّبُ فيهِ القُلُوبُ والأبصارُ ﴾ أي : تضطرب وتتغير من الهول والفزع .

[٣٨] ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أحْسَنَ ما عَمِلُوا ويَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، واللَّهُ يَرْزُقُ منْ يشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ ﴾ كناية عن السعة ، والمراد أنه لا يدخل تحت حساب الخلق وعدِّهم .

[٣٩] ﴿ والذينَ كَفَرُوا ، أعمالُهُمْ ﴾ التي يحسبونها تنفعهم وتأخذ بيدهم من العذاب ﴿ كَسَرابٍ ﴾ وهو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة ، يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري ﴿ بِقِيعَةٍ ﴾ بمعنى : القاع ، وهو المنبسط من الأرض ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حتَّى إذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شيئاً ووجدَ اللَّهَ عندَهُ ﴾ أي : وجد عقاب الله عند السراب ، أو العمل . وفي التعبير بذلك زيادة تهويل ﴿ فوفَّاهُ حِسابَهُ ، واللَّهُ سَرِيعُ الحِسابِ ﴾ .

[٤٠] ﴿ أوْ كظلماتٍ في بحرٍ لُجِّيٍّ ﴾ عميق كثير الماء ﴿ يغشاهُ موجٌ من فوقِهِ موجٌ ﴾ متراكم بعضه على بعض ﴿ من فوقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بعضُها فوقَ بَعْضٍ ﴾ متكاثفة متراكمة ﴿ إذا أخرجَ يدَهُ ﴾ وجعلها بمرأى منه ، قريبة من عينه لينظر إليها ﴿ لمْ يكدْ يَراها ، ومَنْ لم يَجعَلِ اللَّهُ لهُ نوراً فما له من نُورٍ ﴾ ومن لم يشأ الله أن يهديه لنوره الذي هو القرآن ، فما له هدايةٌ ما . [وفي الصحيحين أنه يقال يوم القيامة لليهود : (ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد عزير ابن الله . فيقال : كذبتم ، ما اتخذ الله من ولد ، ماذا تبغون ؟ فيقولون : يا رب عطشنا فاسقنا . فيقال : ألا ترون ؟ فتمثل لهم النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتهافتون فيها) ـ ابن كثير] .

[٤١] ﴿ ألمْ تَرَ أنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لهُ منْ في السمواتِ والأرْضِ ﴾ أي : ينزهه ويقدسه وحده ﴿ والطَّيْرُ صَافَّاتٍ ﴾ يصففن أجنحتهن في الهواء ﴿ كُلٌّ قدْ علمَ صَلاتَهُ وتَسْبِيحَهُ ﴾ أي : كل واحد مما ذكر ، قد هُدي وأُرشِد إلى طريقته ومسلكه ، في عبادة الله عز وجل ﴿ واللَّهُ عَليمٌ بِما يَفْعَلُونَ ﴾ .

[٤٢] ﴿ وللَّهِ مُلْكُ السَّمَواتِ والأَرْضِ ﴾ هو الإله الحاكم المتصرف فيهما ، الذي لا تنبغي العبادة فيهما إلاَّ له ﴿ وإلى اللَّهِ المصيرُ ﴾ وإليه يوم القيامة ، مصير الخلائق ، فيحكم بينهم ، ويجزي الذين أساؤوا بما عملوا .

[٤٣] ﴿ ألم ترَ أنَّ اللَّهَ يُزجي سَحاباً ﴾ يسوقها برفق ﴿ ثُمَّ يؤلِّف بَيْنَهُ ﴾ بضم بعضه إلى بعض ، فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً ﴾ أي : متراكماً بعضه فوق بعض ، بحيث يصير جبالاً من برد ﴿ فَتَرَى الودْقَ ﴾ أي : المطر ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ ﴾ وهي فُرَجُه ومخارجُ القطر منه ﴿ ويُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ وينزل برداً من السماء ، من جبال فيها من برد ﴿ فَيُصيبُ بِهِ مَنْ يشاءُ ويصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ ﴾ أي : لمعانه ﴿ يَذْهَبُ بالأبصارِ ﴾ يخطفها لشدته وقوته .

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن
يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ
وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ
يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل
لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

[٤٤] ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ والنَّهارَ ﴾ أي : يأتي بكل منهما بدل الآخر خَلَفاً له . أو يأخذ من طول أحدهما فيجعله في الآخر رحمة بالعباد ، لانتظام معايشهم ﴿ إنَّ في ذلكَ لَعِبْرَةً لأُولي الأبْصارِ ﴾ .

[٤٥] ﴿ واللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّةٍ مِنْ ماءٍ ﴾ أي : كل حيوان يدب على الأرض من ماء ، وهو جزء مادته ، أو ماء مخصوص هو النطفة ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشي عَلَى بَطْنِهِ ﴾ كالحيّات ، وتسمية حركتها مشياً ، مع كونها زحفاً ، بطريق الاستعارة أو المشاكلة ﴿ ومنْهُمْ منْ يمشي على رجْلَيْنِ ، ومنهمْ منْ يمشي على أرْبَعٍ ، يخلقُ اللَّهُ ما يشاءُ ﴾ مما ذكر وغيره ﴿ إنَّ اللَّهَ على كل شيءٍ قديرٌ ﴾ .

[٤٦] ﴿ لقدْ أنْزَلْنا آياتٍ مبيِّناتٍ ، واللَّهُ يهدي من يشاءُ ﴾ وهم المؤمنون الصادقون الذين استجابوا لله والرسول ﴿ إلى صراطٍ مُستقيمٍ ﴾ طريق الحق والهدى والنور .

[٤٧] ﴿ ويقولون ﴾ أي : المنافقون ﴿ آمنَّا باللَّهِ وبالرَّسُولِ وأطَعْنا ، ثمَّ يتولَّى فريقٌ منهم من بَعْدِ ذلكَ ﴾ أي : دعوى الإيمان ﴿ وما أولئكَ بالمُؤْمِنِينَ ﴾ في قلوبهم .

[٤٨] ﴿ وإذا دُعُوا إلى اللَّهِ ﴾ أي : كتابه ﴿ ورسولِهِ ﴾ أي : سنته وحكمه ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إذا فريقٌ منهم مُعْرِضُونَ ﴾ عن المجيء إليه ، والإحتكام بشريعته [قال المفسرون : هذه الآية والتي بعدها نزلت في «بشر» المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض ، فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما ، وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ـ النيسابوري] .

نصف الحزب ٣٦

[٤٩] ﴿ وإنْ يكُنْ لهُمُ الحقُّ ﴾ أي : الحكومة لهم لا عليهم ﴿ يأتُوا إليهِ مُذْعِنِينَ ﴾ مسرعين طائعين .

[٥٠] ﴿ أفي قُلُوبِهم مَرَضٌ أم ارتابُوا أمْ يخافونَ أن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ورسُولُهُ ﴾ في الحكم فيُظلموا فيه ؟! والسؤال : إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور ﴿ بلْ أولئكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ الذين رسخ فيهم خُلُقُ الظلم لأنفسهم ولغيرهم .

[٥١] ﴿ إنَّما كانَ قولَ المُؤمنينَ إذا دعوا إلى اللَّهِ ورسوله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وأطَعْنا وأولئكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ .

[٥٢] ﴿ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورسُولَهُ ويَخْشَ اللَّهَ ويتَّقْهِ فأولئكَ همُ الفَائِزُونَ ﴾ قال السيوطي : في الآية : وجوب الحضور على من دعي لحكم الشرع ، وتحريم الامتناع ، واستحباب أن يقول : سمعنا وأطعنا .

[٥٣] ﴿ وأقْسَمُوا باللَّهِ ﴾ أي : المنافقون ﴿ جَهْدَ أيْمانِهِمْ ﴾ أي : أكدوا الأيمان وشدّدوها ﴿ لَئِنْ أمَرْتَهُمْ ﴾ بالخروج من ديارهم وأموالهم وأهليهم ﴿ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ مجاهدين ﴿ قُلْ : لا تُقْسِمُوا ، طاعةٌ معروفةٌ ﴾ أي : لا تقسموا على ذلك وتشددوا لترضونا ، فإن الأمرَ المطلوب منكم طاعة معروفة ، لا تنكرها النفس ، فأطيعوا بالمعروف من غير حلف ، كما يطيع المؤمنون . وقيل : معناه : طاعتكم طاعة معروفة ، أي أنها قول بلا عمل إذ عرف كذبكم في أيمانكم ﴿ إنَّ اللَّهَ خبيرٌ بِما تَعْمَلُونَ ﴾ من الأعمال الظاهرة والباطنة ، التي منها الأيمان الكاذبة ، وما تضمرونه من النفاق ومخادعة المؤمنين .

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ
وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ
وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

[٥٤] ﴿ قل أطيعوا اللَّهَ وأطيعُوا الرَّسُولَ ، فإنْ تولَّوْا ﴾ أي : تولَّوْا عن الإطاعة ﴿ فإنَّما عليهِ ما حُمِّلَ ﴾ من أداء الرسالة . فإذا أدى فقد خرج من عهدة تكليفه ﴿ وعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ ﴾ ما أُمرتم به من الطاعة والتلقّي بالقبول والإذعان والقيام بمقتضاه ﴿ وإن تُطيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ لأنه يدعوكم إلى الصراط المستقيم ﴿ ومَا عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ البَلاَغُ المُبِينُ ﴾ أي : التبليغ البيِّن بنفسه ، أو الموضح لما أُمرتم به .

[٥٥] ﴿ وعَدَ اللَّه الذينَ آمَنُوا منكم وعملوا الصَّالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرْضِ ﴾ أي : يورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم . أو خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الإيمان والأعمال الصالحة ﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم المؤمنة برسلها ، التي أهلك الله عدوَّها ، وأورثها أرضها وديارها ﴿ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الذي ارتَضَى لَهُمْ ﴾ فليجعلنّ دينهم ثابتاً مقرراً ، مرفوع اللواء ، ظاهراً على غيره ﴿ وليُبَدِّلَنَّهُمْ منْ بعْدِ خَوْفِهِمْ أمْناً ، يَعْبُدُونَني لا يُشْرِكُونَ بي شَيْئاً ﴾ [قال مجاهد : تلك أمة محمد ﷺ ـ ابن جرير] ﴿ ومن كَفَرَ بَعْدَ ذلكَ ﴾ أي : بعد هذا الوعد الكريم ﴿ فأولئكَ هُمُ الفاسِقُونَ ﴾ الكاملون في فسقهم [عن أبيّ بن كعب قال : لما قدم النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة ، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ولا يصبحون إلا في لأْمتهم . فقالوا : ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل ؟ فأنزل الله لنبيه : ﴿ وعد الله الذين آمنوا ﴾ الآية ـ النيسابوري] .

[٥٦] ﴿ وأقيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ معطوف على ﴿ أطيعوا الله ﴾ ﴿ وأطيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ كرر طاعة الرسول ، تأكيداً لوجوبها .

[٥٧] ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الذينَ كَفَرُوا مُعْجِزينَ في الأرْضِ ﴾ أي : معجزين لله تعالى ﴿ ومَأْوَاهُمُ النَّارُ ولَبِئْسَ المَصِيرُ ﴾ .

[٥٨] ﴿ يا أيُّهَا الذينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الذينَ مَلَكَتْ أيْمانُكم ﴾ من العبيد والجواري ﴿ والذينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ ثلاثَ مرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صلاةِ الفجرِ ، وحينَ تَضَعُونَ ثيابَكم من الظَّهيرَةِ ، ومنْ بَعْدِ صَلاَةِ العِشَاءِ ، ثلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ ﴾ أي : هي إشارة إلى علة وجوب الاستئذان بأنهن أوقات يختلّ فيها التستّر عادة ، ويكون النوم فيها مع الأهل غالباً . [قال ابن عباس : ثم رخص لهم في الدخول فيما بين صلاة الغداة الى الظهر، وبعد الظهر إلى صلاة العشاء، إنه رخص لخادم الرجل والصبي أن يدخل عليه منزله بغير إذن، قال : وهو قوله ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾ فأما من بلغ الحلم، فإنه لا يدخل على الرجل وأهله إلا بإذن على كل حال ـ ابن جرير] ﴿ ليسَ عَلَيْكُمْ ولا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ، طوَّافُونَ عليكُمْ ﴾ ليس عليكم جناح ـ إثم ـ في ترك نهيهم عن الدخول بلا إذن ، ولا عليهم جُنَاحٌ من الدخول بدونه ، بعد هذه الأوقات ، وإن احتمل فيها الإخلال بالتستر لندرته ، وذلك لأنهم طوّافونَ عليكم ، فيعسر عليهم الاستئذان في كل مرة ﴿ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ بعضكم يطوف على بعض ﴿ كذلكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لكُمُ الآياتِ ، واللَّهُ عليمٌ حكيمٌ ﴾ يشرع ما فيه الحكمة وصلاح الحال وانتظام الشأن .

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ
نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا
مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ
أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا
جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

[٥٩] ﴿ وإذَا بلَغَ الأطْفَالُ ﴾ الذين رخص لهم في ترك الاستئذان في غير الأوقات المذكورة ﴿ مِنْكُمْ ﴾ من الأحرار ، دون المماليك ، فإنهم باقون على الرخصة ﴿ الحُلُمَ ﴾ حدّ البلوغ بالاحتلام ، أو بالسنّ الذي هو مظنّة الاحتلام ﴿ فَلْيَسْتَأْذِنُوا ﴾ في سائر الأوقات أيضاً ﴿ كما اسْتَأْذَنَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي : الذين بلغوا الحلم من قبلهم ، وهم الرجال .

وعن ابن عباس : آيةٌ لا يؤمن بها أكثر الناس ، آية الإذن . وإني لآمر جاريتي أن تستأذن عليّ . وسأله عطاء : أستأذنُ على أختي ؟ قال : نعم ، وإن كانت في حجرك تمونها ، وتلا هذه الآية :

﴿ كذلك يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ ، واللَّهُ عَليمٌ حَكيمٌ ﴾ .

[٦٠] ﴿ والقواعِدُ منَ النِّساءِ ﴾ أي : اللاتي قعدهن عن الحيض والولد لكبرهن ﴿ اللاتي لا يَرْجُونَ نِكاحاً ﴾ لا يطمعن فيه ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أنْ يَضَعْنَ ثيابَهُنَّ ﴾ الظاهرة مما لا يكشف العورة ، لدى الأجانب . أي : يتركن التحفظ في التستر بها ، فلا يلقين عليهن جلابيبهن ولا يحتجبن ﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بزينةٍ ﴾ أي : مظهرات لزينة خفية . يعني : الحليّ في مواضعه المذكورة في الآية ٣١ من سورة النور ﴿ وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ ﴾ من وضع تلك الثياب ﴿ خَيْرٌ لَهُنَّ ﴾ لأنه أبلغ في الحياء وأبعد من التهمة والمظنة ﴿ واللَّهُ سميعٌ عَلِيمٌ ﴾ فيسمع مقالهن مع الأجانب ويعلم مقاصدهن من الاختلاط ووضع الثياب ، وفيه من الترهيب ما لا يخفى .

[٦١] ﴿ ليسَ على الأعْمى حَرَجٌ ، ولا على الأعْرجِ حرجٌ ، ولا على المريضِ حرجٌ ﴾ في القعود عن الغزو ، لضعفهم وعجزهم . وقيل : كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم ، وقراباتهم وأصدقائهم ، فيطعمونهم منها ، فخالج قلوب المطعِمين والمطعَمين ريبة في ذلك ، وخافوا أن يلحقهم فيه حرج ، وكرهوا أن يكون أكلاً بغير حق ، لقوله تعالى : ﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطِلِ ﴾ [النساء : ٢٩] فقيل لهم : ليس على الضعفاء ، ولا على أنفسكم ، يعني : عليكم ، وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك ﴿ ولا عَلَى أنْفُسِكُمْ أن تأكلوا مِنْ بُيُوتِكم ﴾ أي : بيوت أزواجكم وعيالكم ، لأن بيت المرأة كبيت الزوج ، وكذلك بيت الولد ﴿ أوْ بُيُوتِ آبائِكم أو بيوتِ أمَّهاتكم أو بيوتِ إخْوانِكُمْ أوْ بُيُوتِ أخواتكم أوْ بيوتِ أعْمامِكُمْ أو بيوتِ عمَّاتِكم أوْ بيوتِ أخْوالِكُمْ أوْ بُيُوتِ خالاتِكم أوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ ﴾ كالقيّم والوكيل أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته . وملك المفاتح كونها في يده وحفظه ﴿ أوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ أي : وبيوت أصدقائكم ، والصديق يكون واحداً ويكون جمعاً ﴿ ليسَ عليكُمْ جُناحٌ أنْ تأكُلُوا جميعاً أوْ أشْتَاتاً ﴾ مجتمعين أو متفرقين [قال ابن زيد : كان من العرب من لا يأكل أبداً جميعاً، ومنهم من لا يأكل إلا جميعاً، فقال الله ذلك ـ ابن جرير] ﴿ فإذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا على أنْفُسِكُمْ ﴾ أي : إذا دخلتم بيتاً من هذه البيوت لتأكلوا ، فابدأوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ، قرابة وديناً ﴿ تحيَّةً منْ عنْدِ اللَّهِ ﴾ أي : ثابتة بأمر ، مشروعة من لدنه ﴿ مُبَارَكَةً ﴾ مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامها ﴿ طيِّبَةً ﴾ تطيب بها نفس المستمع ﴿ كذلكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لكُمُ الآياتِ لعلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ما فيها من الأحكام أو الآداب القائدة إلى سعادة الدارين .

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرْقَانِ

مكية ٧٧ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

[٦٢] ﴿ إنَّما المؤمنونَ الذينَ آمَنُوا باللَّهِ ورَسُولِهِ وإذَا كانُوا مَعَهُ عَلَى أمْرٍ جَامِعٍ ﴾ والأمر الجامع : الخطب الجلل ، وذلك نحو مقاتلة عدوّ ، أو تشاور في خَطْب مهم ﴿ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم ﴿ إنَّ الذينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أولئِكَ الذينَ يُؤمنونَ باللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فإذا استأذنوك لبعضِ شأنِهم فأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ واسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إنَّ اللَّهَ غفورٌ رحيمٌ ﴾ . وقيل : نزلت في حفر الخندق ، وكان قوم يتسللون بغير إذن .

[٦٣] ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بينَكم كدُعاءِ بَعْضِكُمْ بعْضاً ﴾ أي : إذا احتاج رسول الله ﷺ إلى اجتماعكم عنده لأمر ، فدعاكم ، فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاءِ بعضكم بعضاً ﴿ قدْ يعلمُ اللَّهُ الذينَ يتسلَّلونَ مِنْكُمْ لِواذاً ﴾ أي : ينسلون قليلاً قليلاً . واللواذ : الملاوذة ، وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا . يعني ينسلُّون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة ، واستتار بعضهم ببعض ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أمْرِهِ ﴾ أي : يعرضون عنه ولا يأتون به . فضمَّن : المخالفة ، معنى الإعراض والصدّ ﴿ أنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي : محنة في الدنيا ﴿ أوْ يُصِيبَهُمْ عذابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة ، أو فيهما .

ثلاثة أرباع الحزب ٣٦

[٦٤] ﴿ ألا إنَّ للَّهِ مَا في السَّمـٰواتِ والأرْضِ ، قدْ يَعْلَمُ ما أنْتُمْ عليهِ ﴾ أيها المكلَّفون من المخالفة والموافقة ، والنفاق والإخلاص ﴿ ويَوْمَ يُرْجَعُونَ إليهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، واللَّهُ بِكُلِّ شيءٍ عَلِيمٌ ﴾ فلا يخفى عليه خافية ، لأن الكل خلقه وملكه ، فيحيط علمه به ضرورة .

[سورة الفرقان]

سميت بالفرقان الذي هو التمييز بين الحق والباطل ، لذكره فيها . وهي مكية وآياتها ٧٧ آية .

[١] ﴿ تباركَ ﴾ يحمدُ تعالى نفسه الكريمة ويثني عليها ، لما أنزله من الفرقان ، والبركة : كثرة الخير وزيادته ومنها : تبارك الله ، وفيه معنيان : تزايدَ خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه ، في صفاته وأفعاله ﴿ الذي نزَّلَ الفُرْقانَ ﴾ الفرقان : مصدر فرق بين الشيئين ، إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل ، أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ، ولكن مفروقاً مفصلاً بعضه عن بعض في الإنزال ﴿ على عَبْدِه ﴾ محمد ﷺ . وإيراده عليه الصلاة والسلام بذلك العنوان ، لتشريفه والإيذان بكونه في أقصى مراتب العبودية ، والتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبداً للمرسل ، ردًّا على النصارى ﴿ ليكونَ للعَالَمينَ نذيراً ﴾ النذير : صفة بمعنى منذر ، أو مصدر بمعنى الإنذار .

[٢] ﴿ الذي له مُلك السَّمـٰواتِ والأرْضِ ولم يتَّخِذْ ولداً ولمْ يكُنْ لَهُ شريكٌ في المُلْكِ وخَلَقَ كلَّ شيءٍ فقدَّرهُ تقديراً ﴾ أي : أحدثه إحداثاً مراعى فيه التقدير والتسوية لما أريد منه ، كخلق الإنسان للإدراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المفيدة ، وكذلك كل حيوان وجماد خلق على الصورة المقدَّرة .

وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

[٣] ﴿ واتَّخَذُوا مِنْ دونِه آلهةً ﴾ اشركوا به سبحانه أسماء ابتدعوها ﴿ لا يَخْلُقُونَ شيئاً وهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ فعبّادها هم صانعوها ﴿ ولا يَمْلِكُونَ لأنْفُسِهِمْ ضَرّاً ولا نفعاً ولا يملكونَ موْتاً ولا حياةً ولا نُشُوراً ﴾ أي : إن هذه الآلهة المزعومة لا تملك رفع ضُرٍّ ولا جلب نفع ولا إماتة أحد وإحياءه أوّلاً وبعثه ثانياً ، فكيف تكون آلهة جديرة بالعبادة ؟!

[٤] ﴿ وقالَ الذينَ كَفَرُوا ﴾ من مشركي قريش بشكل خاص ، وكل مشرك بشكل عام ﴿ إنْ هَذَا ﴾ القرآن ﴿ إلاَّ إفْكٌ افْتراهُ ﴾ أي : اختلقه محمد ﷺ ﴿ وأعانه عليهِ قومٌ آخَرُونَ ﴾ أي : وساعده على هذا الاختلاق قوم من أهل الكتاب ﴿ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً ﴾ بجعل الصدق إفكاً ، والبريء عن الإعانة معيناً ﴿ وزُوراً ﴾ باطلاً لا مصداق له ، يعلمون من أنفسهم أنه باطل وبهتان .

[٥] ﴿ وقَالُوا : أساطيرُ الأوَّلينَ ﴾ أي : ما سطروه [يعنون أحاديثهم التي كانوا يسطرونها في كتبهم ـ ابن جرير] ﴿ اكْتَتَبَهَا ﴾ كتبها لنفسه وأخذها ﴿ فَهِيَ تُمْلَى عليهِ ﴾ تُلقى عليه ليحفظها ﴿ بُكرةً وأصيلاً ﴾ صباحاً ومساءً ، أي : دائماً .

[٦] ﴿ قُلْ ﴾ رداً على افترائهم ﴿ أنْزَلَهُ الذي يَعْلَمُ السِّرَّ في السَّمـٰواتِ والأرْضِ ﴾ أي : الخفيّ فيهما ، إشارة إلى علمه تعالى بحالهم بالأوْلى . ومن مقتضاه رحمته إيَّاهم بإنزال القرآن . وفي طيِّه ترهيب لهم بأن ما يُسِرُّونه من الكيد للنبيّ عليه الصلاة والسلام ﴿ إنَّهُ كانَ غفوراً رحيماً ﴾ تعليل لما هو مشاهد من تأخير عقوبتهم مع استيجابهم إياها . وقال ابن كثير : دعاء لهم إلى التوبة والإنابة ، وإخبار لهم بأن رحمته واسعة ، وأن حلمه عظيم ، وأن من تاب إليه تاب عليه .

[٧] ﴿ وقَالُوا : مَالِ هذَا الرَّسولِ يأْكُلُ الطعامَ ﴾ كما نأكل ﴿ ويمشي في الأسواقِ ﴾ يتردد فيها لشؤونه كما نمشي ﴿ لَوْلا أُنزِلَ إليهِ مَلَكٌ فيكونَ مَعَهُ نَذِيراً ﴾ أي : اقترحوا أن يكون معه ﷺ أحد الملائكة يسانده في الإنذار .

[٨] ﴿ أوْ يُلْقَى إليهِ كنزٌ ﴾ من السماءِ يستظهر به ، ولا يحتاج إلى طلب المعاش ، ويكون دليلاً على صدقه ﴿ أوْ تكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يأْكُلُ مِنْهَا ﴾ أي : بستان يرتزق منه ﴿ وقالَ الظَّالِمُونَ إنْ تَتَّبِعُونَ إلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً ﴾ أي : مغلوباً على عقله .

[٩] ﴿ انْظُرْ كيْفَ ضَرَبُوا لكَ الأمثالَ ﴾ استعظام للأباطيل التي اجترؤوا على التفوّه بها . أي : انظر كيف قالوا في حقك تلك الأقوال الخارجة عن العقول ﴿ فَضَلُّوا فلا يستطيعونَ سَبِيلاً ﴾ أي : القدح في نبوّتك ، بأن يجدوا قولاً يستقرُّون عليه ، أو فَضَلُّوا عن الحق فلا يجدون طريقاً إليه .

[١٠] ﴿ تباركَ الذي إنْ شاءَ جَعَلَ لكَ خَيْراً مِنْ ذلِكَ جنَّاتٍ تَجْري مِنْ تحتِهَا الأنْهَارُ ويَجْعَل لكَ قُصُوراً ﴾ أي : إن شاء جعل لك خيراً مما قالوا ، وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور ، ولكن قضت حكمته ذلك ليكون الرضوخ للحق لا للمال ، وليصدع بأن الأمر مبنيٌّ على النظر والاستدلال ، لا ما يلهي المشاعر والخيال .

[١١] ﴿ بَلْ كذَّبُوا بالسَّاعةِ ﴾ بيوم القيامة ﴿ وأعْتَدْنَا لِمَنْ كذَّبَ بالسَّاعَةِ سَعِيراً ﴾ أي : ناراً شديدة الاستعار ، وهو التوقد والالتهاب .

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا
أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي
هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ
يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ
كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿ إذا رأتهم ﴾ نارُ جهنَّم ﴿ من مكانٍ بعيدٍ سمعوا لها تغيُّظاً وزفيراً ﴾ التغيّظ : إظهار الغيظ وهو أشد الغضب . شبَّه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره . [قال ابن كثير : وقال عبيد بن عمير في قوله ﴿ سمعوا لها تغيُّظاً وزفيرا ﴾ قال : إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلاّ خرَّ لوجهه ، ترتعد فرائصه ، حتى إن إبراهيم عليه السلام ليجثو على ركبتيه ، ويقول : رب لا أسألك اليوم إلا نفسي . أخرجه عبد الرزاق وابن جرير بنحوه].

[١٣] ﴿ وإذا ألقوا منها مكاناً ضيِّقاً مُقرَّنين ﴾ أي : قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل ﴿ دعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً ﴾ أي : نادوه نداء المتمني الهلاك ، ليسلموا مما هو أشد منه .

[١٤] ﴿ لا تدْعُوا اليومَ ثُبُوراً واحِداً وادْعُوا ثُبُوراً كثيراً ﴾ أي : يُقال لهم ، لكثرة أنواع العذاب المتوالية ، فإن عذاب جهنم ألوان وأفانين ، أو كثرته كناية عن دوامه .

[١٥] ﴿ قُلْ أذلكَ ﴾ المذكور من عذاب جهنم ﴿ خيْرٌ أمْ جنَّةُ الخُلْدِ التي وُعِدَ المُتَّقُونَ ﴾ وهم المؤمنون بالله وبرسوله القائمون على شريعته ﴿ كانَتْ لَهُمْ جزاءً ومَصِيراً ﴾ .

[١٦] ﴿ لَهُمْ فيها ما يَشاؤُونَ خالِدِينَ ، كانَ على ربِّكَ وعْداً مَسْؤُولاً ﴾ أي : حقيقاً أن يُسْأَل ويُطلَب ويُتنافسَ فيه .

[١٧] ﴿ ويومَ يَحْشُرُهُمْ ومَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فيقولُ ﴾ الله تعالى للمعبودين ، تقريعاً لعبدتهم ﴿ أأنْتُمْ أضْلَلْتُمْ عِبادِي هؤلاءِ أمْ هُمْ ضلُّوا السَّبيلَ ﴾ أي : عن السبيل بأنفسهم .

[١٨] ﴿ قالُوا : سُبْحانَكَ ﴾ تعجباً مما قيل لهم لأنهم إما ملائكة معصومون أو جمادات لا قدرة لها على شيء ، أو تنزيهاً له عن الأنداد ﴿ ما كانَ ينبغي لنَا أنْ نتَّخِذَ من دُونِكَ مِنْ أولياءَ ﴾ نعبدهم ، فأنّى يُتصور أن نحمل غيرنا على أن يتخذ وليًّا غيرك ؟ ﴿ ولكِنْ متَّعْتَهُمْ وآباءهم ﴾ بأنواع النعم ، ليعرفوا حقها ويشكروها ، فانهمكوا في الشهوات ﴿ حتى نسوا الذكر ﴾ أي : ذكرك فجعلوا أسباب الهداية ، بسوء اختيارهم ، ذريعة الغواية ﴿ وكانُوا قوْماً بُوراً ﴾ أي : هالكين .

[١٩] ﴿ فقَدْ كذَّبُوكُمْ ﴾ أي : المعبودون ، والخطاب : للكفار ﴿ بما تَقُولُونَ ﴾ في قولكم إنهم آلهة ، أو في قولكم هؤلاء أضلُّونا ﴿ فما تستطيعونَ ﴾ أي : ما تملكون ﴿ صَرْفاً ﴾ دفعاً للعذاب ﴿ ولا نَصْراً ﴾ لأنفسكم من البوار ﴿ ومَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ ﴾ أيها المكلَّفون كدأب هؤلاء ﴿ نُذِقْهُ عَذاباً كبيراً ﴾ .

[٢٠] ﴿ وما أرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ المُرْسَلينَ إلاَّ إنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ ويَمْشُونَ في الأسْواقِ ﴾ أي : لَيَحْتاجُونَ إلى التغذي بالطعام ويتجوّلون في الأسواق للتكسب والتجارة ، وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم ﴿ وجَعَلْنا بعضَكم لبعضٍ فِتنةً أتَصْبِرُونَ ﴾ والمعنى : أنه ابتلى المُرسَلين بالمُرسل إليهم ، وبمناصبتهم لهم العداوة ، وأقاويلهم الخارجة عن حد الإنصاف ، وأنواع أذاهم ، وطلب منهم الصبر الجميل ، [وفي صحيح مسلم : (يقول الله تعالى إني مبتليك ومبتل بك) وفي الصحيح أنّه عليه الصلاة والسلام خيِّر بين أن يكون نبيّاً ملكاً أو عبداً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً ـ قاله ابن كثير] ﴿ وكانَ ربُّكَ بَصِيراً ﴾ هو عالم فيما يبتلي به وغيره ، فلا يضق صدرك ، فإن في صبرك سعادةً وفوزاً في الدارين .

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ
أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا
﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ
هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ
تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ
يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ
فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ
يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

[٢١] ﴿ وقالَ الذينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا ﴾ أي : الرجوع إليه بالبعث والحشر ﴿ لَوْلا أُنْزِلَ علينا الملائكةُ ﴾ للرسالة ، أو لتخبرنا بصدق محمد ﷺ ﴿ أو نَرَى رَبَّنا ﴾ فيخبرنا بذلك ﴿ لقدِ استكبَرُوا في أنْفُسِهِمْ ﴾ أي : في شأنها حتى تفوَّهُوا بمثل هذه العظيمة ﴿ وعَتَوْا ﴾ تجاوزوا الحدّ في الظلم والطغيان ﴿ عُتُوّاً كبيراً ﴾ بالغاً أقصى غايته .

[٢٢] ﴿ يومَ يَرَوْنَ الملائِكَةَ ﴾ عند الموت ، أو في القيامة ﴿ لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ويَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً ﴾ كما كانوا يقولون عند لقاء العدّو وشدة النازلة : حِجراً . أي : أسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً . و﴿ محجوراً ﴾ تأكيد لـ : حجراً . وقيل هو من قول الملائكة ، ومعناه : حراماً محرماً عليكم الغفران والجنة والبشرى .

[٢٣] ﴿ وقَدِمْنا إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾ مما كانوا يراؤون به ابتغاء السمعة والشهرة ، ويرونه من مكارمهم ﴿ فَجَعَلْناهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾ مثل الغبار المنثور في الجوّ ، في حقارته وعدم نفعه .

[٢٤] ﴿ أصحاب الجنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُستقراً ﴾ فالجنَّة خير من النّار ﴿ وأحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ المقيل : مكان يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم .

[٢٥] ﴿ ويومَ تشقَّقُ السَّماءُ بالغَمامِ ﴾ أي : ينصدع نظامها فلا يبقى أمرُ ما فيها من الكواكب على ما يُرى اليوم ، فيخرب العالم بأسره ﴿ ونُزِّلَ الملائِكَةُ تَنْزِيلاً ﴾ فيحيطون بالخلائق في المحشر .

[٢٦] ﴿ المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحقُّ للرَّحْمٰنِ ﴾ ويكون له سبحانه السلطة القاهرة الشاملة ﴿ وكانَ يوماً على الكافرينَ عسيراً ﴾ شديداً صعباً .

[٢٧] ﴿ ويومَ يَعَضُّ الظَّالِمُ على يَدَيْهِ ﴾ أي : تشتد حسراته وتتصاعد زفراته ﴿ يقولُ : يا ليتني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلاً ﴾ .

[٢٨] ﴿ يا وَيْلَتا ليتني لمْ أتَّخِذْ فُلاناً خليلاً ﴾ يعني من أضلَّه عن الذكر وصده عن سبيل الله .

[٢٩] ﴿ لقدْ أضلَّني عن الذِّكْرِ ﴾ أي : القرآن ، أو موعظة الرسول ﴿ بَعْدَ إذْ جاءَنِي ، وكانَ الشَّيْطانُ للإنسانِ خَذُولاً ﴾ أي : مبالغاً في إضلاله ، يعده ويمنّيه في الدنيا ، ما يُحسِّره عليه في العُقْبى .

[٣٠] ﴿ وقالَ الرَّسُولُ ﴾ إثر ما شاهد من عتوّهم وعنادهم ﴿ يا ربِّ إنَّ قَوْمي اتَّخَذُوا هَذا القُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ أي : متروكاً ، مُعْرَضاً عنه . وذكر الإمام ابن القيم أن هجر القرآن أنواع : منها : هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه ، وهجر العمل به ، وهجر تحكيمه والتحاكم إليه ، وهجر تدبره وتفهمه ، وهجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها .

[٣١] ﴿ وكذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نبيٍّ عَدُوّاً منَ المُجْرِمينَ وكفى بربِّكَ هادياً ﴾ إلى ما يبلغك ما تتمناه ﴿ ونَصِيراً ﴾ لك على كل من يناوئك .

[٣٢] ﴿ وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا لوْلا نُزِّلَ عليهِ القرآنُ جُمْلَةً واحدةً ﴾ أي : دفعة واحدة في وقت واحد ﴿ كذلكَ ﴾ أنزلناه منجماً ـ مفرّقاً ـ خلال سنوات ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ ﴾ أي : نقوّيه به على القيام بأعباء الرسالة والنهوض لنشر الحق بين قادة الجهالة ، فإن ما يتواتر إنزاله لذلك ، أبعث للهمة وأثبت للعزيمة وأنهض للدعوة ، من نزوله مرة واحدة ﴿ ورتَّلْناهُ تَرْتِيلاً ﴾ أي : فصَّلناه تفصيلاً بديعاً .

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى
ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ
ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟
وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ
ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ
كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ
مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

[٣٣] ﴿ولا يأتونك بمثلٍ﴾ أي: بصفة عجيبة من باطلهم في مقدح أو مُقترح ﴿إلاّ جئناكَ بالحقّ﴾ الذي يقمع تلك الصفة ﴿وأحسن تفسيراً﴾ أي: بياناً وهداية [أي نزل جبرائيل عليه السلام من الله تعالى بجوابهم، وما هذا إلا اعتناء وكبير شرف للرسول ﷺ حيث كان يأتي الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحاً ومساء، سفراً وحضراً، لا كإنزال ما قبله من الكتب المتقدمة، فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين ـ ابن كثير].

[٣٤] ﴿الذين يُحشَرُونَ على وُجُوهِهِمْ إلى جهنّمَ﴾ وهم الكفار والمشركون ﴿أولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ سبيلاً﴾.

[عن أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال (الذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه) ـ أخرجه ابن جرير].

[٣٥] ﴿ولقدْ آتينا مُوسى الكتابَ وجعَلْنا معهُ أخاهُ هارُونَ وزيراً﴾.

[٣٦] ﴿فَقُلْنا اذْهَبا إلى القومِ الذينَ كذّبُوا بآياتِنا﴾ وهم فرعون وقومه، والآيات الخوارق التسع ﴿فدمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً﴾ لما رأوا آيات موسى وهارون وكذبوهما، أغرقناهم في البحر.

[٣٧] ﴿وقومَ نُوحٍ لَمّا كذّبُوا الرُّسُلَ﴾ يعني: نوحاً، وجُمِع تعظيماً لرسالته، أو هو ومن تقدمه عليهم السلام ﴿أغْرَقْناهُمْ وجَعَلْناهُمْ للنّاسِ آيةً﴾ عبرة يعتبرون بها ﴿وأعْتَدْنا للظّالمينَ عَذاباً أليماً﴾.

[٣٨] ﴿وعاداً وثمود وأصحابَ الرَّسِّ﴾ [قال ابن جرير: ودمرنا أيضاً عاداً وثمود، وأصحاب الرَّسِّ، قال ابن عباس: قرية من ثمود، وقال قتادة: الرسّ قرية من اليمامة يقال لها الفلج، وقال عكرمة: أصحاب الرَّسِّ بفلج هم أصحاب يس. وكان الرَّسُّ بئراً رسّوا فيها نبيهم، وقال مجاهد: الرَّسُّ بئر كان عليها قوم. قال ابن جرير والصواب من القول في ذلك قول من قال: هم قوم كانوا على بئر] ﴿وقُرُوناً﴾ أي: أقواماً ﴿بينَ ذلكَ كثيراً﴾.

[٣٩] ﴿وكُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الأمثالَ﴾ أي: الأنباء التي تزجر عن الكفر والفساد ﴿وكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبيراً﴾ أي: أهلكنا إهلاكاً عظيماً.

[٤٠] ﴿ولقدْ أتَوْا عَلَى القَرْيَةِ التي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ أي: أهلكت بالحجارة، وهي: قرى قوم لوط ﴿أفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها﴾ أثناء مرورهم عليها وينظرون آثار عذاب الله ونكاله ﴿بلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ فهم كفرة، لا يتوقعون عاقبة وجزاءً.

[٤١] ﴿وإذا رأَوْكَ إن يتَّخِذُونَكَ إلاّ هُزُواً أهذا الذي بَعَثَ اللّهُ رَسُولاً﴾ أي: يستهزئون قائلين ذلك، والإشارة للاستحقار.

[٤٢] ﴿إنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لوْلا أنْ صَبَرْنا عَلَيْها﴾ أي أنه كاد ليصرفنا عن عبادتها صرفاً كليّاً، لولا أن ثبتنا عليها ﴿وسَوْفَ يَعْلَمُونَ حينَ يَرَوْنَ العَذابَ مَنْ أضَلُّ سبيلاً﴾ جواب منه تعالى لآخر كلامهم، وفيه وعيد.

[٤٣] ﴿أرَأيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلٰهَهُ هَواهُ﴾ يتبعه في كل ما يأتي ويذر، ولا يتبصر دليلاً، ولا يصغي إلى برهان ﴿أفَأنْتَ تَكُونُ عليهِ وَكِيلاً﴾ تعجيب للنبيّ صلوات الله عليه من شناعة حالهم، بعد حكاية قبائحهم من الأقوال والأفعال.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ
لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ
مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ
وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ
ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ
نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

[٤٤] ﴿أمْ تَحْسَبُ أنَّ أكثرَهم يسمعونَ أوْ يَعْقِلُونَ، إنْ هُمْ إلاّ كالأنْعامِ بَلْ هُمْ أضَلُّ سَبيلاً﴾ لأن الأنعام تصرف قواها إلى طلب ما ينفعها، والنفرة مما يضرّها، وهؤلاء عطّلوا قواهم وهي العقول التي يُهتدى بها للحق، ويميز بها بين الخير والشر.

[٤٥] ﴿ألَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ أي: عجيب صنعه أن جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ﴿ولوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً﴾ أي: ثابتاً على حاله، من الطول والامتداد بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فلم ينتفع به أحد ﴿ثمَّ جَعَلْنا الشَّمْسَ عليهِ دَليلاً﴾ أي: علامة يُستدل على أحوالها في مسيرها من أحوال الظّل.

[٤٦] ﴿ثُمَّ قَبَضْناهُ إلَيْنا﴾ أي: أزلناه بعدما أنشأناه ممتداً، ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند إيقاع شعاع الشمس موقعه ﴿قَبْضاً يَسِيراً﴾ على مهل، قليلاً قليلاً حسب ارتفاع ليله على وتيرة معينة، مطّردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها.

ربع الحزب ٣٧

[٤٧] ﴿وَهُوَ الذي جَعَلَ لكُمُ الليلَ لِباساً﴾ أي: ساتراً كاللباس ﴿والنَّومَ سُباتاً﴾ أي: راحة للأبدان تستعيض به ما خسرته من قواها ﴿وجَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً﴾ أي: زمان انتشار لطلب المعاش.

[٤٨] ﴿وَهُوَ الذي أرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً﴾ ناشرات للسحاب ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قبل المطر [استعار الرحمة للمطر] ﴿وأنْزَلْنا من السَّماءِ ماءً طَهُوراً﴾ مطهراً.

[٤٩] ﴿لنُحْيِيَ به بَلْدَةً مَيْتاً﴾ بإنبات النبات ﴿ونُسْقِيَهُ﴾ ذلك الماء ﴿مِمّا خَلَقْنا أنْعاماً وأنَاسِيَّ كَثِيراً﴾ خص الأنعام بالذكر لأنها ذخيرتنا ومدار معاش أكثر أهل المدر، ولذلك قدّم سقيها على سقيهم، كما قدّم عليها إحياء الأرض، فإنها سبب لحياتها.

[٥٠] ﴿ولَقَدْ صَرَّفْناهُ﴾ أي: كررنا هذا القول الذي هو ذكر إنشاء السَّحاب وإنزال القطر ﴿بينَهم ليذَّكَّرُوا﴾ ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا ﴿فأبَى أكثرُ النّاسِ إلاّ كُفُوراً﴾ أي: كفران النعمة وجحودها. [٥١] ﴿ولَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا في كُلِّ قَرْيَةٍ نَذيراً﴾ نبيّاً ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوّة، لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله. [٥٢] ﴿فلا تُطِعِ الكافِرينَ﴾ أي: فقابلْ ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق ﴿وجاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن وما نزل إليك من الحق ﴿جهاداً كبيراً﴾ لا يخالطه فتور. [٥٣] ﴿وهُوَ الذي مَرَجَ البَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما متجاورين متلاصقين، بحيث لا يتمازجان ﴿هَذا عَذْبٌ فُراتٌ﴾ شديد العذوبة قامع للظمأ ﴿وهذا مِلْحٌ أُجاجٌ﴾ بليغ الملوحة ﴿وجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً﴾ حاجزاً لا يختلط أحدُهما بالآخر ﴿وحِجْراً مَحْجُوراً﴾ مانعاً من وصول أثر أحدهما إلى الآخر، وامتزاجه به، حتى بَعْدَ دخولِ أحدِهما في الآخر مسافة.

[٥٤] ﴿وَهُوَ الذي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَراً﴾ كما أخرج من المقدمات نتائج العلوم ﴿فَجَعَلَهُ﴾ أي: البشر ﴿نَسَباً﴾ أصلاً أو فرعاً أو حاشية لقوم ﴿وصِهْراً﴾ لآخرين يتعصب من أجل نسبه وصهره، فيعتقد باطلهم حقاً ﴿وكانَ ربُّكَ قَدِيراً﴾ وهو وإن صعب إزالته، فإن ربك الذي أمرك بالجهاد الكبير، قادر على إزالته.

[٥٥] ﴿ويَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُهُمْ ولا يَضُرُّهم، وكانَ الكافِرُ على ربِّهِ ظَهِيراً﴾ معيناً للشيطان على عصيان ربه. والمراد بالكافر: الجنس.

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ
عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ
خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ
أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ
فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ
شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ
هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟
لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

[٥٦] ﴿ وما أرْسَلْنَاكَ إلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ .

[٥٧] ﴿ قُلْ : ما أسْأَلُكُمْ عليهِ ﴾ أي : على تبليغ الرسالة ﴿ مِنْ أجْرٍ ، إلاَّ مَنْ شاءَ أنْ يتَّخِذَ إلى رَبِّهِ سبيلاً ﴾ يتقرب إليه بالإيمان والطاعة .

[٥٨] ﴿ وتوكَّلْ ﴾ في دفع شرِّهم ومكرهم ﴿ عَلَى الحيِّ الذي لا يَمُوتُ وسبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً ﴾ عليماً لا يغرب عنه منها شيء ، فيجزيهم عليها .

[٥٩] ﴿ الذي خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ وما بَيْنَهُمَا في سِتَّةِ أيَّامٍ ﴾ من أيامه تعالى أو أيام الخلق ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ ﴾ أي : علا فَوْقَهُ عُلُوًّا يليق بجلاله المقدس ﴿ الرَّحْمٰنُ ﴾ أي : هو الرحمن ﴿ فاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ فسل عنه رجلاً عارفاً يخبرك برحمته . أو : فسل رجلاً خبيراً به وبرحمته ، وعليه ففائدة سؤاله هو تصديقه وتأييده .

[٦٠] ﴿ وإذَا قيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا للرَّحْمٰنِ قَالُوا وما الرَّحْمٰنُ ﴾ أي : من المسمى به ؟ لأنهم ما كانوا يعرفونه تعالى بهذا الاسم ولا يطلقونه عليه . أو الاستفهام للتعجب والاستغراب ، تفنناً في الإباء ﴿ أنَسْجُدُ لِمَا تأمُرُنَا وزَادَهُمْ ﴾ أي : الأمرُ بالسجود ﴿ نُفُوراً ﴾ أي : استكباراً عن الإيمان .

[٦١] ﴿ تبارَكَ الذي جعلَ في السَّماءِ بُرُوجاً ﴾ أي : نجوماً ﴿ وجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً ﴾ وهي الشمس ﴿ وقمراً منيراً ﴾ مضيئاً بالليل .

[٦٢] ﴿ وهوَ الذي جعلَ الليْلَ والنَّهارَ خِلْفَةً ﴾ أي : ذوي عقبة يعقب كل منهما الآخر ﴿ لِمَنْ أرادَ أنْ يذكَّرَ ﴾ أي : يتفكر فيستدل بذلك على عظم قدرته ﴿ أوْ أرادَ شُكُوراً ﴾ أي : يشكر على النعمة فيهما ، من السكون بالليل والتصرف بالنهار .

[٦٣] ﴿ وعبادُ الرَّحْمٰنِ الذينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرْضِ هوْناً ﴾ هيّنين ، أو مشياً هيّناً أي : بسكينةٍ وتواضع ، لا يضربون بأقدامهم ، ولا يخفقون تبعاً لهم أشراً وبطراً ﴿ وإذَا خاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قالُوا سَلاَماً ﴾ أي : إذا خاطبهم السفهاءُ بالقول السيء لم يقابلوهم بمثله ، بل قَالُوا كلاماً فيه سلام من الإيذاء والإثم .

[٦٤] ﴿ والَّذينَ يَبِيتُونَ لربِّهم سُجَّداً وقِيَاماً ﴾ يكون لهم في الليل فَضْلُ صلاة وإنابةٍ . والبيتوتة : الدخول في الليل ، قال السلف : في الآية مدح قيام الليل والثناء على أهله . وفي قوله ﴿ لربِّهم ﴾ إشارة إلى الإخلاص في أدائها وابتغاء وجهه الكريم ، لما أن ذلك هو الذي يستتبع أثرها من العمل الصالح وفعل الخير وحفظ حدود الله . [٦٥] ﴿ والذينَ يَقُولُونَ ربَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جهنَّمَ إنَّ عَذَابَهَا كانَ غَراماً ﴾ أي : هلاكاً دائماً . والمراد من قولهم ذلك ، فزعهم منها ، ووجلهم الشديد المستتبع لتمسكهم بالتقوى ، واعتصامهم بالسبب الأقوى ، لا مجرد قلقلة اللسان بلا تأثر من الجنان ، فإنهم لم يبتهلوا إلى المولى ويتعوذوا به من سعيرها إلا لعلمهم بسوء حالها ، ومقتضى العمل بالشيء ايفاؤه حقه والعمل بموجبه .

[٦٦] ﴿ إنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً ﴾ أي : موضع استقرار وإقامة . [٦٧] ﴿ والذينَ إذَا أنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكانَ بَيْنَ ذلكَ قَواماً ﴾ أي : لم يجاوزوا الحدّ في الإنفاق ، ولم يضيِّقُوا على أنفسهم وأهليهم ، بل كانوا في ذلك متوسطين ، وخير الأمور أوسطها .

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ
ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ
مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى
لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ
ترتيبها ٢٦ — آياتها ٢٢٧

[٦٨] ﴿ والذينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إلٰهاً آخَرَ ﴾ لا يُشركون بعبادة ربهم أحداً ﴿ ولا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بالحقِّ ﴾ المزيل لحرمتها وعصمتها ﴿ ولا يَزْنُونَ ومَنْ يَفْعَلْ ذلكَ ﴾ أي : ما ذكر من هذه القبائح العظام ﴿ يَلْقَ أثاماً ﴾ يجد في الآخرة جزاء إثمه [عن عبدالله بن مسعود قال : قلت يا رسول الله ، أي الذنب أعظم؟ قال (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) قلت : ثم أي؟ قال (أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك) قلت : ثم أي؟ قال (ثم أن تزاني حليلة جارك) فأنزل تصديق قول النبي ﷺ ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ﴾ الآية ـ ابن جرير] .

[٦٩] ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ العذابُ يومَ القيامةِ ويَخْلُدْ فيهِ مُهَاناً ﴾ ذليلاً مُحتقراً جامعاً لعذابيّ الجسم والروح .

[٧٠] ﴿ إلاَّ مَنْ تابَ وآمنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فأولئكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَناتٍ وكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً .

[٧١] ﴿ ومَنْ تابَ وعَمِلَ صَالِحاً فإنَّهُ يَتُوبُ إلى اللَّهِ مَتَاباً ﴾ ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح ، فإنه بذلك تائب إلى الله متاباً مرضيّاً عنده ، مُكفِّراً للخطايا ، مُحصِّلاً للثواب . والآية صريحة في أن العملَ الصالحَ والمثابرةَ عليه قولاً وفعلاً ، شرط في صحة التوبة وقبولها .

[٧٢] ﴿ والذينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ أي : لا يحضرون الباطل . ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور ، وهي الكذب متعمداً على غيره ﴿ وإذَا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً ﴾ وإذا اتفق مرورهم بأهل اللغو ، مرُّوا مُعْرِضِينَ عنهم ، مُكرمين أنفسهم عن الخوضِ معهم . ويدخل في ذلك الإغضاء عن الفواحش ، والصفح عن الذنوب . [عن إبراهيم بن ميسرة قال : مر ابن مسعود بلهو مسرعاً فقال رسول الله ﷺ (إنْ أصبح ابن مسعود لكريماً) أخرجه ابن جرير] .

[٧٣] ﴿ والذينَ إذَا ذُكِّرُوا بآياتِ ربِّهِمْ ﴾ أي : وُعِظُوا بها وخُوِّفوا ﴿ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وعُمْياناً ﴾ بل أكبُّوا عليها سامعين بآذان راعية ، مجتلين لها بعيون واعية .

[٧٤] ﴿ والذينَ يَقُولُونَ ربَّنا هبْ لنا منْ أزْوَاجِنا وذرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أعْيُنٍ ﴾ أي : أولاداً وحفدة تَقَرُّ بهم العيون وتُسَرُّ بمكانهم الأَنْفُس ، لحيازتهم الفضائل واتصافهم بأحسن الشمائل ﴿ واجْعَلْنَا للمُتَّقينَ إمَاماً ﴾ يُقتدى بنا في الخير ، أو هُداة دعاة إلى الخير .

[٧٥] ﴿ أُولئكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ ﴾ الدَّرجة العالية من المنازل في الجنَّة ﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ على مشاق المُجَاهَدَات في الدعوة إلى الخير ﴿ ويُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وسلاماً ﴾ أي : تحييهم الملائكة وتسلّم عليهم ، أو يُحيّي بعضُهم بعضاً ويسلِّم عليه .

[٧٦] ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ، حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا ومُقَاماً ﴾ لسلامة أهلها عن الآفات وخُلُودِهم أبد الآباد .

[٧٧] ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ ربِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ ﴾ أي : لا يبالي بكم ولا يبقيكم إلاَّ إذَا عَبَدْتُمُوهُ وآمنتم به وحده ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ﴾ بما جاءكم من الحقِّ ، وقد تلى عليكم سنَّة من كذّب وأصرّ ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾ فسوف يكون هذا النبأ أو الذكر الحكيم ، أو الأمر الجليل ، أمر الرسالة ، لازماً وثابتاً يفتح من الحق رتاجاً ـ قفلاً ـ ، وتدخل الناس في دين الله أفواجاً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ
إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ
فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

[سورة الشعراء]

مكية ، وروي أن الآية ١٩٧ ، والآيات من ٢٢٤ ـ ٢٢٧ نزلت في المدينة ، وسميت بهذا الاسم لذكر الشعراء فيها ، واختصاصها بتمييز الرسل عن الشعراء ، وتبرئة الرسول ﷺ مما افتروا عليه من أنه شاعر . وآياتها ٢٢٧ آية .

[١] ﴿طسٓمٓ﴾ سبق في سورة البقرة الأقوال في هذه الفواتح ، وأن الأكثر على أنها اسم للسورة . وتلفظ : طا . سين . ميم .

[٢] ﴿تلك آياتُ الكتابِ المُبينِ﴾ الإشارة إلى السورة . والمراد بالكتاب : القرآن . والمبين : الظاهر إعجازه وآيته وبرهانه .

[٣] ﴿لعلَّكَ باخعٌ﴾ أي : قاتل ﴿نَفْسَكَ ألاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي : لعدم إيمانهم . ولعلَّ : للإشفاق . أي : أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على عدم إيمانهم .

[٤] ﴿إنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً﴾ ملجئة لهم إلى الإيمان ، قاسرة عليه ﴿فظلَّتْ أعْناقُهم لَها خَاضِعِينَ﴾ أي : منقادين .

[٥] ﴿وَمَا يأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ من الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ أي : مكذبين ، استهزاء وإصراراً على ما كانوا عليه من الكفر .

[٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فسيَأْتِيهِم أنباءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أحواله الباهرة وشؤونه القاهرة ، وفيه وعيد لهم بحلول الذل بهم ، ونزول الصَّغَارِ وقتئذ بدارهم .

[٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إلى الأرْضِ كمْ أنْبَتْنَا فيها من كُلِّ زوْجٍ كريمٍ﴾ أي : صنف كثير المنافع .

[٨] ﴿إنَّ في ذلكَ لآيَةً وَمَا كانَ أكثرُهُم مُؤمنينَ﴾ لعدم تدبرهم في هذه الآيات .

[٩] ﴿وإنَّ ربَّكَ لَهُوَ العزيزُ الرَّحيمُ﴾ فهو القادر على الانتقام منهم بلا ممانع ، والرحيم بإمهاله وحلمه عنهم ، فلينتبهوا قبل أن يحل بهم ما حلّ بفرعون وقومه . [١٠] ﴿وإذْ نادى ربُّكَ مُوسَى : أنِ ائْتِ القوْمَ الظَّالمينَ﴾ . [١١] ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ وهو لقب حاكم مصر يومها ﴿ألا يتَّقُونَ﴾ .

[١٢] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رِبِّ إنِّي أخافُ أن يُكَذِّبونِ﴾ .

[١٣] ﴿ويضيقُ صَدْري ولا ينطلقُ لساني﴾ في أداء الرسالة ، في بسطة من المقال ﴿فأرسِلْ إلى هارونَ﴾ ليؤازرني ويُشدُّ به عضدي . والمفعول محذوف ، أي : فأرسل مَلَكاً أو جبريل .

[١٤] ﴿وَلَهُمْ عليَّ ذَنْبٌ﴾ وهو قتل المصري كما هو مذكور في غير هذه السورة ﴿فأخافُ أن يَقْتُلُونِ﴾ .

[١٥] ﴿قالَ﴾ تعالى ﴿كلاَّ﴾ لا تخف إنك من الآمنين ﴿فاذْهَبا﴾ أنت وأخوك هارون ﴿بآياتِنا إنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ بكمال الحفظ والنصرة .

[١٦] ﴿فأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا : إنَّا رسولُ ربِّ العَالَمِينَ﴾ . [١٧] ﴿أنْ أرْسِلْ مَعَنَا بني إسرائيلَ﴾ ليتحرروا من عبوديتك وعذابك المهين .

[١٨] ﴿قالَ﴾ فرعون لموسى ﴿ألَمْ نُرَبِّكَ فينا وَلِيداً﴾ صغيراً ﴿ولَبِثْتَ فِينَا من عُمُرِكَ سنينَ﴾ .

[١٩] ﴿وفَعَلْتَ فعْلَتَكَ التي فَعَلْتَ﴾ يعني قتل القبطيّ ﴿وأنتَ من الكافِرينَ﴾ بنعمتي .

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ
فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ
﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

[٢٠] ﴿قالَ﴾ موسى ﴿فَعَلْتُها إذاً وأنا من الضَّالِّينَ﴾ الجاهلين بكون الوكزة مفضية إلى القتل ، أو الذاهبين عن صواب الحلم والعفو والدفع بالأحسن .

[٢١] ﴿فَفَرَرْتُ منكمْ لمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أن تقتلوني على القتل الخطأ ، فنجّاني الله منكم وزادني إنعاماً ﴿فَوَهَبَ لي رَبِّي حُكْماً﴾ أي : حكمة أو نبوّة ﴿وجَعَلَني من المُرْسَلِينَ﴾ .

[٢٢] ﴿وتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عليَّ﴾ وهي تربيتك لي ﴿أنْ عبَّدتَّ بني إسرائيلَ﴾ اتخذتهم عبيداً تقتل ذكورهم وتستحيي نساءهم ، وأنا منهم يؤذيني ما يؤذيهم . قال له ذلك إبطالاً لمنته عليه في التربية ، ببيان أنها في الحقيقة نقمة .

[٢٣] ﴿قالَ فِرعَوْنُ وَمَا ربُّ العَالَمِينَ﴾ .

[٢٤] ﴿قالَ﴾ موسى ﴿ربُّ السَّمٰواتِ والأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، إنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ .

[٢٥] ﴿قالَ﴾ فرعون ﴿لمنْ حَوْلَه ألاَ تَسْتَمِعُونَ﴾ لهذا النبأ العجيب ، وهو توحيد المعبود . وإنّما عدّه جديراً بأن يتعجبوا منه ، لأنهم غَلَوْا في عبادة الأصنام وتعديد الآلهة غُلُواً أربوا على كل من سواهم في الضلال ، فكانوا يسجدون للشمس والقمر ، والنجوم ، والأشخاص البشرية ، والحيوانات .

[٢٦] ﴿قالَ﴾ موسى ﴿ربُّكُمْ وربُّ آبائِكُمُ الأوَّلِينَ﴾ .

[٢٧] ﴿قالَ﴾ فرعون ﴿إنَّ رسُولَكُمُ الذي أُرْسِلَ إلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ لكونه يدعو إلى خلاف ما عقل عن الآباء [والأجداد ، ولكونه يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد خلافاً لما كانوا عليه] .

[٢٨] ﴿قال﴾ موسى ﴿ربُّ المشرقِ والمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، إن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ شيئاً ما ، أو إن كنتم من أهل العقل ، علمتم أن الأمر كما قلته .

[٢٩] ﴿قالَ﴾ فرعون ﴿لئنِ اتَّخَذْتَ إلهاً غيْري لأجْعَلَنَّكَ منَ المَسْجُونِينَ﴾ . [معناه : أي أجعلك ممن عرفتَ حالهم في سجوني] .

[٣٠] ﴿قالَ﴾ موسى لفرعون ﴿أوَلَوْ جئتُكَ﴾ أي أتفعل بي ذلك ولو جئتك ﴿بشيءٍ مُّبينٍ﴾ واضح الدلالة على صدق نبوّتي .

[٣١] ﴿قالَ﴾ فرعونُ ﴿فأْتِ بهِ﴾ أي : أظْهِرْ لنا دليلك ﴿إنْ كُنْتَ منَ الصَّادِقِينَ﴾ .

[٣٢] ﴿فألقى﴾ موسى ﴿عَصَاهُ فإذَا هيَ ثُعبانٌ مُبينٌ﴾ . [ثم لما رأى فرعون هذه الآية طلب آية أخرى من موسى] .

[٣٣] ﴿ونزعَ يدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فإذا هي بيضاءُ للنَّاظرين﴾ ذات شعاع .

[٣٤] ﴿قالَ﴾ فرعون ﴿للمَلأ﴾ الناس ﴿حولَهُ إنَّ هذَا لساحِرٌ عليمٌ﴾ .

[٣٥] ﴿يُريدُ أنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أرْضكم بِسِحْرِهِ فماذَا تَأْمُرُونَ﴾ . [أي : فما رأيكم فيه وما الذي أعمله؟ يظهر نفسه متبع لرأيهم ـ الرازي] .

[٣٦] ﴿قالُوا﴾ أي : ملأ فرعون يشيرون عليه ﴿أرْجِهْ وأخَاهُ﴾ والمعنى : أخّرهما ومناظرتهما لوقت اجتماع السحرة ﴿وابْعَثْ في المدآئِنِ حَاشِرِينَ﴾ أي : شُرطاً يحشرون السحرة ويجمعونهم عندك . [٣٧] ﴿يأتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ . [٣٨] ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ .

[٣٩] ﴿وقيلَ للنَّاسِ هَلْ أنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ لرؤية ما يُعارض معجزة موسى ؟ .

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۚ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

[٤٠] ﴿ لعلّنا نتّبعُ السَّحرَةَ إنْ كانُوا هُمُ الغالبينَ ﴾ .

[٤١] ﴿ فلمَّا جاءَ السَّحرَةُ قالُوا لِفرْعَوْنَ أإنَّ لنا لأجْراً إنْ كُنَّا نَحْنُ الغالِبينَ ﴾ .

[٤٢] ﴿ قالَ ﴾ فرعون ﴿ نَعَمْ ، وإنّكم إذاً لَمِنَ المُقرَّبينَ ﴾ .

[٤٣] ﴿ قالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا ما أنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ .

[٤٤] ﴿ فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وعِصِيَّهُمْ وقالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إنّا لنحنُ الغالِبُونَ ﴾ .

[٤٥] ﴿ فألقَى مُوسَى عَصَاهُ فإذا هيَ تَلْقَفُ ما يأْفِكُونَ ﴾ أي : تبتلع ما موَّهوا به إفكاً وزوراً .

[٤٦] ﴿ فأُلْقِيَ السَّحَرةُ ساجِدِينَ ﴾ على وجوههم منقادين له بالإيمان ، لعلمهم بأن مثله لا يتأتّى بالسحر .

[٤٧] ﴿ قالُوا ﴾ أي : السحرة ﴿ آمنّا بِرَبِّ العَالَمِينَ ﴾ .

[٤٨] ﴿ ربِّ مُوسَى وهارُونَ ﴾ .

[٤٩] ﴿ قالَ ﴾ فرعونُ ﴿ آمَنْتُمْ له قبلَ أنْ آذنَ لكُمْ ، إنَّهُ لكبيركُمُ الذي علَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ أي : فعلّمكم شيئاً دون شيء ، ولذلك غلبكم ، أوْ فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه ﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ، لأُقطِّعَنَّ أيْديَكُمْ وأرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ﴾ أي : جانبيْن متخالفيْن : اليد اليمنى مع الرجل اليسرى ، أو بالعكس ﴿ ولأُصلِّبَنَّكم أجمعينَ ﴾ .

[٥٠] ﴿ قَالُوا لا ضَيْرَ ، إنَّا إلى ربِّنا مُنْقَلِبُونَ ﴾ أي : لا ضرر علينا في ذلك ، بل لنا فيه أعظم النفع ، لأنا بفعلك هذا وصبرنا عليه ، شهادة على حقّيته ، إلى ثوابه ورحمته راجعون ، فننقلب خير منقلب ، شهداء سعداء .

[٥١] ﴿ إنَّا نَطْمَعُ أنْ يَغْفِرَ لنا ربُّنا خَطَايانا أنْ ﴾ أي : لأنه ﴿ كُنَّا أوَّلَ المُؤْمِنِينَ ﴾ أول من أظهر الإيمان كفاحاً ، مجاهرة بالحق بلا تقيّة .

[٥٢] ﴿ وأوْحينا إلى موسى : أنْ أسْرِ بعبادِي ﴾ يعني : بني إسرائيل . والإسراء : السير ليلاً والمعنى : سِرْ بهم ليلاً ﴿ إنّكُمْ متَّبَعُونَ ﴾ فإنه إذا وصل خبر سيركم إلى فرعون لا بد أن يتبعكم بجنوده لإرجاعكم ، إلا أنكم تتقدمونه ولا يدرككم .

[٥٣] ﴿ فأرْسَلَ فِرْعَوْنُ ﴾ حين أُخبر بسراهم ﴿ في المدائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ جامعين لعسكره .

[٥٤] ﴿ إنَّ هؤلاءِ ﴾ أي : قائلين ما يقلل به الأعداء في أعين الجنود ، إن بني إسرائيل الخارجين ﴿ لشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ .

[٥٥] ﴿ وإنَّهُمْ لَنا لَغَائِظُونَ ﴾ أي : يفعلون أفعالاً تغيظنا وتضيق صدورنا من مخالفة أمرنا والخروج بغير إذن منّا .

[٥٦] ﴿ وإنَّا لَجميعٌ حَاذِرُونَ ﴾ من مكرهم وسعيهم بالفساد في الأرض .

[٥٧] ﴿ فأخْرَجْناهُمْ ﴾ أي : أخرج الله تعالى فرعون وقومه ﴿ منْ جنَّاتٍ وعُيُونٍ ﴾ من حدائق وبساتين ذات مياه .

[٥٨] ﴿ وكُنُوزٍ ومَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ يعني : المنازل الحسنة والمجالس البهية .

[٥٩] ﴿ كذلِكَ ﴾ أي : مثل هذا الإخراج أخرجناهم ﴿ وأوْرثْناها بني إسْرَائِيلَ ﴾ أي : ملّكناها لهم تمليك الإرث بعد زمان ، وكأن العاقبة ، لمّا كانت لهم ، صاروا كأنهم ملكوها من حين خروج أربابها منها . [٦٠] ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ لحقوهم وقت شروق الشمس .

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب
بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ
نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟
نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ
﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ
يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ
﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

[٦١] ﴿ فلمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ ﴾ فلما تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر ﴿ قالَ أصْحَابُ مُوسى إنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ أي : لَمُلْحَقُونَ .

[٦٢] ﴿ قالَ ﴾ موسى ﴿ كلاَّ ﴾ لن يدركوكم فإنَّ الله وعدكم بالخلاص منهم ﴿ إنَّ مَعِيَ ربِّي سَيَهْدِينِ ﴾ لطريق النجاة منهم .

[٦٣] ﴿ فَأَوْحَيْنَا إلى موسى أنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ ﴾ فضربه ﴿ فانْفَلَقَ ﴾ قسمين ﴿ فكانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العَظِيمِ ﴾ أي : كل جزء متفرق منه كالجبل الكبير .

[٦٤] ﴿ وأزْلَفْنَا ﴾ وقرّبنا ﴿ ثَمَّ ﴾ حيث انفلق البحر ﴿ الآخَرِينَ ﴾ يعني قوم فرعَوْن ، قدمناهم إلى البحر حتى دخلوا على أثر بني إسرائيل .

[٦٥] ﴿ وأنْجَيْنَا مُوسَى ومَنْ مَعَهُ أجْمَعِينَ ﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا .

[٦٦] ﴿ ثُمَّ أغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴾ بإطباقه عليهم .

[٦٧] ﴿ إنَّ في ذلكَ لآيَةً ﴾ أي : لعبرة ﴿ وما كانَ أكثرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ مع مشاهدة هذه الآية العظمى التي توجب تصديقه بعدها في كل ما جاء به .

[٦٨] ﴿ وإنّ ربك لَهُوَ العزيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وفيه تسلية للنبي ﷺ ، ووعد له ، ووعيد لمن عصاه .

[٦٩] ﴿ واتْلُ ﴾ يا محمد ﴿ عليهم ﴾ على مشركي العرب ﴿ نبأَ إبْراهِيمَ ﴾ عليه السلام .

[٧٠] ﴿ إذ قالَ لأبِيهِ وقَوْمِه مَا تعبُدُونَ ﴾ ما الذي تدعونه وتلجؤون إليه ؟ وكان عليه السلام يعلم أنهم عبدة أصنام ، ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء . [٧١] ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عاكفينَ ﴾ أي : مقيمين على عبادتها لا نتخطاها إلى غيرها . [٧٢] ﴿ قالَ : هلْ يَسْمَعُونَكُمْ إذ تَدْعُونَ ﴾ سؤال استنكار . [٧٣] ﴿ أوْ يَنْفَعُونَكم أوْ يَضُرُّونَ ﴾ . أي : لا ينفعونكم ولا يضرونكم . [٧٤] ﴿ قَالُوا بلْ وجدْنا آباءَنَا كذلكَ يَفْعَلُونَ ﴾ مثل عبادتنا ، فقلّدناهم .

[٧٥] ﴿ قالَ ﴾ إبراهيم ﴿ أفرأيْتُم ﴾ أفأبصرتم ، أو تأملتم ﴿ ما كُنتم تَعْبُدُون ﴾ من أصنام وغيرها .

[٧٦] ﴿ أنتم وآباؤكُمُ الأقْدَمُونَ ﴾ . [٧٧] ﴿ فإنَّهُمْ عَدُوٌّ لي ﴾ فإنهم بغضائي ﴿ إلاَّ ربَّ العَالَمِينَ ﴾ أي : لكن رب العالمين ليس كذلك ، فإنه وليي في الدنيا والآخرة ، لا أعبد غيره . [٧٨] ﴿ الذي خَلَقَني فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ إلى كل ما يهمني من أمور الدين والدنيا .

[٧٩] ﴿ والذي هُوَ يُطْعِمُني ويَسْقِينِ ﴾ أي : يرزقني بما سخّر ويسّر من الأسباب السماوية والأرضية .

[٨٠] ﴿ وإذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ أي : إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما قدره من الأسباب الموصلة إليه .

[٨١] ﴿ والذي يُمِيتُني ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ فإنه هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده لا يقدر على ذلك أحد سواه .

[٨٢] ﴿ والذي أطمعُ أن يغفرَ لي خَطِيئَتِي يومَ الدين ﴾ أي : يوم الجزاء . وخطيئته ما كان يراها هو صلوات الله عليه ويعدّها بالنسبة لمقامه الكريم .

[٨٣] ﴿ ربِّ هبْ لي حُكْماً ﴾ أي : حكمة ، أو حكماً بين الناس بالحق ، أو نبوّة ، لأن النبي ذو حكم وحكمة ﴿ وأَلْحِقْني بالصَّالِحِينَ ﴾ أي : وفقني لأنتظم في سلكهم ، لأكون من الذين جعلتهم سبباً لصلاح العالم وكمال الخُلُق .

وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ
يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ
أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ
إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ
قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

[٨٤] ﴿ واجْعَلْ لي لسانَ صِدْقٍ في الآخِرينَ ﴾ أي : ذكراً جميلاً بعدي ، أُذْكَر به ويُقتدى بي في الخير .

[٨٥] ﴿ واجْعَلْني منْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعيمِ ﴾ .

[٨٦] ﴿ واغْفِرْ لأبي ﴾ بهدايته وتوفيقه للإيمان ﴿ إنَّهُ كانَ من الضَّالّين ﴾ أي : طريقَ الحق .

[٨٧] ﴿ ولا تُخْزِني يوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ أي : تُلحق بي ذُلاًّ وهواناً يومئذ .

[٨٨] ﴿ يوْمَ لا ينفعُ مالٌ ﴾ لا يقي المرء من عذاب الله مالُه ، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً ﴿ ولاَ بَنُونَ ﴾ ولا بنوه ، وإن كانوا غايةً في القوّة .

[٨٩] ﴿ إلاَّ منْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَليمٍ ﴾ سليم من مرض الكفر والنفاق والخصال المذمومة .

[٩٠] ﴿ وأُزْلِفَتِ الجنَّةُ ﴾ قُرِّبَتْ ﴿ للمُتَّقِينَ ﴾ .

[٩١] ﴿ وبُرِّزَتِ الجَحِيمُ للغَاوِينَ ﴾ الضّالّين عن طريق الحق الذي هو الإيمان والتقوى .

[٩٢] ﴿ وقيلَ لَهُمْ ﴾ توبيخاً على شركهم ﴿ أيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ .

[٩٣] ﴿ من دونِ اللَّهِ ، هلْ ينصرونَكُمْ أو يَنْتَصِرُونَ ﴾ يدفعون العذاب عنكم ، أو يدفعونه عن أنفسهم ، لأنهم وآلهتهم وقود النار .

[٩٤] ﴿ فكُبْكِبُوا فِيهَا ﴾ الكبكبة تكرار الكب ـ وهو الإلقاء على الوجه ـ جعل التكرار في اللفظ دليلاً على التكرار في المعنى ﴿ هُمْ والغَاوُونَ ﴾ .

[٩٥] ﴿ وجنودُ إبْليسَ ﴾ أي : متبعوه من العصاة ﴿ أجْمَعُونَ ﴾ كلهم في النار . [٩٦] ﴿ قالُوا وهُمْ فيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾ . [٩٧] ﴿ تَاللَّهِ إنْ كُنَّا لَفِي ضلالٍ مُبينٍ ﴾ .

[٩٨] ﴿ إذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ ﴾ في العبادة ، مع أنكم أعجز مخلوقاته . [٩٩] ﴿ ومَا أضلَّنا إلا المُجْرِمُونَ ﴾ أي : رؤساؤهم .

[١٠٠] ﴿ فَمَا لنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ من الذين كنا نعدّهم شفعاء وأصدقاء ، لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عندَ الله .

[١٠١] ﴿ ولا صديقٍ حميم ﴾ وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس ، فما أغْنَوْا عنهم شيئاً . والحميم : من الاحتمام ، وهو : الاهتمام ، وهو الذي يهمه ما يهمّك . أو من : الحامة ، بمعنى الخاصة ، وهو الصديق الخاص . [١٠٢] ﴿ فَلَوْ أنَّ لنا كرَّةً ﴾ أي : رجعة إلى الدنيا ﴿ فَنَكُونَ من المؤمنين ﴾ . [١٠٣] ﴿ إنَّ في ذلكَ ﴾ فيما ذُكر من نبأ إبراهيم ﴿ لآيَةً ﴾ لحُجَّة وعظة لمن أراد أن يستبصرها ويعتبر ﴿ ومَا كانَ أكثرُهُمْ ﴾ أي : أكثر قوم إبراهيم ﴿ مُؤْمنينَ ﴾ . [١٠٤] ﴿ وإنَّ ربَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ بإنزال الكتب وإرسال الرسل ، لدعوة خلقه إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم .

[١٠٥] ﴿ كذَّبتْ قوْمُ نُوحٍ المُرْسَلينَ ﴾ لأن تكذيب واحد كتكذيب الكل ، لاتفاقهم في أصول الشرائع . [١٠٦] ﴿ إذْ قالَ لَهُمْ أخوهُم نُوحٌ ألاَ تتَّقُونَ ﴾ الله . [١٠٧] ﴿ إنّي لَكُمْ رَسُولٌ أمينٌ ﴾ . [١٠٨] ﴿ فاتَّقُوا الله وأطيعونِ ﴾ . [١٠٩] ﴿ ومـا أسألُكُمْ عليهِ ﴾ أي : على الدعوة إلى الله ﴿ منْ أجْرٍ ، إنْ أجريَ إلاَّ على ربِّ العَالمينَ ﴾ وهذا ديدن الدعاة إلى الله أن يكون عملهم خالصاً لوجهه سبحانه . [١١٠] ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ وأطيعونِ ﴾ تكرار لأهمية التقوى لله والطاعة لرسوله .

[١١١] ﴿ قَالُوا أنُؤْمِنُ لكَ واتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾ يعنون من كان وضيعَ النسب ، [قليل المال] .

قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَآ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن
مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

[١١٢] ﴿ قالَ ﴾ نوحٌ جواباً عما أشير إليه من قول كفار قومه أن أتباعه لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة ﴿ ومَا عِلْمي بمَا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وما عليّ إلاَّ الظاهر والله يتولى السَّرائر .

[١١٣] ﴿ إنْ حِسَابُهُمْ إلاَّ عَلَى رَبِّي ﴾ ما حسابهم على أعمالهم ، إلاَّ على ربّي المطّلع على ضمائرهم ﴿ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ .

[١١٤] ﴿ وما أنا بطاردِ المُؤْمِنِينَ ﴾ .

[١١٥] ﴿ إنْ أنا إلاَّ نذيرٌ مُبينٌ ﴾ .

[١١٦] ﴿ قَالُوا : لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نوحُ لتكُونَنَّ منَ المَرْجُومينَ ﴾ أي : المشتومين ، أو المرميين بالحجارة .

[١١٧] ﴿ قالَ ربِّ إنَّ قوْمي كذَّبُونِ ﴾ .

[١١٨] ﴿ فافْتَحْ بيْني وبيْنَهُمْ فَتْحاً ﴾ أي : احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا ﴿ ونجِّني ومَنْ مَعِيَ منَ المُؤْمنينَ ﴾ .

[١١٩] ﴿ فأنْجَيْنَاهُ ومَنْ مَعَهُ في الفُلْكِ المَشْحُونِ ﴾ في السفينة المملوءة من الناس والحيوان والطير .

[١٢٠] ﴿ ثُمَّ أغْرَقْنَا بَعْدُ ﴾ بعد إنقاذ نوح ومن معه ﴿ الباقينَ ﴾ من قومه الكافرين .

[١٢١] ﴿ إنَّ في ذلكَ لآيَةً ﴾ أي : فيما فعلنا بهم لعبرة وعظة لمن بعدهم ﴿ ومَا كانَ أكثرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

[١٢٢] ﴿ وإنَّ ربَّكَ لَهُوَ العزيزُ الرَّحيمُ ﴾ .

[١٢٣] ﴿ كذَّبَتْ عَادٌ ﴾ وهم قوم هود عليه السلام ﴿ المُرْسَلِينَ ﴾ وتكذيب مُرْسَلٍ واحد تكذيب للجميع .

[١٢٤] ﴿ إذْ قالَ لَهُمْ أخُوهُمْ هُودٌ ألاَ تَتَّقُونَ ﴾ .

[١٢٥] ﴿ إنّي لكمْ رسولٌ أمينٌ ﴾ والأمين لا يغش قومه . [١٢٦] ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ وأطيعُونِ ﴾ في دعوتكم إلى الله سبحانه وطاعته .

[١٢٧] ﴿ ومَا أسْألُكُمْ عليهِ من أجْرٍ ، إنْ أجْرِيَ إلا على ربِّ العالمينَ ﴾ .

[١٢٨] ﴿ أتَبْنُونَ بكلِّ ريعٍ ﴾ بكل مكان مرتفع ﴿ آيَةً ﴾ علامة ﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ ببنائها لا للحاجة إليها بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة .

[١٢٩] ﴿ وتَتَّخِذونَ مَصَانِعَ ﴾ أي : منازل وقصوراً [قال ابن كثير : قال قتادة : هي مآخذ الماء] أي خزانات المياه ﴿ لعلَّكم تَخْلُدُونَ ﴾ راجين الخلود في الدنيا . إشارة إلى أن عملهم ذلك ، لِقِصَر نظرهم على الدنيا والإعجاب بالآثار ، والتباهي بالمَشِيدات .

[١٣٠] ﴿ وإذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ تأخذون بالعنف والشدة ، كبراً وعتوّاً .

[١٣١] ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فيما آمركم به من التوبة والإيمان ﴿ وأطيعونِ ﴾ وطاعة الرسول ﷺ طاعة لله سبحانه .

[١٣٢] ﴿ واتَّقُوا الذي أمدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ [وبعدما دعاهم الى طاعة الله نبههم الى نعمه ثم فصّلها] .

[١٣٣] ﴿ أمَدَّكُم بأنْعَامٍ وبَنِينَ ﴾ [والأنعام لغة : الإبل والبقر والغنم] .

[١٣٤] ﴿ وجنَّاتٍ وعُيُونٍ ﴾ حدائق وأنهاراً . والمقصود : اشكروا نعماءَه ، وراعوا بتقواه آلاءَه .

[١٣٥] ﴿ إنّي أخافُ عَلَيْكُمْ ﴾ إن لم تقوموا بواجب شكرها ﴿ عذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ في الدنيا والآخرة .

[١٣٦] ﴿ قَالُوا : سواءٌ علينا أوَعَظْتَ أمْ لمْ تكُنْ مِنَ الوَاعِظِينَ ﴾ فإنا لن نرعوي عما نحن عليه .

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

[١٣٧] ﴿ إِنْ هَذَا ﴾ ما هذا الذي نحن عليه ﴿ إِلَّا خُلُقُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي : عادتهم فنحن بهم مقتدون .

[١٣٨] ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ على ما نحن عليه من الأعمال .

[١٣٩] ﴿فكذَّبُوه فَأَهْلَكْناهُمْ﴾ بريح صرصر ﴿إِنَّ في ذلِكَ لآيَةً وَمَا كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

[١٤٠] ﴿وإِنَّ ربَّكَ لَهُوَ العَزيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

[١٤١] ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ المُرْسَلِينَ ﴾ وهم قوم صالح عليه السلام .

[١٤٢] ﴿ إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ألاَ تَتَّقُونَ ﴾ .

[١٤٣] ﴿ إِنِّي لكُمْ رسُولٌ أمينٌ ﴾ .

[١٤٤] ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ وأطيعُونِ ﴾ .

[١٤٥] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عليهِ مِنْ أجْرٍ إنْ أجْرِيَ إلاَّ عَلَى ربِّ العَالَمِينَ ﴾ .

[١٤٦] ﴿أَتُتْرَكُونَ في ما هٰهُنَا﴾ أي : في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ﴿ آمِنِينَ ﴾ من الموت والزّوال والعذاب .

[١٤٧] ﴿ في جنَّاتٍ ﴾ بساتين ﴿ وعيونٍ ﴾ من الماء .

[١٤٨] ﴿ وزُرُوعٍ ونَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ أي : لطيف لين ، [وقال ابن عباس رضي الله عنهما : أينع وبلغ فهو هضيم . وقال مجاهد : هو الذي إذا يبس تهشم وتفتت وتناثر . وقال ابن جريج عن مجاهد : حين يطلع تقبض عليه فتهضمه فهو من الرطب الهضيم ، ومن اليابس الهشيم ، تقبض عليه فتهشمه ـ ابن كثير] .

[١٤٩] ﴿ وتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً فارِهِينَ ﴾ أي : بَطِرينَ . وقيل : فاره من فَرُه ، بالضم ، بمعنى : حذق .

[١٥٠] ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ ﴾ . [١٥١] ﴿ ولا تُطِيعُوا أمْرَ المُسْرِفِينَ ﴾ .

[١٥٢] ﴿ الذينَ يُفْسِدُونَ في الأرْضِ ولا يُصْلِحُونَ ﴾ .

[١٥٣] ﴿ قَالُوا إنَّمَا أنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ ﴾ الذي سُحِروا حتى غُلب على عقولهم .

[١٥٤] ﴿ ما أَنْتَ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا فأْتِ بآيَةٍ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادقينَ ﴾ .

[١٥٥] ﴿ قالَ هذهِ ناقةٌ لَهَا شِرْبٌ ﴾ أي : نصيب من الماء ﴿ ولكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ أي : فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموها على شِرْبِهَا ، أمرهم نبيُّهم أن يقتنعوا بيومهم الذي حُدّد لهم لشربهم ، وألا يزاحموا النَّاقة بأن يشربوا في يومها المخصص لها .

[١٥٦] ﴿ ولا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أي : لعظيم ما تسيؤون .

[١٥٧] ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ فقتلوها ﴿ فأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ .

[١٥٨] ﴿ فأخذَهُمُ العَذَابُ ﴾ الموعود ، وهو أن زلزلت أرضهم زلزالاً شديداً ، وجاءتهم صيحة عظيمة ﴿ إنَّ في ذلكَ لآيَةً وَمَا كانَ أكثرُهُم مُؤْمِنِينَ ﴾ .

[١٥٩] ﴿ وإنَّ ربَّكَ لَهُوَ العزيزُ الرَّحِيمُ ﴾ .

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

[١٦٠] ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ المُرْسَلِينَ ﴾ .

[١٦١] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُم لُوطٌ : ألاَ تَتَّقُونَ ﴾ .

[١٦٢] ﴿ إِنِّي لكمْ رَسُولٌ أمينٌ ﴾ .

[١٦٣] ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ وأطِيعُونِ ﴾ .

[١٦٤] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عليهِ مِنْ أجْرٍ إنْ أجْرِيَ إلاَّ عَلَى ربِّ العَالَمِينَ ﴾

[١٦٥] ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ العَالَمِينَ ﴾ [أتنكحون الذكران من بني آدم في أدبارهم ـ ابن جرير] .

[١٦٦] ﴿ وتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ أي : مجاوزون حدَّ الحكمة في ترك محل الحرث ، الحافظ للنسل ، الذي به حفظ النوع البشريّ ، وإيثار ما لم يُخْلَقْ لذلك ، شَرَهاً في الشهوة الحيوانية ، ومكافحة لتغيير الأوضاع الربانية .

[١٦٧] ﴿ قَالُوا : لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ ﴾ عن تقبيح أمرنا ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ المُخْرَجِينَ ﴾ من قَرْيَتِنَا بالعنف والقوّة .

[١٦٨] ﴿ قالَ ﴾ لوط ﴿ إنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ القَالِينَ ﴾ المبغضين غاية البغض ، فأنا أرغب في الخروج عن دياركم ، والراحة من مجاورتكم .

ربع الحزب ٣٨

[١٦٩] ﴿ ربِّ نَجِّني وأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ أي : من شؤمه وغائلته .

[١٧٠] ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ .

[١٧١] ﴿ إلاَّ عَجُوزاً ﴾ وهي امرأته ﴿ في الغَابِرِينَ ﴾ أي : مُقَدَّراً كونها منَ الباقين في العذاب ، لأنها كانت راضية بعمل قومها .

[١٧٢] ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ ﴾ أي : أهلكناهم أشد إهلاك وأفظعه .

[١٧٣] ﴿وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً﴾ عظيماً غير معهود، هلكوا به ﴿فساء مَطَرُ المُنْذَرِينَ﴾ .

[١٧٤] ﴿إنَّ في ذٰلِكَ لآيَةً وَمَا كانَ أكثرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[الآية هنا العبرة والموعظة] .

[١٧٥] ﴿وإنَّ ربَّكَ لَهُوَ العزيزُ الرَّحيمُ﴾ .

[١٧٦] ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ المُرْسَلِينَ ﴾ وهم أهل مدين . والأيكة : الأشجار الكثيرة الملتفة المجتمعة في مكان واحد .

[١٧٧] ﴿ إذْ قال لَهُمْ شُعَيْبٌ ألا تَتَّقُونَ ﴾ [نبيهم شعيب] .

[١٧٨] ﴿ إنِّي لكمْ رسُولٌ أمينٌ ﴾ . [١٧٩] ﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ وأطيعُونِ ﴾ .

[١٨٠] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عليهِ مِنْ أجْرٍ ، إنْ أجْرِيَ إلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ .

[١٨١] ﴿ أَوْفُوا الكَيْلَ ﴾ أي : أتمُّوه ﴿ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ المُخْسِرِينَ ﴾ أي : حقوق الناس بإعطائهم ناقصاً .

[١٨٢] ﴿ وزِنُوا بالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ ﴾ أي : بالميزان السويّ . [١٨٣] ﴿ ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ لا تنقصوهم حقوقهم ﴿ ولا تَعْثَوْا في الأرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ بالقتل والغارة وقطع الطريق والجَوْر والظلم وأكل أموال الناس بالباطل .

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ
مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ
عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾
فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ
فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

[١٨٤] ﴿ واتَّقُوا ﴾ اللَّهَ ﴿ الذي خَلَقَكُمْ والجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ ﴾ أي : وذوي الجبلّة الأولين وهم من تقدمهم من الخلائق .

[١٨٥] ﴿ قالوا إنَّما أنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ ﴾ .

[١٨٦] ﴿ وما أنتَ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا ، وإنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ ﴾ فيما تدّعيه من النبوّة .

[١٨٧] ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ ﴾ قطعاً منها . قرىء : كِسْفاً ، بسكون السين وتحريكها ، وكلاهما جمع كِسْفَةٍ ﴿ إن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

[١٨٨] ﴿ قالَ : ربِّي أعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ ﴾ من الكُفْرِ والمعاصي ، وبما تستوجبون عليها من العذاب ، بإسقاط كِسف أو غيره .

[١٨٩] ﴿ فكذَّبُوهُ ﴾ فاستمروا على تكذيبه ولم يتوبوا ﴿ فأخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ فقد أظلتهم سحابة أطبقت عليهم ، وأظلمت الجوّ فوقهم ، وغشيهم العذاب وأحاط بهم . والظُّلَّة بالضم لغةً : الغاشية ، وما أطبق وستر من فوق ﴿ إنَّه كانَ عذابَ يَوْمٍ عظيمٍ ﴾ لحلول العقاب فيهم ، من جنس ما سألوه من إسقاط السماء قِطَعاً عليهم .

[١٩٠] ﴿ إنَّ في ذلِكَ لآيَةً ﴾ على أخذه العُصَاةَ بمُقْتَضى أعمالهم ﴿ وما كانَ أكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

[١٩١] ﴿ وإنَّ ربَّكَ لَهُوَ العزيزُ الرَّحِيمُ ﴾ الغالب على تعذيب من شاء بما شاء ، الرحيم ، بإرسال الرسل ، لئلا يكون للناس على الله حجة .

[١٩٢] ﴿ وإنَّهُ ﴾ أي : ما ذكر من الآياتِ الناطقة بالقصص المحكية ، أو القرآن المتضمن لها ﴿ لَتَنْزِيلُ ربِّ العَالَمِينَ ﴾ منزل منه حقاً . [١٩٣] ﴿ نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾ جبريلُ عليه السلام .

[١٩٤] ﴿ على قَلْبِكَ ﴾ يا محمد ﴿ لتكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ ﴾ أي : منتظماً في سلك أولئك المشهورين بتلك المزية الجليلة ، والمنقبة الفاضلة ، وهي الرسالة الإلهية بالإنذار .

[١٩٥] ﴿ بلسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ واضح المعنى جليّ المفهوم ، ليكون قاطعاً للعذر ، مقيماً للحجة ، دليلاً إلى المحجَّة . [١٩٦] ﴿ وإنّه لَفي زُبُرِ الأوَّلِينَ ﴾ أي : في كتبهم ، مع أنه ﷺ لم يصحب أهلها ولم يدرسها ، فكفى بذلك شهيداً على صدقه .

[١٩٧] ﴿ أوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً ﴾ علامة على تنزيله الحق ﴿ أنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بني إسْرَائِيلَ ﴾ فيجدون مصداقه في زبرهم التي يدرسونها .

[١٩٨] ﴿ ولوْ نَزَّلناهُ عَلَى بعْضِ الأَعْجَمِينَ ﴾ ولو نزّلناه بنظمه البديع على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية . [١٩٩] ﴿ فَقَرَأَهُ عليهم ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ فقرأه عليهم قراءة فصيحة ، انفتق لسانه بها ، خرقاً للعادة ، لكفروا به كما كفروا ، ولتمحّلوا لجحودهم عذراً ، ولسموه سحراً ، لعنادهم . [٢٠٠] ﴿ كذلكَ سلكناهُ في قلوبِ المُجْرِمِينَ ﴾ أي : مكّنا هذا العناد والإباء عن الإيمان به ، في قلوبهم وأنفسهم ، وقررناه فيها .

[٢٠١] ﴿ لا يُؤمنونَ بِهِ حتَّى يَرَوُا العذابَ الأليمَ ﴾ . [٢٠٢] ﴿ فيأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وهُمْ لا يشْعُرُونَ ﴾ .

[٢٠٣] ﴿ فيقولوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴾ يطلبون مهلة جديدة . [٢٠٤] ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ وهو ما هو ، عياذاً به منه .

[٢٠٥] ﴿ أَفَرَأَيْتَ إنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴾ بالحياة الدنيا . [٢٠٦] ﴿ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ من العذاب وغيره .

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ
الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ
عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي
بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي
يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن
بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمْلِ — ترتيبها ٢٧ — آياتها ٩٣

[٢٠٧] ﴿ ما أغْنَى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ يتمتعون به من طول الأعمار وطيب المعايش .

[٢٠٨] ﴿ وما أهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إلاَّ لها مُنْذِرُونَ ﴾ .

[٢٠٩] ﴿ ذِكْرَى ﴾ أي : رسل ينذرونهم لأجل الموعظة والتذكرة ﴿ وما كُنَّا ظالِمِينَ ﴾ فنبغتهم بالعذاب قبل الإنذار ، فإن ذلك محال في حكمة الحَكَم العَدْل .

[٢١٠] ﴿ وما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ ﴾ .

[٢١١] ﴿ وما ينبغي لَهُمْ ﴾ أي : للشياطين ﴿ وما يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ردٌّ لما زعمه المشركون من أن التنزيل الكريم من قبيل ما تلقيه الشياطين على الكهنة .

[٢١٢] ﴿ إنَّهم ﴾ أي : الشياطين ﴿ عنِ السَّمْعِ ﴾ أي : الاستماع عن الملائكة ﴿ لَمَعْزُولُونَ ﴾ لانتفاء الاستعداد لقبول فيضان أنوار الحق عليهم ، لخباثة نفوسهم بالذات .

[٢١٣] ﴿ فلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إلهاً آخَرَ فتكُونَ من المُعَذَّبِينَ ﴾ في الدَّارين .

[٢١٤] ﴿ وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ ﴾ أي : الأدنين ، وإنَّه لا يُخلِّص أحداً منهم إلا إيمانه بربه عز وجل .

[٢١٥] ﴿ واخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴾ أي : ليّن جانبك لهم .

[٢١٦] ﴿ فإنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

[٢١٧] ﴿ وتوكَّلْ على العزيزِ الرَّحِيمِ ﴾ .

[٢١٨] ﴿ الذي يَراكَ حينَ تَقُومُ ﴾ من النوم إلى التهجد .

[٢١٩] ﴿ وتَقَلُّبَكَ في السَّاجِدِينَ ﴾ أي : المصلين . يعني : يراك وحدَك ، ويراك في الجُمَع ، أو المعنى : لا يخفى عليه حالك ، كلما قمت وتقلبت مع الساجدين ، في كافة أمور الدين . أو هي كناية عن رعايته صلوات الله عليه ، والعناية به .

[٢٢٠] ﴿ إنّه ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ هوَ السَّميعُ العليمُ ﴾ لما تقوله وبما تنويه . [٢٢١] ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكم على مَنْ تنزَّلُ الشَّياطِينُ ﴾ أي : تتنزل ، وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله ﷺ بعد امتناع تنزلهم بالقرآن .

[٢٢٢] ﴿ تَنَزَّلُ على كُلِّ أفَّاكٍ أثِيمٍ ﴾ أي : كذاب في قوله ، يصرف الكلام من وجه إلى آخر ، ولا يبالي بذلك ، أثيم كثير الإثم والفجور في فعله ، وحيث كان المقام النبويّ منزّهاً عن ذلك ، اتضح استحالة تنزلهم عليه .

[٢٢٣] ﴿ يُلْقُونَ ﴾ الأفّاكون ﴿ السَّمْعَ ﴾ إلى الشياطين وأوهامهم ووساوسهم ﴿ وأكثرُهُمْ كاذِبُونَ ﴾ فيما يتكهنون به ، وفيما يحكونه عن الشياطين .

[٢٢٤] ﴿ والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ﴾ الغاوون : الضالون عن السنن .

[٢٢٥] ﴿ ألَمْ تَرَ أنَّهُمْ في كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ ﴾ يركبون للباطل والكذب وفضول القول كلَّ مركب من هجاء ومدح وغزل وغيره .

[٢٢٦] ﴿ وأنَّهم يقولونَ ما لا يَفْعَلُونَ ﴾ مما يتبجّحون به من أقوال وأفعال . [٢٢٧] ﴿ إلاَّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وذَكَرُوا اللَّهَ كثيراً ﴾ في شعرهم بأن كان غالبُه في توحيد الله ، والثناء عليه ، والحكمة والموعظة والآداب الحسنة ﴿ وانْتَصَرُوا ﴾ بشعرهم على عدوّهم بأن هجوه ﴿ مِن بَعْدِ ما ظُلِمُوا ﴾ فكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم ، جزاء وفاقاً ﴿ وسيعلمُ الذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ تهديد شديد ووعيد أكيد .

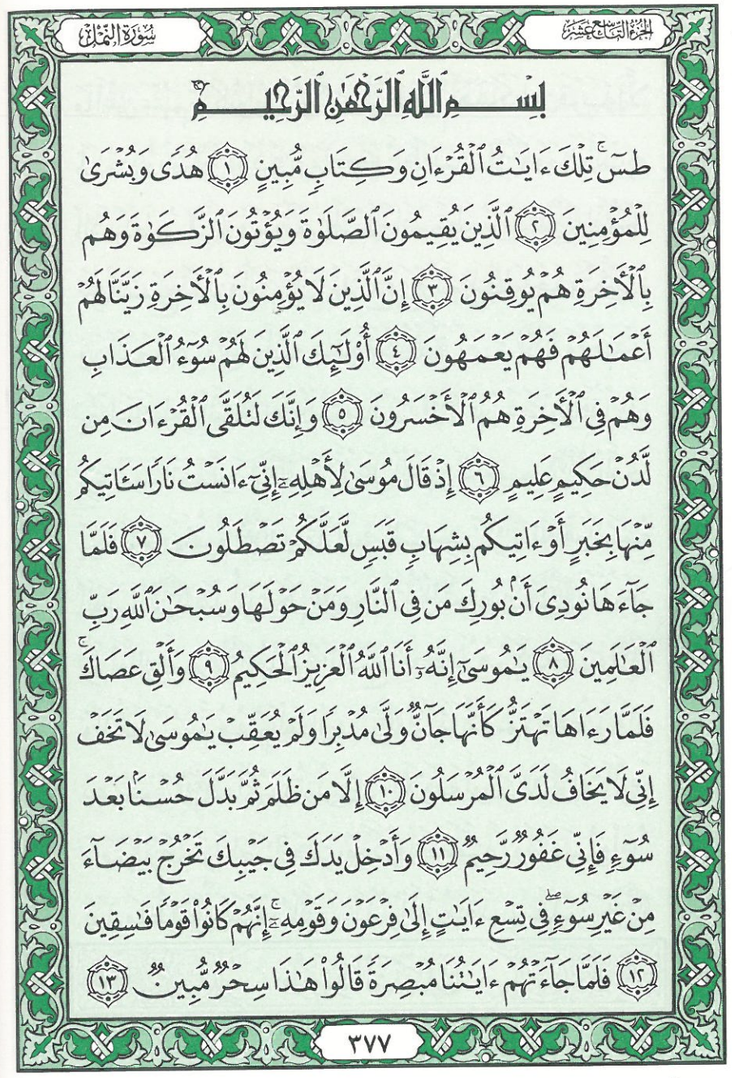

[سورة النمل]

سورة النمل ، سميت بالنمل لاشتمالها على قصة النمل ، الدالة على علم الحيوان بنزاهة الأنبياء وأتباعهم ، عن ارتكاب المكاره عمداً . وهي مكية . وآياتها ٩٣ .

[١] ﴿ طسٓ ﴾ تقدم الكلام على معاني الحروف المقطعة في مطلع سورة البقرة ﴿ تلك ﴾ الإشارة إلى نفس السورة ﴿ آياتُ القُرآنِ ، وكتابٍ مبينٍ ﴾ مبين لما تضمنه من الحِكم والأحكام والمواعظ .

[٢] ﴿ هُدًى وبُشْرى للمُؤْمِنِينَ ﴾ هو هدى من الضلالة ، وبشرى برحمة الله ورضوانه .

[٣] ﴿ الذينَ يُقيمونَ الصَّلاةَ ، ويؤتونَ الزَّكاةَ ، وهم بالآخرةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أي : الهدى والبشرى لمن آمن وذكرت صفاتهم .

[٤] ﴿ إنَّ الذينَ لا يؤمنونَ بالآخرةِ زيَّنَّا لَهُمْ أعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي : مددنا لهم في غيّهم ، فهم يتيهون في ضلالهم . وكان هذا جزاءً على ما كذّبوا به من الدار الآخرة والجزاء على الأعمال .

[٥] ﴿ أولئك الذينَ لَهُمْ سُوءُ العذابِ وهُمْ في الآخرةِ هُمُ الأخْسَرُونَ ﴾ أي : أشد الناس خسراناً للنجاة وثواب الله .

[٦] ﴿ وإنَّك لَتُلَقَّى القرآنَ من لَدُنْ حكيمٍ عليمٍ ﴾ لَتُؤْتاه وتُلقَّنه من عند حكيم في أمره ونهيه ، عليم بالأمور جليّها وخفيها ، فخبره هو الصدق المحض والحكمة البالغة .

[٧] ﴿ إذْ قالَ مُوسَى لأهْلِهِ ﴾ حين عاد من مدين إلى مصر ، وضلَّ الطريق ﴿ إنّي آنَسْتُ ناراً ﴾ أي : رأيتها ﴿ سآتيكُم منها بخَبَرٍ ﴾ عن الطريق ﴿ أوْ آتيكم بِشِهابٍ قَبَسٍ ﴾ بشعلة مقتبسة ﴿ لعلَّكم تصْطَلُونَ ﴾ أي : تتدفَّؤون بها . [٨] ﴿ فلمَّا جاءَها نُودِيَ أنْ بُورِكَ مَنْ في النَّارِ ومَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي : بورك من في مكان النار ومَنْ حول مكانها ﴿ وسُبْحَانَ اللَّهِ ربِّ العَالَمِينَ ﴾ . [٩] ﴿ يا مُوسى ، إنَّهُ أنَا اللَّهُ العزيزُ الحكيم ﴾ أي : أنا الله لا تلك المعبودات التي عكف عليها قوم فرعون . [١٠] ﴿ وألْقِ عَصَاكَ فلمَّا رآهَا ﴾ موسى ﴿ تَهْتَزُّ كأنَّهَا جَانٌّ ﴾ الجان : هو أسرع أنواع الحيَّات حركة واضطراباً ﴿ وَلَّى مُدْبِراً ﴾ أسرع موسى من الخوف ﴿ ولَمْ يُعَقِّبْ ﴾ لم يرجع على عقبه من شدة خوفه ، فخاطبه المولى سبحانه ﴿ يا مُوسَى ، لا تَخَفْ ، إنِّي لا يخافُ لديَّ المُرْسَلُونَ ﴾ لحفظي لهم وعنايتي بهم وعصمتي إياهم مما يؤذيهم . [١١] ﴿ إلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بدَّلَ حُسْناً بعْد سوءٍ فإنِّي غفورٌ رحيمٌ ﴾ فإنهم وإن صدر عنهم شيء من ذلك ، فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ، ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة .

[١٢] ﴿ وأدْخِلْ يدَكَ في جيبِكَ تخرجْ بيضاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ ﴾ أي : من غير آفة كالبرص ﴿ في تِسْعِ آياتٍ ﴾ غيرها نؤتيك إياها برهاناً ، وهي : ضرب ماء النهر بالعصا فينقلب دماً ، وإصعاد الضفادع على أرض مصر ، وضرب التراب فتمتلىء الأرض قُمَّلاً ، وإرسال الجراد عليهم ، والوباء الشديد ، وإصابة أجسادهم بالقروح والدمامل والبثور ، وإهلاك حصادهم بالبَرَد الشديد ، وتغشيتهم بظلام كثيف . وقيل : هذه المعجزة تخرج آية في تسع آيات ﴿ إلى فرعونَ وقومِه ﴾ أي : مُرسلاً بها إليهم ﴿ إنَّهم كانُوا قوْماً فاسِقِينَ ﴾ خارجين عن الحدود ، في الكفر والعدوان .

[١٣] ﴿ فلمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ ظاهرة بيِّنة ﴿ قالُوا ﴾ من عنادهم واستكبارهم ﴿ هذا سحرٌ مُبينٌ ﴾ .

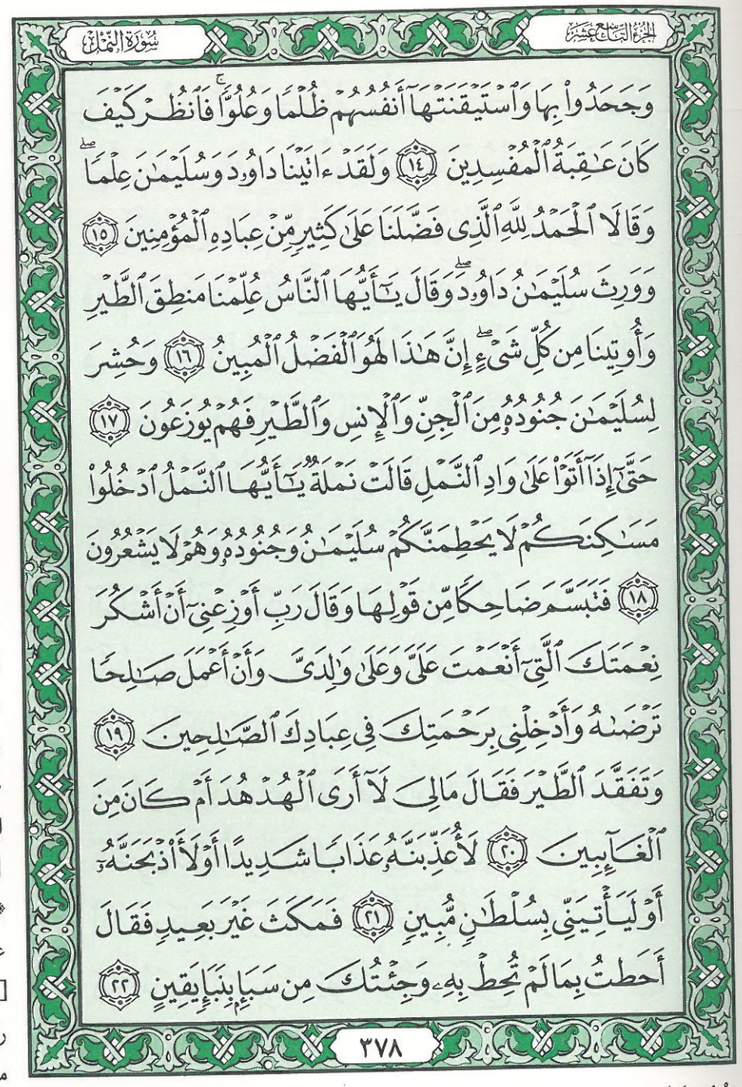

[١٤] ﴿ وجَحَدُوا بِها ﴾ كذَّبوا بها بألسنتهم ﴿ واسْتَيْقَنَتْهَا أنْفُسُهُمْ ﴾ عرفت أنفسهم أنها آيات يقيناً ، لا سيما عند إلقاء السحرة ساجدين ﴿ ظُلْماً ﴾ للآيات ، بتسميتها سحراً ﴿ وعُلُوّاً ﴾ وتكبراً عن الانقياد لموسى ﴿ فانْظُرْ ﴾ يا محمد ﴿ كيف كانَ عاقِبَةُ المُفْسِدِينَ ﴾ من إهلاكهم بالإغراق ، لغرقهم في بحر الفساد والإفساد . [وفحوى الخطاب يقول : احذروا أيها المكذبون لمحمد ﷺ الجاحدون لما جاء به من ربه ، أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأحرى ، فإن محمداً ﷺ أشرف وأعظم من موسى عليه السلام ، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى ـ ابن كثير] .

[١٥] ﴿ ولقدْ آتينا داودَ وسُليمانَ عِلْماً ﴾ بالقضاء بين الناس ، وحِكمةً باهرة ﴿ وقالاَ الحمدُ للَّهِ الذي فضَّلنا على كثيرٍ مِنْ عبادِهِ المُؤْمِنِينَ ﴾ .

[١٦] ﴿ وورِثَ سليمانُ داوودَ ﴾ في العلم والحكمة والنبوة ، أو : المُلْك ﴿ وقالَ ﴾ تحدُّثاً بنعمة الله وتنويهاً بمنَّته ﴿ يا أيُّها النَّاسُ عُلِّمنا مَنطِقَ الطَّيرِ ﴾ أي : فهم صوته ﴿ وأُوتينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، إنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ ﴾ البيِّن الظاهر .

[١٧] ﴿ وحُشِرَ لسليمانَ جُنُودُهُ ﴾ أي : جمع له عساكره ﴿ مِنَ الجِنِّ والإنسِ والطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يُحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا .

[١٨] ﴿ حتَّى إذَا أتَوْا عَلَى وادِ النَّمْلِ ، قالت نملةٌ ﴾ رأتهم متوجهين إلى واديها ﴿ يا أيُّها النملُ ادْخُلُوا مساكِنَكُمْ لا يَحْطِمنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ بمكانكم . [١٩] ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا ﴾ تعَجُّباً من حذرها واهتدائها إلى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها ، وسروراً بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة ، فيما بين أصناف المخلوقات ، التي هي أبعدها من إدراك أمثال هذه الأمور ، وابتهاجاً بما خصَّهُ الله تعالى به من إدراك همسها وفهم مرادها ﴿ وقالَ : ربِّ أوْزِعْني أن أشكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتي أنْعَمْتَ عليَّ وعلى والِدَيَّ ﴾ أي : ألْهِمْني شكرَهَا ﴿ وأنْ أعملَ صَالحاً تَرْضَاهُ وأدْخِلْني بِرَحْمَتِكَ في عبادِكَ الصَّالحينَ ﴾ [وقد روى ابن أبي حاتم عن أبي الصديق الناجي قال : خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي ، فإذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ، ولا غنى بنا عن سقياك ، وإلا تسقنا تهلكنا ، فقال سليمان : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم قاله ابن كثير] . [٢٠] ﴿ وتفقَّدَ الطَّيْرَ ، فقال مَا لِيَ لا أرى الهُدْهُدَ أمْ كانَ مِنَ الغَائبينَ ﴾ .

[٢١] ﴿ لأُعَذِّبنَّهُ عَذَاباً شديداً أوْ لأذبحنَّهُ أوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مبينٍ ﴾ بحُجَّةٍ تبيِّن عُذْرَه . قال ابن كثير : قال سفيان بن عيينة : لما أقدم الهدهد قالت له الطير : ما خلفك فقد نذر سليمان دمك ، فقال : هل استثنى ؟ قالوا : نعم ، قال ﴿ لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ﴾ قال : نجوت إذاً .

[٢٢] ﴿ فمَكَثَ غَيْرَ بَعيدٍ ﴾ فلبث غائباً مدة غير طويلة ﴿ فقالَ ﴾ الهدهدُ لسليمان ﴿ أحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ به ، وجئتُكَ مِنْ سَبَإٍ ﴾ المدينة المعروفة ـ في اليمن ـ ﴿ بِنبإٍ يقينٍ ﴾ .

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا
فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ
تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

[٢٣] ﴿ إني وجدتُ امرأةً تملكهم ﴾ تحكمهم ﴿ وأُوتيتْ من كُلِّ شيءٍ ولها عرشٌ عظيمٌ ﴾ أي : سرير تجلس عليه ، هائل مزخرف بأنواع الجواهر. [قال الحسن البصري : هي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ ، وعن قتادة : كانت من بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر رجلاً ، كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل ، وكانت بأرض يقال لها «مأرب» على ثلاثة أميال من صنعاء ـ ابن كثير].

علامة الإيتاء الجزء ٣٨ سجدة

[٢٤] ﴿ وجدتُها وقومَها يسجُدونَ للشَّمسِ من دُونِ اللَّهِ وزيَّنَ لهمُ الشيطانُ أعمالَهُمْ فصدَّهُمْ عنِ السَّبيلِ فَهُمْ لا يهتدونَ ﴾ إلى توحيد الله وعبادته ، وهو الجدير بالعبادة سبحانه دون مخلوقاته .

[٢٥] ﴿ ألاَّ يَسْجُدُوا ﴾ أي : هلاَّ يسجدون ، وقيل : لئلا يسجدوا ﴿ للَّهِ الذي يُخرِجُ الخَبْءَ في السَّمٰواتِ والأَرْضِ ﴾ أي : يُظهر ما هو مخبوء فيهما من نبات ومعادن وغيرهما ﴿ ويَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وما تُعْلِنُونَ ﴾ .

[٢٦] ﴿ اللَّهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ ربُّ العرْشِ العَظِيمِ ﴾ أي : المحيط بالشمس وسائر الكواكب وكل شيء .

[٢٧] ﴿ قالَ ﴾ سليمانُ ﴿ سننظرُ أَصَدَقْتَ أمْ كُنتَ مِنَ الكاذبينَ ﴾ والأصل في كل اتهام التحقق .

[٢٨] ﴿ اذْهبْ بكتابي هذا فَأَلْقِهْ إليهم ثُم تَولَّ عنهم فانْظُرْ ماذا يَرْجِعُونَ ﴾ .

[٢٩] ﴿ قالَتْ ﴾ لعلية القوم وأهل المشورة منهم ﴿ يا أيُّها الملأُ ، إنِّي أُلْقِيَ إليَّ كتابٌ كريمٌ ﴾ أي : حسن في مضمونه وأسلوبه .

[٣٠] ﴿ إنَّه من سُلَيْمانَ ، وإنَّهُ بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ﴾ .

[٣١] ﴿ ألاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ أي : لا تتكبروا عليَّ ، وآتوني منقادين لأمري .

[٣٢] ﴿ قالتْ يا أيُّها المَلأُ أَفْتُونِي في أَمْرِي ﴾ أشيروا عليَّ ماذا أصنع ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أمْراً حتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ لا أبتُّ أمراً إلا بمحضركم ومشورتكم ، ولا أستبدُّ بقضاء إلا باستطلاع آرائكم والرجوع إلى استشارتكم .

[٣٣] ﴿ قَالُوا نحنُ أُولُو قُوَّةٍ ﴾ في العَدَد والعُدَد ﴿ وأُولُو بأْسٍ شديدٍ ﴾ أي : أصحاب نجدة وبلاء في الحرب ﴿ والأمرُ إليكِ فانْظُري مَاذَا تأمُرِينَ ﴾ وأمر القتال أو الصلح مفوض إلى رأيك ، فانظري ما هو أبقى لشرفك وملكك .

[٣٤] ﴿ قالتْ ﴾ مشيرة إلى اختيار خطة المسالمة وإيثارها ، بالنظر لحالتها ومركزها وضعفها أمام عدوّها ﴿ إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً ﴾ أي : عنوة وقهراً ﴿ أَفْسَدُوهَا ﴾ خرَّبوها ﴿ وجَعَلُوا أعزَّةَ أهْلِهَا أذلَّةً ﴾ بالقهر والغلبة والقتل والأسر ونهب الأموال ﴿ وكذلكَ يفعلونَ ﴾ تأكيد بأن ذلك عادتهم المستمرة .

[٣٥] ﴿ وإنِّي مُرْسِلَةٌ إليهم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ ﴾ وإني سأرسل إلى سليمان وملئه رسلاً بهدية تُوجب المحبة وتشبه الانقياد ، من غير اختلال لشرفنا ، ثم أنتظر بأي أمر يرجع المرسلون منه ، حتى أعمل على حسب ذلك .

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِىَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ
بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى
عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا
مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا
نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ
أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ
﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ
﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن
سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى
ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿ فلمَّا جاءَ ﴾ المرسلون منها بالهدية إلى ﴿ سُلَيْمانَ ، قالَ أتُمِدُّونَنِ بمالٍ فما آتاني اللَّهُ ﴾ من الملك والحكمة والنبوة ﴿ خيرٌ مِمَّا آتاكُمْ ﴾ فلا أبالي بجميع ما عندكم فضلاً عن الهدية ﴿ بل أنتم بهديَّتكم تَفْرَحُونَ ﴾ أي : إذا أُهدي إليكم مثلها ، أو أهديتم مثلها ، تفرحون استكثاراً أو افتخاراً .

[٣٧] ﴿ ارْجِعْ إليهم فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها ولَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أذلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ مُهانون .

[٣٨] ﴿ قالَ ﴾ سليمانُ عليه السلام ﴿ يا أيُّها الملأُ ، أيُّكم يأْتيني بِعَرْشِها قَبْلَ أنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ .

[٣٩] ﴿ قالَ عِفريتٌ مِنَ الجِنِّ ﴾ أي : مارد من الجن ﴿ أنا آتيكَ بهِ قبْلَ أنْ تقومَ من مَقَامِكَ ﴾ [عن ابن عباس : يعني قبل أن تقوم من مجلسك ـ ابن كثير] ﴿ وإنِّي عليه لقويٌّ أمينٌ ﴾ .

[٤٠] ﴿ قالَ الذي عندهُ علمٌ منَ الكِتَابِ ﴾ [وهو من رجال سليمان المؤمنين ـ ابن كثير] ﴿ أنا آتيكَ بِهِ قبلَ أنْ يرتدَّ إليكَ طرْفُكَ ﴾ [أي : ارفع بصرك وانظر فإنه لا يكلّ بصرك إلا وهو حاضر عندك ـ ابن كثير] ﴿ فلمَّا رآهُ ﴾ سليمانُ ﴿ مُسْتقراً عندهُ قال هذا منْ فَضْلِ ربِّي لِيَبْلُوَنِي أأشكُرُ أمْ أكْفُرُ ﴾ أي : ليختبرني أأشكر بالطاعة والعمل بالشريعة ، أم أكفر بالمعصية والمخالفة ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فإنَّما يشكُرُ لِنَفْسِهِ ومَنْ كَفَرَ فإنَّ ربِّي غنيٌّ كريمٌ ﴾ فهو غني عن العباد وعبادتهم ، كريم في نفسه وإن لم يعبده أحد ، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد .

[٤١] ﴿ قالَ ﴾ سليمان ﴿ نكِّرُوا لها عَرْشَها ﴾ اجعلوه متنكراً متغيراً عن هيئته وشكله ، كما يتنكر الرجل للناس ﴿ ننظر أتهْتَدي أمْ تكُونُ مِنَ الذينَ لا يَهْتَدُونَ ﴾ لمعرفته .

[٤٢] ﴿ فلمَّا جاءَتْ قيلَ أهكَذَا عَرْشُكِ قالتْ كأنَّهُ هُوَ ﴾ وذلك من رجاحة عقلها ، حيث لم تقطع في المحتمل ، أي : فأتت بـ [كأن] الدالة على غلبة الظن ﴿ وأُوتينا العلمَ مِنْ قَبْلِهَا وكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ هذا من تمام كلام سليمان عليه السلام ، شكراً لله على فضلهم عليها ، وسبقهم إلى العلم بالله وبالإسلام .

[٤٣] ﴿ وَصَدَّهَا ﴾ وكان صدها عن الهداية ﴿ مَا كانتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إنَّها كانتْ مِنْ قومٍ كافِرِينَ ﴾ قال مجاهد : هذا من تمام قول سليمان عليه السلام .

[٤٤] ﴿ قيلَ لها ادْخلي الصَّرْحَ ﴾ أي : القصر ، أو صحن الدار ، وكان سليمان عليه السلام اتخذ قصراً بديعاً من زجاج ، فأراد أن يريها منه عظمة ملكه وسلطانه ، ومقدار ما آثره الله به ﴿ فلمَّا رأَتْهُ ﴾ أي : صحنه ﴿ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ﴾ أي : ماء عظيماً ﴿ وكَشَفَتْ ﴾ للخوض فيه ﴿ عَنْ سَاقَيْها ﴾ [قال مجاهد : فإذا هما شعراوان ، فقال : ألا شيء يذهب هذا؟ قالوا : الموسى ، قال : لا ، الموسى له أثر ، فأمر بالنورة فصنعت ـ ابن جرير] ﴿ قالَ إنَّه صَرْحٌ مُمَرَّدٌ ﴾ مُمَلَّس ﴿ مِنْ قَوارِيرَ ﴾ من الزجاج ﴿ قالتْ : ربِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ بكفرها السالف وعبادتها وقومها الشمس ﴿ وأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ للَّهِ ربِّ العَالَمِينَ ﴾ أي : متابعة له في دينه وعبادته لله وحده لا شريك له .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا
هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ
عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ
رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟
تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا
مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا
وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ
أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

[٤٥] ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله ﴾ يدعوهم إلى عبادة اللّه وحدَه ﴿ فإذا هم فريقان يختصمون ﴾ أي : فريق مؤمن وفريق كافر يختصمون خصومة لا يرجع فيها المبطل إلى الحق بعد ما تبيّن له .

[٤٦] ﴿ قال ﴾ صالحٌ لقومه ثمود ﴿ يا قوم لِمَ تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ﴾ أي : لِمَ تدعون بحضور العقوبة ولا تطلبون من الله رحمته بالإيمان ﴿ لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ﴾ .

[٤٧] ﴿ قالوا اطيَّرنا ﴾ أي : تشاءمنا ﴿ بك وبمن معك ﴾ من المؤمنين . وقد كانوا لشقائهم إذا أُصيبوا بسوء قالوا : هذا من قِبَل صالح وصحبه ﴿ قال طائركم عند الله ﴾ أي : سبيلكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله ، وهو قدره وقسمته ، إن شاء رزقكم وإنْ شاءَ حرمكم ﴿ بل أنتم قومٌ تُفتنون ﴾ أي : مفتونون بضلالكم وكفركم ، لا ترون حسناً إلا ما يوافق هواكم ، ولا شؤماً إلا ما يخالفه .

[٤٨] ﴿ وكان في المدينة تسعةُ رَهْطٍ يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون ﴾ أي : شأنهم وعادتهم الإفساد .

[٤٩] ﴿ قالوا تقاسَموا باللّه ﴾ أي : ليحلف كل واحد منكم على موافقة الآخرين ، بالله الذي هو أعظم المعبودين ﴿ لَنُبيِّتَنَّهُ ﴾ لنقتلنّه ليلاً ﴿ وأَهْلَهُ ﴾ ومن آمن معه ﴿ ثُمَّ لنقولَنَّ لِوَلِيِّه ﴾ أي : الطالب ثأره علينا ﴿ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أهْلِه ﴾ ما حضرنا مكان هلاك الأهل ، مع تفرقهم في الأماكن الكثيرة ، فضلاً عن مكانه ﴿ وإنَّا لَصادِقُونَ ﴾ ونحلف إنا لصادقون . [قال مجاهد : تقاسموا وتحالفوا على هلاكه فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين . وقال محمد بن إسحاق : قال هؤلاء التسعة بعدما عقروا الناقة : هلمُّوا فلنقتل صالحاً ، فإن كان صادقاً عجلناه قبلنا ، وإن كان كاذباً كنا قد ألحقناه بناقته . فأتَوه ليلاً ليبيِّتوه في أهله فدفعتهم الملائكة بالحجارة - ابن كثير] .

[٥٠] ﴿ ومَكَرُوا مَكْراً ﴾ بهذه الحيلة ﴿ وَمَكَرْنا مكْراً ﴾ بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ .

[٥١] ﴿ فانظرْ كيفَ كانَ عاقبةُ مكرِهِمْ أنَّا دمَّرْناهُمْ وقَوْمَهُم أجْمَعِينَ ﴾ .

[٥٢] ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ﴾ خالية ساقطة ، لم تعمر بعدهم لأنهم استؤصلوا ﴿ بما ظَلَمُوا ، إنَّ في ذلكَ لآيةً لقومٍ يَعْلَمُونَ ﴾ بأنهم ما أُخذوا إلا لظلمهم ، وإن عاقبة الظلم الدمار والبوار .

[٥٣] ﴿ وأنْجَيْنا الذينَ آمَنُوا ﴾ يعني صالحاً عليه السلام ومن معه ﴿ وكانُوا يتَّقُونَ ﴾ [فكذلك ننجيك يا محمد وأتباعك عند إحلالنا عقوبتنا بمشركي قومك من بين أظهرهم - ابن جرير] .

[٥٤] ﴿ وَلُوطاً إذ قالَ لِقَوْمِهِ أتأتُونَ الفاحِشَةَ وأنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ قبحها ومضادّتها لحكمه تعالى وحكمته .

[٥٥] ﴿ أئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ ﴾ متجاوزين النساء اللاتي هن محالّ الشهوة ﴿ بلْ أنْتُم قومٌ تَجْهَلُونَ ﴾ أي : تفعلون فعل الجاهلين سفهاً وعمى عن العاقبة .

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ
لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ
عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ
أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾
أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ
مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ
رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

[٥٦] ﴿ فما كانَ جوابَ قومِه إلاَّ أنْ قالُوا أخْرِجُوا آلَ لُوطٍ ﴾ هو ومن آمن معه ﴿ مِنْ قريتِكُمْ إنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ يتنزهون عن أفعالنا ويرونها رجساً . قالوه استهزاءً .

[٥٧] ﴿ فأنْجيناهُ وأهْلَهُ إلا امرأتَهُ قدَّرناها من الغابرينَ ﴾ الباقين في العذاب .

[٥٨] ﴿ وأمْطَرْنا عَلَيْهِم مَطَراً ﴾ هائلاً غير معهود ﴿ فساءَ مطرُ المُنْذَرينَ ﴾ الذين قامت عليهم الحجة ، ووصل إليهم الانذار ، فخالفوا الرسول وكذبوه وهمُّوا بإخراجه من بينهم .

[٥٩] ﴿ قُلِ الحمدُ للّهِ ، وسلامٌ على عبادِهِ الذينَ اصطفى ، آللّهُ خيرٌ أمَّا يُشْرِكونَ ﴾ أمرَ رسولَهُ ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته [قال عبد الرحمن بن أسلم : هم الأنبياء . وقال الثوري والسديّ : هم أصحاب محمد ﷺ رضي الله عنهم أجمعين . ولا منافاة ، فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى . وروى أبوبكر البزار رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هم أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيه ﷺ - ابن كثير] .

[٦٠] ﴿ أمَّنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ ﴾ أي : بل مَنْ خلق السموات والأرض ، وأودع فيهما من المنافع ما لا يحصى ﴿ وأنزلَ لكُمْ منَ السماءِ ماءً فأنْبَتْنا بِهِ حدائقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ﴾ أي : بساتين ذات حسن ورونق يبهج النظار ﴿ مَا كانَ لكُمْ أنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أإلهٌ مَعَ اللّهِ ﴾ أي : أإلهٌ آخر كائن مع الله ، الذي هذه بعض أفعاله ، التي لا يكاد يقدر عليها غيره ، حتى يتوهم جعل شريك له تعالى في العبادة ﴿ بل هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ عن طريق الحق ، أو ينحرفون عن عبادته إلى ما سواه .

[٦١] ﴿ أمَّن جَعَلَ الأرضَ قراراً ﴾ أي : قارّة لا تنكفىء بمن عليها ، أو مستقراً لمن عليها ، يتمتعون بمنافعها ﴿ وجعلَ خِلالَها أنْهاراً ، وجعلَ لَها رواسِيَ ﴾ وهي الجبال ﴿ وجعلَ بينَ البَحْرَيْنِ حاجزاً ﴾ برزخاً مانعاً من الممازجة ﴿ أإلهٌ مع اللّه ﴾ أي : في الوجود ، أو في إبداع هذه البدائع ﴿ بلْ أكثرُهُمْ لا يعلمونَ ﴾ شيئاً من الأشياء ، ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك ، مع كمال ظهوره .

[٦٢] ﴿ أمَّن يجيبُ المضطرَّ إذا دَعاهُ ﴾ وهو الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر ، إلى اللجوء والتضرع إلى الله تعالى ﴿ ويكشِفُ السُّوءَ ﴾ أي : كل ما يسوءه مما يضطر فيه وغيره ﴿ ويَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الأرضِ ﴾ أي : خلفاء فيها ، وذلك توارثهم سكناهم ، والتصرف فيها قرناً بعد قرن ، أو أراد بالخلافة الملك والتسلط ﴿ أإلهٌ معَ اللّهِ قليلاً ما تذكَّرونَ ﴾ .

[٦٣] ﴿ أمَّن يَهْدِيكم في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ ﴾ بالنجوم في السماء ، والعلامات في الأرض ، إذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر ﴿ وَمَن يُرْسِلُ الرياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ وهي المطر ﴿ أإلهٌ مَعَ اللّهِ تَعالى اللّهُ عما يُشْرِكُونَ ﴾ .

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾
قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ
فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا
هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ
فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

[٦٤] ﴿ أمَّن يَبْدَأُ الخلقَ ثُمَّ يعيدُه ﴾ بعد الموت بالبعث ﴿ وَمَنْ يَرْزُقُكُم منَ السَّماءِ والأرضِ ﴾ مما ينزله من مائها وما يخرجه من نباتها ﴿ أإلهٌ معَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهَانَكُمْ إن كُنْتُم صَادِقِينَ ﴾ أمرٌ له عليه الصلاة والسلام بتبكيتهم إثر تبكيت . أي : هاتوا برهاناً عقلياً أو نقلياً ، يدل على أن معه تعالى إلهاً .

[٦٥] ﴿ قُلْ لا يَعْلَمُ من في السَّمٰواتِ والأرضِ الغيبَ إلاَّ اللَّهُ ﴾ فإنه المتفرد بذلك وحده ﴿ وما يَشْعُرُونَ أيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ أي : متى يُنشرون بالبعث أحياءً للحساب .

[٦٦] ﴿ بلِ ادَّارك عِلْمُهُمْ في الآخِرَةِ ﴾ ادَّارك : بلغ وانتهى . والاستفهام على وجه الإنكار لإدراك علمهم بها ، وأنهم لم يبرحوا في حضيض الجهالة بحقيتها ، مع ما يتلى عليهم من أدلة ثبوتها ﴿ بل هُمْ في شَكٍّ مِنْهَا ، بلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ في عماية وجهل كبير .

[٦٧] ﴿ وقالَ الذينَ كفروا ﴾ بوعد الله وآياته وعلمه وقدرته وحكمته ﴿ أإذا كُنَّا تُراباً وآباؤُنا أإنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ من القبور .

[٦٨] ﴿ لقدْ وُعِدْنا هذا نحنُ وآباؤُنا من قَبْلُ ، إنْ هذا إلاَّ أساطيرُ الأوَّلينَ ﴾ أي : أحاديثهم وأكاذيبهم التي سطرها الأولون بعبارة مموّهة .

[٦٩] ﴿ قُلْ : سِيرُوا في الأَرْضِ ﴾ لتبصروا آثار القائلين هذا القول قبلكم ﴿ فانظُرُوا كيفَ كانَ عاقبةُ المُجْرِمِينَ ﴾ وهي دمارهم وهلاكهم بالاستئصال .

[٧٠] ﴿ ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي : على قولهم وتكذيبهم ، فإنه سيكون لك من المصدقين من لا يبالي معهم بهؤلاء ﴿ ولا تكُنْ في ضيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ أي : في حرج صدرٍ من مكرهم وكيدهم لك ، ولا تبال بذلك ، فإن الله يعصمك من الناس .

[٧١] ﴿ ويقولونَ متى هذا الوَعْدُ ﴾ بالعذاب ﴿ إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ ﴾ .

[٧٢] ﴿ قُلْ عسَى أن يكونَ رَدِفَ لكُم ﴾ أي : لَحِقَكُم أو دَنَا لكم ﴿ بعضُ الذي تستعجلونَ ﴾ من العذاب . فحصل لهم القتل ببدر ، ولعذاب الآخرة أمرٌ . ولعلَّ ، وعسى ، وسوف ، في وعد الملوك ووعيدهم ، يدل على صدق الأمر وجدّه ، وما لا مجال للشك بعده .

[٧٣] ﴿ وإنّ ربَّكَ لذو فَضْلٍ على النَّاسِ ولكنَّ أكثَرَهُمْ لاَ يشكُرُونَ ﴾ أي : لذو إفضال وإنعام عليهم ، بتأخير العقوبة وعدم معاجلتهم بها ، ولكن أكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه ، بل بجهلهم يستعجلونها .

[٧٤] ﴿ وإنَّ ربَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ ما تُخفي ﴿ ومَا يُعْلِنُونَ ﴾ من عداوة رسوله ونصب المكايد له ، وهو معاقبهم على ذلك .

[٧٥] ﴿ وما منْ غائِبَةٍ في السَّماءِ والأرضِ إلاَّ في كتابٍ مبينٍ ﴾ أي : وما من خافية فيهما ، إلا وقد علمها الله وأحاط بها وأثبتها في اللوح البيّن . أو المراد بالكتاب القضاء العدل ، على طريق الاستعارة ، بتشبيهه بالكتاب الجامع للوقائع ، كالسجل .

[٧٦] ﴿ إنَّ هذَا القرآنَ يقُصُّ على بني إسرائيل أكثَرَ الذي هُمْ فيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ فهو مصدق لما بين يديه ، ومهيمن عليه ، يقص القصص الحق ، ويفصل بين ما اختلفوا فيه بالصدق .

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى
ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن
تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا
وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو
قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ
صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

[٧٧] ﴿ وإنَّهُ لَهُدىً ورَحْمَةٌ لِلمُؤْمِنِينَ ﴾ بما فيه من إقامة الدلائل ورفع الشبه التي يعقلها المؤمنون المنصفون المصدقون بالحق ، المذعنون له .

[٧٨] ﴿ إنّ ربَّكَ يَقْضي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ﴾ يقضي بين مَنْ آمن بالقرآن ومن كفر به ، بعدله وحكمته ﴿ وهُوَ العزيزُ ﴾ فلا يردّ قضاؤه الغالب في انتقامه من المبطلين ﴿ العليمُ ﴾ بالفصل بينهم وبين المحقّين .

ربع الحزب ٣٩

[٧٩] ﴿ فتوكَّلْ على اللَّهِ إنَّكَ عَلَى الحقِّ المُبِينِ ﴾ الأبلج الذي لا ريب فيه .

[٨٠] ﴿ إنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى ﴾ شُبِّهوا بالموتى لانتفاء جدوى السماع ، كحال الموتى ﴿ ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون .

[٨١] ﴿ ومَا أنتَ بهادي العُمْيِ عنْ ضَلاَلَتِهِمْ ﴾ وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحدٌ أن ينزع ذلك عنهم ، وأن يجعلهم هداة بصراء ، إلا الله عز وجل ﴿ إنْ تُسْمِعُ إلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بآياتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ فإنهم منقادون للحق . وقيل : معناه : مخلصون .

[٨٢] ﴿ وإذَا وقعَ القَوْلُ عليهمْ أخْرَجْنا لَهُمْ دابَّةً منَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أنَّ النَّاسَ كانوا بآياتِنا لا يُوقِنُونَ ﴾ والمعنى إذا قامت القيامة بعث الله نوعاً مخصوصاً من دواب هذه الأرض ، كما يبعث غيره من أنواع الدواب الأخرى ، وينطقه فيوبخ الإنسان على كفره ، كما ينطق أعضاءه في ذلك اليوم أيضاً . قال : فليس المراد من قوله ﴿ دابَّةً ﴾ الفرد ، بل النوع .

[٨٣] ﴿ ويَوْمَ نَحْشُرُ من كُلِّ أُمَّةٍ فوْجاً ممَّن يُكَذِّبُ بآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي : يُحبس أولهم على آخرهم ، حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار . وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه . والفوج : الجماعة الكثيرة .

[٨٤] ﴿ حتَّى إذَا جاؤوا ﴾ إلى المحشر ﴿ قَالَ ﴾ سبحانه ليفضحهم في هذا اليوم المشهود ﴿ أكذَّبتُم بآياتي ﴾ الناطقة بلقاء يومكم هذا ﴿ ولَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً ﴾ غير ناظرين فيها نظراً يؤدي إلى العلم بكنهها ، وأنها حقيقة بالتصديق حتماً ؟ ﴿ أمَّاذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بها . أو ماذا كان عملكم ؟ هل هو إلا الفساد والإفساد ؟ وصد السبيل عن العباد ؟ ولذا حقت كلمة العذاب عليهم .

[٨٥] ﴿ ووَقَعَ القَوْلُ ﴾ أي : مدلوله وهو العقاب الموعودون به ﴿ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ بسبب ظلمهم ﴿ فَهُمْ لاَ يَنْطِقُونَ ﴾ .

[٨٦] ﴿ ألَمْ يَرَوْا أنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكنوا فيهِ والنَّهارَ مُبْصِراً ﴾ ليبصروا ، بما فيه من الإضاءة ، طرق التقلب في أمور المعاش ﴿ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[٨٧] ﴿ ويَوْمَ يُنْفَخُ في الصُّورِ فَفَزِعَ مَن في السَّمٰواتِ ومَنْ في الأرضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ وكُلٌّ أَتَوْهُ ﴾ أي : حضروا الموقف بين يديه ﴿ داخرينَ ﴾ صاغرين . [٨٨] ﴿ وتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ ثابتة في أماكنها ﴿ وهي تمرُّ مرَّ السَّحَابِ ﴾ في تخلل أجزائها وانتفاشها ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ، إنَّهُ خَبيرٌ بِما تَفْعَلُونَ ﴾ فيجازيكم عليه .

[٨٩] ﴿ مَنْ جاءَ بالحسنةِ فلهُ خيرٌ منها وهمْ من فَزَعٍ يومئذٍ آمنون ﴾ لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل .

[٩٠] ﴿ ومَنْ جاءَ بالسيِّئةِ فكُبَّتْ وجوهُهُم في النّارِ ، هل تُجْزَوْنَ إلا ما كُنتُم تَعْمَلُونَ ﴾ من الشرك والمعاصي .

[٩١] ﴿ إنَّما أُمِرْتُ أنْ أعْبُدَ ربَّ هذهِ البَلْدَةِ ﴾ أي : مكة ﴿ الذي حرَّمَها ﴾ جعلها حرماً آمناً لا يُسفك فيها دم ، ولا يُظلم فيها أحد ولا يُصادُ صيدُها ولا يُختلى خلاها . وفيه تعريض بجحدهم نعمته تعالى في ذلك ، حيث آمنهم من خوف ، وأجلَّهم في أعين القبائل ، ووقاهم من الفتن المنتشرة عند غيرهم ، إجلالاً لهذا البيت . وهم لم يراعوا هذه النعمة بالقيام بواجب شكرها ، من عبادته تعالى وحده ، وسعيهم بالاصلاح ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ فهو خالق كل شيء ومليكه ﴿ وأُمِرْتُ أن أكونَ منَ المُسْلِمِينَ ﴾ أي : ممن أسلم وجهه لله ، لا لغيره .

[٩٢] ﴿ وأنْ أتلُوَ القرآنَ ﴾ عليكم ، تلاوة الدعوة إلى الإيمان به ، لما اشتمل عليه من سعادة الدارين ﴿ فَمنِ اهْتَدَى فإنّما يَهْتَدِي لنفسِهِ ، ومَنْ ضلَّ فَقُلْ : إنَّما أنَا مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ ﴾ وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

[٩٣] ﴿ وقُلِ الحمدُ للَّهِ ﴾ على ما هدانا لهذا الدين ، ومنَّ علينا بصراطه المستقيم ﴿ سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها ، وَمَا رَبُّكَ بغافِلٍ عمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من الشرك والتكذيب ونصب المكايد ، بل هو شهيد رقيب .

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ
ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى
لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَصِ

مكيها ٨٨ — آياتها ٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ
طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

[سورة القصص]

سميت بالقصص لاشتمالها على قوله تعالى ﴿ فلمّا جاءَهُ وقصَّ عليهِ القَصَصَ ﴾ وهي مكيّة . وقيل إلا الآيات ٥٢ ـ ٥٥ ، و٨٥ فمدنية . وآياتها ثمان وثمانون .

[١] ﴿ طسٓمٓ ﴾ تُقرأ : طا . سين . ميم . تقدم الكلام على هذه الحروف في أول سورة البقرة .

[٢] ﴿ تلكَ ﴾ الآيات ﴿ آياتُ الكتابِ المُبِينِ ﴾ المظهر للحق .

[٣] ﴿ نَتْلُوا عليكَ مِنْ نبأ موسى وفرعونَ بالحقِّ لقومٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي : نقرأ عليك ، بواسطة الروح الأمين ـ جبريل ـ تلاوة ملتبسة بالحق .

[٤] ﴿ إنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ في الأرْضِ ﴾ تكبَّر وتجاوز الحد في الطغيان ، في أرض مصر ﴿ وجعلَ أهْلَهَا شِيَعاً ﴾ فرقاً وأصنافاً في استخدامه وطاعته ﴿ يَسْتَضْعِفُ طائفةً مِنْهُمْ ﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿ يُذبِّحُ أبْنَاءَهُمْ ويستحيي نساءَهم ﴾ وذلك إماتة لرجالهم ، وتقليلاً لعددهم ، كيلا يكثروا فينازعوه الملك ﴿ إنّهُ كانَ منَ المُفْسدينَ ﴾ المتمكنين في الإفساد وقهر العباد .

[٥] ﴿ ونريدُ أن نَمُنَّ ﴾ أي : نتفضَّل ﴿ على الذينَ استُضْعِفُوا في الأرْضِ ونجعَلَهُمْ أئمّةً ﴾ يُقتدى بهم في الدين بعد أن كانوا أتباعاً مُسخّرين ﴿ ونجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ ﴾ لمُلْكِ عدوِّهم .

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى
وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن
رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

[٦] ﴿ ونمكِّنَ لَهُمْ في الأرْضِ ﴾ بالتصرف فيها تصرف الملوك ﴿ ونُرِيَ فِرْعَوْنَ وهامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ ﴾ أي : من أولئك المستضعفين ﴿ مَا كانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ من هلاكهم وذهاب ملكهم ، جزاء إفسادهم وعدم إصلاحهم وطغيانهم .

[٧] ﴿ وأوْحَيْنَا إلى أمِّ مُوسىٰ ﴾ إثر ولادته في تلك الشدّة [قال قتادة : قذفنا في قلبها وليس بوحي نبوة ـ ابن جرير] ﴿ أنْ أرْضِعِيهِ ، فإذا خِفْتِ عليه ﴾ من جنود فرعون الذين يقتلون أولاد بني إسرائيل ﴿ فألْقِيهِ في اليمِّ ﴾ أي : في البحر ، وهو النيل ﴿ ولا تخافي ولا تحزني إنَّا رادُّوه إليكِ وَجَاعِلُوهُ منَ المُرْسَلِينَ ﴾ . [قال ابن جرير: يقول: إنا رادوا ولدك إليك للرضاع لتكوني أنت ترضعيه، وباعثوه رسولاً إلى من تخافينه على أن يقتله، وفعل الله ذلك بها وبه] .

[٨] ﴿ فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ليكونَ لَهُمْ عَدُوّاً وحَزَناً ﴾ في هلاكهم على يديه [قال ابن اسحق: فالتقطه آل فرعون ظناً منهم أنهم محسنون الى أنفسهم ليكون قرة عين لهم، فكانت عاقبة التقاطهم إياه منه هلاكهم على يديه ـ ابن جرير] ﴿ إنَّ فرعَوْنَ وهَامانَ وجنودَهُمَا كانوا خَاطِئينَ ﴾ أي : مجرمين فعاقبهم الله بأن رُبِّيَ عدوّهم ، ومن هو سبب هلاكهم ، على أيديهم .

نصف الحزب ٣٩

[٩] ﴿ وقالتِ امرأةُ فِرْعَوْنَ ﴾ لفرعون ، حين أخرجته من التابوت ﴿ قُرَّةُ عينٍ لي ولكَ ، لا تَقْتُلُوهُ عسى أنْ ينفعَنَا أوْ نَتَّخِذَهُ ولداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ بما سيكون .

[١٠] ﴿ وأصبحَ فؤادُ أمِّ مُوسَى فَارِغاً ﴾ لما دهمها من فرط الجزع ، وأطار عقلها من الدهش ، لما بلغها وقوعه في يد فرعون ﴿ إن كادت لَتُبْدي بِهِ ﴾ أي : بأمره وقصته ، وأنه ولدها ﴿ لوْلا أنْ رَبَطْنا على قلبها لِتكُونَ منَ المُؤْمِنينَ ﴾ أي : لولا أن ألهمناها الصبر . ومعنى ﴿ من المؤمنين ﴾ أي المصدّقين بوعد الله ، وهو قوله : ﴿ إنا رآدّوهُ إليكِ ﴾ .

[١١] ﴿ وقالتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ اتّبعي أثره لتنالي خبره ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عن جُنُبٍ ﴾ عن بُعد ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ أنها تتعرف حاله .

[١٢] ﴿ وحرَّمْنَا عليهِ المراضِعَ ﴾ جمع مُرْضِع : وهي المرأة التي تُرضع ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ من قبل قصِّها أثره ﴿ فقالتْ : هلْ أدُلُّكُم على أهْلِ بيْتٍ يَكْفُلُونَه لكم ، وهُمْ لهُ ناصحون ﴾ في رضاعه وتربيته . [قال ابن عباس رضي الله عنهما : فلما قالت ذلك أخذوها وشكوا في أمرها ، وقالوا لها : وما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه ؟ فقالت لهم : نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في سرور الملك ورجاء منفعته . فأرسلوها ، فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم ذهبوا معها إلى منزلهم ، فدخلوا به على أمه ، فأعطته ثديها فالتقمه ، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وذهب البشير إلى امرأة الملك ، فاستدعت أم موسى وأحسنت إليها وأعطتها عطاءً جزيلاً وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة ـ ابن كثير] .

[١٣] ﴿ فرددناه إلى أُمِّه كيْ تقرَّ عَيْنُهَا ﴾ برؤيته ﴿ ولا تَحْزَنَ ﴾ بفراقه ﴿ وَلِتَعْلَمَ أنّ وَعْدَ اللَّهِ حقٌّ ولكنَّ أكثَرَهُمْ لا يعلمونَ ﴾ .

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ
فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ
فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ
﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ
يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ
أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ
يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

[١٤] ﴿ ولمَّا بلغَ أشُدَّهُ ﴾ أي : كمال قوته ﴿ واستوى ﴾ واعتدل مزاجه ﴿ آتيناهُ حُكْماً وعِلْماً وكذلِكَ نجزي المُحْسِنِينَ ﴾ في أعمالهم .

[١٥] ﴿ ودخلَ المدينةَ ﴾ أي : مصر ، آتياً من قصر فرعون ﴿ على حينِ غَفْلَةٍ مِنْ أهْلِها ﴾ قيل وقت القيلولة ، وقيل بين العشاءين ﴿ فوجدَ فيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ ﴾ أي : يتنازعان ﴿ هذا ﴾ أحدهما ﴿ مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ ممن يشايعه على دينه ، وهم بنو إسرائيل ﴿ وهذا ﴾ والآخر ﴿ منْ عَدُوِّهِ ﴾ ممن يخالفه في دينه ، وهم القبط ﴿ فاستغاثه ﴾ فسأله العون ﴿ الذي من شِيعَتِهِ ﴾ لكونه مظلوماً ﴿ على الذي منْ عَدُوِّهِ ﴾ لكونه ظالماً ، وإغاثة المظلوم واجبة ﴿ فَوَكَزَهُ موسىٰ ﴾ ضربه بجُمع كفّه ﴿ فقضى عليهِ ﴾ فقتله ﴿ قالَ هذا منْ عَمَلِ الشيطانِ إنّه عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ يشير إلى تأسفه على ما أفضى وَكْزُه ، من قتله ، وسمّاه ظُلماً واستغفر منه بالنسبة إلى مقامه .

[١٦] ﴿ قالَ ربِّ إنّي ظَلَمْتُ نَفْسي ﴾ بقتله ﴿ فاغْفِرْ لي فَغَفَرَ لَهُ إنَّهُ هو الغَفُورُ الرَّحيمُ ﴾ .

[١٧] ﴿ قالَ ربِّ بما أنْعَمْتَ عليَّ فلنْ أكُونَ ظهيراً للمجرمين ﴾ يجوز أن يكون قسماً جوابُه محذوف . أي : أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة ، لأتوبنّ ولا أظاهر المجرمين . وأن يكون استعطافاً كأنه قال : رب ! اعصمني بحق ما أنعمت عليّ من المغفرة ، فلن أكون ، إن عصمتني ، ظهيراً ـ مصاحباً ومولياً ـ للمجرمين ـ وهم فرعون وملته أو من تؤدي مظاهرته إلى الإثم كالإسرائيلي الذي نصره ـ لأن ظهير المجرمين شريكهم فيما هم بصدده . ويُروى أنه يُقال يوم القيامة : أين الظلمة وأعوان الظلمة ؟ فيؤتى بهم حتى بمن لاق لهم ليقة ، أو برى لهم قلماً ، فيجعلون في تابوت من حديد ويلقى بهم في النار .

[١٨] ﴿ فأصبحَ في المدينةِ خائفاً يترقَّبُ ﴾ انتقام أهل القتيل المصري ، أو مطاردة الشرطة له ﴿ فإذا الذي اسْتَنْصَرَهُ بالأمْسِ ﴾ أي : استعانه فقتل القبطيَّ من أجله ﴿ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ يستغيثه من قبطيّ آخر ﴿ قالَ له مُوسَى : إنَّكَ لَغَوِيٌّ مبينٌ ﴾ أي : بمخاصمتك الناس مع عجزك ، وجرِّك إليهم ما لا تُحمد عقباه .

[١٩] ﴿ فلمَّا أنْ أرادَ أنْ يَبْطِشَ بالَّذي هُوَ عدوٌّ لَهُما ﴾ أي : لموسى وللإسرائيلي ﴿ قالَ ﴾ ذلك العدوّ وهو القبطيّ ، لا الإسرائيلي كما وُهِم ﴿ يا موسى أتريدُ أنْ تَقْتُلَني كما قتلْتَ نفساً بالأمْسِ ، إنْ تُريدُ إلاّ أنْ تَكُونَ جبّاراً في الأرْضِ ﴾ وهو الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم ، لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن ﴿ وما تُريدُ أنْ تكونَ منَ المُصْلِحِينَ ﴾ بين النّاس بالقول والفعل .

[٢٠] ﴿ وجاءَ رَجُلٌ مِنْ أقْصَى المدينةِ يَسْعىٰ ﴾ يسرع لفرط حبه لموسى ﴿ قالَ يا مُوسى إنَّ المَلأَ يأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ أي : يتشاورون بسببك ﴿ لِيَقْتُلُوكَ ، فاخْرُجْ ﴾ من حدِّ مملكتهم ﴿ إنّي لكَ منَ النّاصِحِينَ ﴾ .

[٢١] ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خائفاً يترقَّبُ ﴾ لحوق الطالبين ﴿ قالَ ربِّ نجِّني منَ القَوْمِ الظَّالمينَ ﴾ .

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا
تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ
وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

[٢٢] ﴿ ولمَّا توجَّهَ ﴾ أي : جعل وجهه ﴿ تلقاءَ مَدْينَ ، قالَ عسى ربي أنْ يَهْدِيَني سواءَ السَّبيلِ ﴾ فلا يلحقني فيه الطَّالبون .

[٢٣] ﴿ ولمَّا وردَ ماءَ مَدْينَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً ﴾ أي : جماعة ﴿ منَ النّاسِ يَسْقُونَ ﴾ مواشيهم ﴿ ووَجَدَ منْ دُونِهِمُ امْرأتَيْنِ تَذُودانِ ﴾ تمنعان مواشيهما عن الماء ، لوجود من هو أقوى منهما عنده ، فلا تتمكنان من السقي ﴿ قالَ مَا خَطْبُكُما ﴾ ما شأنكما في الذود ﴿ قالتا لا نسقي حتَّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ ﴾ أي : عادتنا أن لا نسقي حتى يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء ، عجزاً عن مساجلتهم ، وحذراً من مخالطة الرجال ﴿ وأبُونا شيخٌ كبيرٌ ﴾ فيعجز عن الخروج والسقي .

[٢٤] ﴿ فسقى لَهُما ﴾ غنمهما ، لأجلهما من غير أجر ﴿ ثمَّ تَوَلَّى إلى الظِّلِّ ﴾ الذي كان هناك ، من شدَّة الحرّ ﴿ فقالَ : ربِّ إنّي لِما أنْزَلْتَ إليَّ منْ خَيْرٍ فقيرٌ ﴾ أي : محتاج ، والخير أعم من المال أو القوة أو الطعام . [روى عمر بن ميمون الأودي رحمه الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، قال : فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال ، فإذا هو بامرأتين تذودان قال : ما خطبكما ؟ فحدثتاه فأتى الحجر فرفعه ثم لم يستق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم ـ ابن كثير] .

[٢٥] ﴿ فجاءَتْهُ إحداهُما تَمْشي على اسْتِحْياءٍ ﴾ ، [قال ابن اسحق : رجعتا إلى أبيهما في ساعة لا ترجعان فيها ، فأنكر شأنهما ، فسألهما فأخبرتاه الخبر ، فقال لإحداهما : عجلي عليّ به ، فأتته على استحياء ـ ابن جرير] ﴿ قالتْ : إنَّ أبي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أجْرَ ما سَقَيْتَ لنا ﴾ [فقام معها ، فقال لها : أمشي أمامك فإنّا لا ننظر إلى أدبار النساء] ﴿ فَلَمَّا جاءَهُ وقَصَّ عليهِ القَصَصَ ﴾ أي : أخبره بجميع ما جرى عليه إلى خروجه لمَّا تآمروا بقتله ﴿ قالَ : لا تخفْ ، نَجَوْتَ منَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ بالخروج من بلادهم ، إذ لا سلطان لهم بأرضنا .

[٢٦] ﴿ قالتْ إحداهُما : يا أبَتِ استأجِرْه ﴾ اجعله أجيرك ليرعى غنمك ﴿ إنَّ خَيْرَ منِ اسْتَأْجَرْتَ القويُّ الأمينُ ﴾ القويّ على العمل المؤتمن فيه [وذلك : لما رأت من قوته وقوله لها ما قال : أن امشي خلفي لئلا يرى منها شيئاً مما يكره ، فزاده ذلك رغبة فيه ـ ابن جرير عن ابن إسحق] .

[٢٧] ﴿ قالَ : إنّي أريدُ ﴾ لقوتك وأمانتك ﴿ أنْ أُنْكِحَكَ ﴾ أزوّجك ﴿ إحدى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ على أنْ تَأْجُرَني ثَماني حِجَجٍ ﴾ على أن يكون مهرها رعاية مواشيَّ ثمانيَ سنين ﴿ فإنْ أتْمَمْتَ عَشْراً فمنْ عِندِكَ ﴾ فهو إليك بطريق التفضيل ﴿ وما أريدُ أنْ أشُقَّ عليكَ ﴾ بإلزام أتم الأجلين وإيجابه ﴿ ستجدُني إنْ شاءَ اللَّهُ من الصَّالحينَ ﴾ في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد .

[٢٨] ﴿ قالَ ﴾ أي موسى ﴿ ذلِكَ بيني وبَيْنَكَ ﴾ ذاك الذي عاهدتني عليه ، لا نخرج عنه جميعاً ﴿ أيَّما الأجَلَيْنِ قضيتُ ﴾ أي : أتممت ﴿ فلا عُدْوانَ عليَّ ﴾ بطلب الزيادة على ثمان ، أو الخروج بالأهل قبل إتمام عشر سنين ﴿ واللَّهُ على ما نقولُ وكيلٌ ﴾ أي : شاهد وحفيظ .

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

[٢٩] ﴿ فلمَّا قضى ﴾ فلما أتم ﴿ مُوسَى الأجلَ ﴾ وهو الوقت المحدد بينهما [عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال (سألت جبرائيل : أي الأجلين قضى موسى؟ قال : أتمهما وأكملهما) ـ ابن جرير] ﴿ وسارَ بأهْلِهِ آنَسَ ﴾ أبصر من بعيد ﴿ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ﴾ الجبل ﴿ ناراً ، قالَ لأهلِهِ امْكُثُوا إنّي آنَسْتُ ناراً لعلِّي آتيكُم منْهَا بخبرٍ ﴾ من الطريق ﴿ أوْ جَذْوَةٍ ﴾ عود فيه شيء ﴿ من النّارِ لعلَّكم تَصْطَلُونَ ﴾ أي : تستدفئون .

[٣٠] ﴿ فَلَمَّا أتاها ﴾ فلما قرب منها ﴿ نوديَ من شاطىء ﴾ من جانب ﴿ الوادِ الأيمَنِ ﴾ [عن مجاهد قال : من شق الوادي عن يمين موسى ـ ابن جرير] ﴿ في البقعة المباركة ﴾ التي بورك مكانها بالتجلي الإلهي ﴿ منَ الشَّجرةِ ﴾ [قال قتادة : نودي من عند الشجرة] ﴿ أنْ يا مُوسَىٰ إنّي أنا اللَّهُ ربُّ العالمينَ ﴾ .

[٣١] ﴿ وأنْ ألْقِ عصاكَ فلمَّا رآها تهتَزُّ ﴾ تتحرك ﴿ كأنَّها جَآنٌّ ﴾ حية صغيرة ، في سرعة الحركة ﴿ ولَّى مُدْبراً ﴾ أعرض بوجهه عنها ، جاعلاً ظهره إليها ﴿ ولم يُعَقِّبْ ﴾ ولم يرجع ﴿ يا مُوسَى ، أقْبِلْ ولا تخفْ إنَّكَ منَ الآمنين ﴾ من المخاوف .

[٣٢] ﴿ اسْلُكْ يدَكَ في جيبكَ ﴾ أي : أدخلها فيه ﴿ تخرُجْ بيضاءَ من غير سُوءٍ ﴾ من غير عيب كالمرض ﴿ واضْمُمْ إليكَ جناحَكَ ﴾ أي يدك ﴿ منَ الرَّهْبِ ﴾ من الخوف . والظاهر أنه أُمر عليه السلام ، إذا خاف من شيء ، أن يضم إليه يده ، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف ، وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يده على فؤاده فإنه يزول عنه ما يجده ﴿ فَذانِكَ ﴾ إشارة إلى العصا واليد ﴿ بُرْهَانَانِ من رَبِّكَ إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، إنَّهُمْ كانُوا قوْماً فاسقينَ ﴾ [عن مجاهد رحمه الله قال : كان موسى عليه السلام قد ملىء قلبه رعباً من فرعون ، فكان إذا رآه قال : إني أدرأ بك في نحره ، وأعوذ بك من شره . فنزع الله ما كان في قلب موسى عليه السلام وجعله في قلب فرعون ـ ابن كثير] .

[٣٣] ﴿ قالَ ﴾ موسى ﴿ ربِّ إنِّي قتلتُ منهُمْ نَفْساً فأخَافُ أنْ يَقْتُلُونِ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وأخي هارُونُ هُوَ أفْصَحُ منِّي لساناً ﴾ فيكون أحسنَ بياناً ﴿ فأرْسِلْهُ معيَ رِدْءاً ﴾ أي : معيناً ﴿ يُصَدِّقُني ﴾ لنشاط قلبي ﴿ إنِّي أخافُ أن يكذِّبونِ ﴾ أن يتفقوا على تكذيبي المؤدي إلى أنواع الأذيات .

[٣٥] ﴿ قالَ : سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأخِيكَ ﴾ أي : سنقويك به . والشَّدُّ : التقوية . والعَضُدُ من اليد معروف . شبّه حال موسى في تقويته بأخيه عليهما السلام ، بحال اليد في تقويتها بيد شديدة ﴿ ونَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً ﴾ أي : غلبة ومهابة في قلوبهم أو حجة ﴿ فلا يَصِلُونَ إلَيْكُمَا ﴾ بإيذاء ﴿ بآياتِنَا ﴾ أي : اذهبا بآياتنا . أو هي متعلق بـ ﴿ نجعل ﴾ أي : نسلطكما بها أو بمعنى لا يَصِلُون : أي : تمتنعون منهم بها ﴿ أنتُمَا ومَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ ﴾ أي : الغالبون عليهم ، وإن غلبوكم وغلبوا العالمين قبلكم .

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٦] ﴿ فلمَّا جاءَهم مُوسَى بآياتِنَا بيِّناتٍ قالوا ما هذا إلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرىً ﴾ أي : مبتدَعٌ لم يسبق له نظير ، أو تفتريه على الله بنسبته له ، وأنت تعلمته من غيرك . فالافتراء بمعنى الاختلاق أو الكذب ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بهذَا ﴾ السحر ، أو ادعاء النبوّة ، أو بأن للعالم إلهاً يرسل الرسل بالآيات ﴿ في آبائِنَا الأوَّلِينَ ﴾ أي : كائناً في أيامهم .

[٣٧] ﴿ وقالَ مُوسَى ربِّي أعْلمُ بمن جاءَ بالهُدى منْ عندِه ومَنْ تكُونُ لهُ عاقبةُ الدَّارِ ﴾ معناه : كفى دليلاً على كونها آيات ، أنها خوارق لم يسبق لها نظير . . والمراد بـ [الدار : الدنيا . وعاقبتُها وعقباها : أن يُختم للعبدِ بالرحمة والرضوان] ﴿ إنَّهُ لا يُفلحُ الظَّالمونَ ﴾ بالدنيا وإن وجدوا بعض مقاصدهم ، فلا يفوزون بالعقبى الحميدة ، وإنما غاية أمرهم انقطاع أثرهم وسوء ذكرهم .

[٣٨] ﴿ وقالَ فرعونُ : يا أيُّها الملأُ ما علمتُ لكُمْ منْ إلهٍ غيري ﴾ يعني أنه جمع قومه ونادى فيهم معلناً بذلك ، فانْتِقَمَ منه بما جعله عبرةً لمن اعتبر ﴿ فأوْقِدْ لي يا هامانُ على الطِّينِ ﴾ أي : ناراً فأتخذُ منه آجرّاً ، وهامان : وزيره ومدبّر رعيته ﴿ فاجْعَلْ لي ﴾ من الآجرّ ﴿ صَرْحاً ﴾ أي : قصراً رفيعاً إلى السماء ﴿ لعلّي أطَّلِعُ إلى إلهِ مُوسَى ﴾ يعني العليَّ الأعلى تبارك وتعالى ﴿ وإنّي لأظُنُّهُ ﴾ أي موسى ﴿ منَ الكاذِبينَ ﴾ في دعواه الألوهية والعلوّ لبارىء الأرض والسموات .

[٣٩] ﴿ واستكبرَ هوَ ﴾ بدعوى الألوهية لنفسه ، ونفيها عن الله تعالى ، وقصد الاطلاع إلى الله سبحانه ، وادعاء العلم الكليّ لنفسه مع جهله بربه ﴿ وجنودُه في الأرْضِ بغيرِ الحقِّ ﴾ بل بالفساد وردّ الحق ، والصدّ عن سبيل الله ﴿ وظنُّوا أنَّهُمْ إلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ ﴾ .

[٤٠] ﴿ فأخَذْنَاهُ وَجُنُودَه فَنَبَذْنَاهُم في اليَمِّ ﴾ أغرقناهم في البحر ، بحسب ما هو مشهور في قصة إنقاذ موسى وإغراق فرعون وجنوده ﴿ فَانْظُر كَيْفَ كَانَ عَاقِبةُ الظَّالِمِينَ ﴾ . [قال ابن جرير: فإنا كذلك بك وبمن آمن معك وصدقك فاعلون. مخوِّلوك وإياهم ديار من كذبك وردّ عليك ما أتيتهم به من الحق، وأموالهم، ومهلكوهم قتلاً بالسيف، سنة الله في الذين خلوا من قبل] .

[٤١] ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أئمَّةً ﴾ رؤساء في الشرك ﴿ يدْعُونَ إلى النَّارِ ، ويومَ القيامَةِ لا يُنْصَرُونَ ﴾ .

[٤٢] ﴿ وأتْبَعْنَاهُمْ في هذِهِ الدُّنْيَا لعنةً ﴾ يلعنهم كل مؤمن يسمعهم ﴿ ويومَ القيامةِ هُمْ منَ المَقْبوحينَ ﴾ من المطرودين ، المُبْعَدين .

[٤٣] ﴿ ولقدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ ﴾ وهو التوراة ﴿ منْ بعدِ ما أهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولى ﴾ الأمم السابقة ﴿ بَصَآئِرَ للنَّاسِ ﴾ أي : أنواراً للقلوب ﴿ وهُدىً ﴾ إلى الاعتقادات الصحيحة ودلائلها ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ بالإرشاد إلى العمل الصالح ﴿ لعلَّهُمْ يتذكَّرُونَ ﴾ فيتعظون به ويهتدون بسببه . [روى ابن جرير عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء ولا من الأرض بعدما أنزل التوراة على وجه الأرض، غير أهل القرية الذين مُسخوا قردة بعد موسى عليه السلام، ثم قرأ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ الآية ـ ابن كثير] .

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟
رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟
لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

[٤٤] ﴿ وَمَا كنتَ﴾ يا محمد ﴿بجانبِ الغربيِّ ﴾ أي : الوادي الغربيّ الذي كوشف فيه موسى عن المناجاة ﴿ إذ قَضَيْنا ﴾ قدَّرنا وأنهينا ﴿ إلى مُوسىٰ الأمْرَ﴾ أمرَ الإرسال والإنباء ﴿ ومَا كُنتَ منَ الشَّاهِدِينَ ﴾ .

[٤٥] ﴿ ولكنَّا أنْشَأْنَا قُرُوناً ﴾ بين زمانك وزمان موسى ﴿ فتطاول عَلَيْهِمُ العُمُرُ﴾ أي : أمد انقطاع الوحي ، واندرست معالم الهدى ، وعم الضلال والبغي والردى ، فاقتضت رحمتنا إرسالك لنخرجهم من الظلمات إلى النور ﴿ وما كنتَ ثاوياً ﴾ أي : مقيماً ﴿ في أهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِنَا ولكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ لك ، وموحين إليك تلك الآيات .

[٤٦] ﴿ ومَا كُنتَ بجانبِ الطُّورِ إذْ نادَيْنَا ﴾ أي : وقت ندائنا موسى [بأن ﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون* الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ الأعراف : ١٥٦ ـ ١٥٧ ، ابن جرير] ﴿ ولكن رحمةً من ربِّكَ ﴾ ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذُكر وبغيره ، لرحمةٍ عظيمة كائنة منا لك وللنّاس ﴿ لِتُنْذِرَ قوْماً ما أتاهُمْ منْ نذيرٍ من قَبْلِكَ ﴾ من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى ﴿ لعلَّهُمْ يتذكَّرُونَ ﴾ أي : يتعظون بإنذارك .

[٤٧] ﴿ ولَوْلا أن تُصِيبَهُمْ مُصِيبةٌ ﴾ أي : عقوبة ﴿ بما قدَّمَتْ أيديهمْ ﴾ من الكفر والفساد ﴿ فيقولوا : ربَّنَا لولا أرْسَلْتَ إلينا رَسُولاً فنتَّبعَ آياتِكَ ونكُونَ منَ المؤمنينَ ﴾بها .

[٤٨] ﴿ فلمَّا جاءَهُمُ الحقُّ منْ عِنْدِنَا قالوا لولا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى ﴾ من قلب العصا حيةً ، وفلقِ البحر ، وغيرِهما من الآيات ، تعنتاً وعناداً ﴿ أوَلَمْ يكفُروا بِما أوتِيَ مُوسَى من قبلُ ﴾ ردٌّ عليهم ، وإظهار لكون ما قالوه تعنتاً محضاً ، لا طلباً لما يرشدهم إلى الحق . أي : أولم يكفر أبناء جنسهم ، ومَنْ مَذْهَبُهم مَذْهبُهم ، وعنادهم عنادهم وهم القبط ، بما أوتي موسى من الكتاب ﴿ قَالُوا ﴾ في موسى وهارون عليهما السلام ﴿ سِحْرانِ ﴾ أي : ذوا سحرين ؛ أو جعلوهما سِحْرَيْن مبالغة ﴿ تظاهرا ﴾تعاونا ﴿ وقالوا إنّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾ . [عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ قالوا ساحران تظاهرا ﴾ قال : يعنون موسى ومحمداً ﷺ. وهذا رواية الحسن البصري . وأما من قرأ ﴿ سحران تظاهرا ﴾ فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما : يعنون التوراة والقرآن ـ ابن كثير] .

[٤٩] ﴿ قُلْ ﴾ لهؤلاء الجاحدين : قد مضى دور الخوارق التي تقترحونها ، ونسخ تعالى من تلك الآيات بما أتى بخير منها ، وهو آية الهداية التي تصلح بها قلوبُ العالمين ﴿ فأْتوا بِكِتَابٍ من عندِ اللَّهِ هوَ أهدى مِنْهُمَا ﴾ أي : من التوراة والقرآن ﴿ أتَّبِعْهُ ﴾ ولا أعاندكم مثل ما تعاندونني ﴿ إن كُنتُم صادقينَ ﴾ في أنهما سحران مختلفان ، أو في أنه يمكن الإتيان بما هو أهدى منهما .

[٥٠] ﴿ فإنْ لمْ يَسْتَجِيبُوا لكَ ﴾ فلم يأتوا بذلك الكتاب ، ولم يتابعوا الكتابَيْن ﴿ فاعلمْ أنّما يتَّبعونَ أهواءَهم ﴾ الزائغة من غير برهان ﴿ ومنْ أضلُّ ممَّنْ اتّبَعَ هواهُ بغَيْرِ هُدىً من اللَّهِ ﴾ الاستفهام إنكاريّ للنفي . أي : لا أحد أضل منه . كيف لا ؟ وهو أظلم الظلمة ، بتقديم هواه على هدى الله ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يهدي القومَ الظَّالمينَ ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ، والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين .

۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ
ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ
أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن
نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ
حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا
كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

[٥١] ﴿ ولقدْ وصَّلْنا لهُمُ القولَ لعلَّهم يتذكَّرُونَ ﴾ أي : أنزلنا عليهم القرآن متواصلاً ، بعضه إثر بعض ، وعْداً ووعيداً ، وقصصاً وعبراً ، ومواعظ ، حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة إرادة أن يتذكروا فيفلحوا .

[٥٢] ﴿ الذينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي : القرآن ﴿ هُمْ بِهِ يؤمِنُونَ ﴾ وهم مؤمنو أهل الكتاب وأولياؤهم .

[٥٣] ﴿ وإذَا يُتْلى عَلَيْهِمْ ﴾ القرآن ﴿ قالوا آمنَّا به إنَّهُ الحَقُّ منْ ربِّنَا إنَّا كُنَّا منْ قَبْلِهِ ﴾ من قبل نزوله ﴿ مسلمينَ ﴾ منقادين له ، لما عندنا من المبشِّرات به ، أو على دين الإسلام .

[٥٤] ﴿ أولئكَ ﴾ الموصوفون بما ذكر من النعوت ﴿ يُؤْتَوْنَ أجْرَهُمْ مرَّتَيْنِ ﴾ يعني مرة على إيمانهم بكتابهم ، ومرة على إيمانهم بالقرآن ﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي : بصبرهم وثباتهم على الإيمانيْن ، أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده ، أو على أذى من نابذهم ﴿ ويَدْرؤونَ ﴾ ويدفعون ﴿ بالحسنةِ السَّيِّئَةَ ﴾ بالحكمة الطيبة ، ما يسوؤهم ﴿ ومِمَّا رزقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ .

[٥٥] ﴿ وإذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ ﴾ من الجهال ﴿ أعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ تكريماً للنفس عن ملابسة الأدنياء ، وتشريفاً للسمع عن سقط باطلهم ﴿ وقَالُوا ﴾ لهم ﴿ لنا أعْمَالُنا ولَكُمْ أعْمالُكُمْ ، سلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ بطريق التوديع والمتاركة ﴿ لا نبْتغي الجاهِلِينَ ﴾ أي : لا نريد مخالطتهم وصحبتهم ، ولا نريد مجازاتهم بالباطل على باطلهم .

[عن مجاهد قال : نزلت في قوم كانوا مشركين فأسلموا ، فكان قومهم يؤذونهم ـ ابن جرير] .

[٥٦] ﴿ إنَّكَ لا تهْدي مَنْ أحْبَبْتَ ﴾ أي : لا تقدر أن تدخل في الإسلام كلَّ من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم ﴿ولكنَّ اللَّهَ يهدي من يشاءُ ﴾ هدايته ، فيدخله في الإسلام بعنايته ﴿ وَهُوَ أعْلَمُ بالمُهْتَدينَ ﴾ القابلين للهداية ، لاطّلاعه على استعدادهم وكونهم غير مطبوع على قلوبهم .

[٥٧] ﴿ وقالوا : إن نتَّبِعِ الهدى معَكَ ﴾ ونخالف العرب ﴿ نُتَخَطَّفْ منْ أرْضِنَا ﴾ مكة [عن ابن عباس قال : زعموا أنهم قالوا : قد علمنا أنك رسول الله ولكنا نخاف أن نتخطف من أرضنا ـ ابن جرير] . فردَّ عليهم تعالى بقوله : ﴿ أوَلَمْ نُمكِّن لَهُمْ حَرماً آمِناً ﴾ ألم نعصمهم من عدوّهم ونجعلْ مكانهم حَرَماً ذا أمْنٍ ﴿يُجْبَى إليهِ ثمراتُ كُلِّ شيْءٍ ﴾ تُجمع وتُجلب له الثمرات بكثرة ﴿ رزقاً من لَدُنَّا ولكنَّ أكثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أي : جهلة لا يتفكرون .

[٥٨] ﴿ وكمْ أهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ كفرت بها فلم تحفظ حقَّ الله فيها فدُمِّرت ﴿ فتلكَ مَسَاكِنُهُمْ لم تُسْكَن مِنْ بَعْدِهم إلاَّ قليلاً وكُنَّا نحنُ الوَارثِينَ ﴾ منهم ، إذ لم يَخلفهم أحد يتصرف تصرّفهم .

[٥٩] ﴿ ومَا كانَ ربُّكَ مُهْلِكَ القُرى حتَّى يبعثَ في أُمِّهَا ﴾ في أصلها وكبيرتها التي ترجع تلك القرى إليها ﴿ رسولاً يَتْلو عَلَيْهِمْ آياتِنا ﴾ الناطقة بالحق ، ويدعوهم إليه بالترغيب والترهيب ، وذلك لإلزام الحجّة وقطع المعذرة ﴿ وما كُنَّا مُهْلِكي القُرَى إلاَّ وأهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ بالكفر بالآيات وتكذيب الرسل سعياً بالفساد ، وإباء عن سبيل الصلاح والرشاد .

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا
فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا
يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟
لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ
يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ
ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٠] ﴿ وما أُوتيتُم من شيءٍ فمتاعُ الحياةِ الدُّنيا وزينتُها ﴾ فهو مما يُتمتع ويُتزيَّن به أياماً قلائل ، وهي مدة الحياة المنقضية ﴿ وما عندَ اللَّهِ خيرٌ ﴾ متاعاً وزينة في نفسه ، لخلوّه عن شوائب الألم ﴿ وأبقى ﴾ لأنّه أبديّ لا يزول ﴿ أفلا تعقِلُونَ ﴾ .

[٦١] ﴿ أفمَن وَعَدْناهُ وعْداً حسناً ﴾ بإيمانه وعمله الصالح ﴿ فهُوَ لاقيهِ كمنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الحياةِ الدُّنيا ثمَّ هُوَ يَوْمَ القِيامَةِ مِنَ المُحْضَرينَ ﴾ من الذين أُحضِروا للحساب أو للنار أو العذاب [قال ابن جرير، عن مجاهد قال: نزلت في النبي ﷺ، وفي أبي جهل بن هشام].

[٦٢] ﴿ ويوْمَ يناديهِمْ فيقولُ أينَ شُركائيَ الذينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ وهذا السؤال تبكيت لهم وتحريض إذ لا شركاء له سبحانه .

[٦٣] ﴿ قالَ الذينَ حقَّ عليهمُ القوْلُ ﴾ أي : وجب وثبت مقتضاه ، وهو لحوق الوعيد بهم . والمراد بهم ، رؤساء الضلال ، وقادة الكفر والفساد [قال قتادة : هم الشياطين ـ ابن جرير] ﴿ ربَّنا هؤلاءِ الذينَ أغْوَيْنا ﴾ أي : أضللناهم ﴿ أغْويناهم كما غَوَيْنا ﴾ أضللناهم بالوسوسة والتسويل ، كما ضللنا باختيارنا ، وإيثار ما يفنى على ما يبقى ﴿ تَبَرَّأْنا إليكَ ﴾ من الكفر والشرك والمعاصي ، أو منهم ومما اختاروه ﴿ ما كانُوا إيَّانا يَعْبُدُونَ ﴾ بل كانوا يعبدون أهواءهم وشهواتهم .

[٦٤] ﴿ وقيلَ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ﴾ ليشفعوا لكم ﴿ فَدَعَوْهم فلمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ورأَوُا العذابَ ، لو أنَّهُم كانُوا يهتَدُونَ ﴾ أي : تمنَّوا ذلك لِيُنْقَذُوا من العذاب العظيم .

[٦٥] ﴿ ويَوْمَ يناديهِم فَيَقُولُ مَاذا أَجَبْتُمُ المُرْسَلِينَ ﴾ الداعين إلى الهداية وإصلاح الأعمال والأخلاق .

[٦٦] ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْباءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ فصارت الأنباء كالعُمْي عليهم لا تهتدي إليهم ﴿ فهم لا يتساءَلُونَ ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب ، لفرط الدهشة ، أو لعلمه بأنه مثله في العجز عن الجواب ، أو لعجزهم عن النطق وكونهم مختوماً على أفواههم .

[٦٧] ﴿ فأمَّا مَنْ تابَ ﴾ من الشرك ﴿ وآمَنَ وعَمِلَ صالِحاً فعسى أن يكونَ منَ المُفْلِحِينَ ﴾ أي : أن يفلح عند الله . و ﴿ عسى ﴾ من الكرام تحقيق .

[٦٨] ﴿ وربُّكَ يَخْلُقُ ما يشاءُ ويختارُ ﴾ بمقتضى مشيئته وعنايته ، ما يريد ﴿ مَا كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ ﴾ في ذلك ، بل الخيرة في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ، ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ﴿ سُبْحانَ اللَّهِ وتعالى ﴾ تنزيه لله الذي لا يُزاحِمُ اختيارَهُ اختيارٌ ﴿ عمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ من الأصْنامِ والأندادِ التي لا تخلق شيئاً ولا تختار .

[٦٩] ﴿ وربُّكَ يعلمُ ما تُكِنُّ ﴾ ما تُخفي ﴿ صُدُورُهُمْ ﴾ من الكَيْدِ والمكر ﴿ ومَا يُعْلِنُونَ ﴾ من الأقْوالِ والأفعالِ .

[٧٠] ﴿ وهوَ اللَّهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ ﴾ المستحق للألوهية والعبادة وحدَه ﴿ لهُ الحَمْدُ في الأولى والآخِرَةِ ﴾ لأنه المولى للنعم كلها في الدارين ﴿ ولَهُ الحُكْمُ ﴾ أي : القضاء النافذ في كل شيء ، يقهر كل شيء على مقتضى مشيئته ، ويحكم عليه بموجب إرادته ﴿ وإليه تُرْجَعُونَ ﴾ بالبعث للجزاء .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ
﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

[٧١] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ جعلَ اللَّهُ عليكُمُ الليلَ سَرْمَداً إلى يوْمِ القِيامَةِ ﴾ أي : دائماً إلى يوم البعث ﴿ مَنْ إلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يأْتيكُم بضياءٍ أفَلا تَسْمَعُونَ ﴾ هذا الكلام الحق ، سماع تدبّر .

[٧٢] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ جَعَلَ اللَّهُ عليكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إلى يوْمِ القيامةِ ، مَنْ إلهٌ غيرُ اللَّهِ يأْتيكُم بليلٍ تسكُنونَ فيهِ ، أفَلا تُبْصِرونَ ﴾ هذه المنفعة فتقوموا بشكرها .

[٧٣] ﴿ ومِن رَحْمَتِهِ جَعَلَ لكُمُ اللَّيْلَ والنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فيهِ ﴾ في الليل ﴿ ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ في النهار ﴿ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نِعَمَه الظاهرة والباطنة ، والجسمانية والروحانية باستعمالها فيما وجب من طاعته ، وذلك فيما خُلِقَتْ له .

[٧٤] ﴿ ويَوْمَ يناديهم ﴾ يوم القيامة ﴿ فيقولُ أينَ شُرَكائيَ الذينَ كُنْتُم تَزْعُمُونَ ﴾ فهو الواحد الذي لا شريك له سبحانه وتعالى عمّا يصفون .

ربع الحزب ٤٠

[٧٥] ﴿ ونَزَعْنا ﴾ وأخرجنا ﴿ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شهيداً ﴾ نبيّاً يشهد عليهم بما كانوا عليه ﴿ فَقُلْنا ﴾ لكل أمة من تلك الأمم ﴿ هاتُوا بُرْهانَكُمْ ﴾ على ما أنتم عليه ، أحقٌّ هو أم لا؟ فعجزوا وظهر برهان النبيّ ﴿ فَعَلِمُوا أنَّ الحقَّ للَّهِ ﴾ في الألوهية ، لا يشاركه فيها أحد ﴿ وضلَّ عَنْهُمْ ﴾ وغاب عنهم غيبة الضائع ﴿ ما كانُوا يَفْتَرونَ ﴾ من الباطل والمذاهب المختلفة ، والطرق المتشعبة المتفرقة .

[٧٦] ﴿ إنَّ قارونَ كانَ منْ قوْمِ مُوسَى ﴾ أي : من شاكلتهم في الكفر والطغيان [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى ﴾ قال : كانَ ابن عمه . وقال ابن جريج : هو قارون بن يصهب بن قاهث ، وموسى بن عمران بن قاهث ، وزعم محمد بن إسحاق رحمه الله أن قارون كان عم موسى بن عمران عليه السلام . وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه . والله أعلم ـ ابن كثير]. وقوم موسى ، جماعته الذين أرسل إليهم ، وهم القبط وطاغيتهم فرعون ﴿ فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ بالكبر والاستطالة عليهم ، لما غلب عليه الحرص ومحبة الدنيا ، لغروره وتعززه برؤية زينة نفسه ﴿ وآتَيْناهُ منَ الكُنُوزِ ﴾ من الأموال المدخرة ﴿ ما إنَّ مَفاتِحَهُ ﴾ أي : مفاتيح صناديقه ﴿ لَتَنُوءُ ﴾ لتثقل ﴿ بالعُصْبَةِ ﴾ بالجماعة الكثيرة من الرجال أو البغال ﴿ أُولِي القُوَّةِ ، إذْ قالَ لهُ قَوْمُهُ لا تفرحْ ﴾ بزخارف الدنيا فرحاً يشغلك عن الشكر فيها والقيام بحقها ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الفَرِحينَ ﴾ أي : هذا الفرح ، لما فيه من إيثارها عن الآخرة ، والرضا بها عنها ، والإخلاد إليها ، وذلك أصل كل شر ومبعث كل فساد .

[٧٧] ﴿ وابتغِ فيما آتاكَ اللَّهُ ﴾ واطلب من الغنى الذي تفضّل الله به عليك ، بعدَ الفاقة ﴿ الدَّارَ الآخِرَةَ ﴾ بأن تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب ، وتجعله زادك إلى الآخرة ﴿ ولا تَنْسَ نصيبكَ منَ الدُّنيا ﴾ وهو أنْ تأخذ منه ما يصلحك ويرفهك ﴿ وأَحْسِنْ ﴾ إلى الناس ، افعل الإحسان من وجوهه المعروفة ﴿ كما أَحْسَنَ اللَّهُ إليكَ ولا تَبْغِ الفَسادَ في الأَرْضِ ﴾ بهذا المال الذي جعله سبب صلاحها ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدينَ ﴾ .

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ
مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ
وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ
فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا
مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا
بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ
مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ
وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ
﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾

[٧٨] ﴿ قال إنـمـا أُوتيتُـهُ على عِلْمٍ عندي ﴾ بطرق التجارة أو المكاسب ﴿ أوَلَـمْ يَعْلَمْ ﴾ مما سمع بـالتواتر ﴿ أنَّ اللَّـهَ قَدْ أهْلَكَ مِـن قَبْلِهِ مِنَ القُـرُونِ ﴾ الكثيرة ، بحيث صارت سنة له ﴿ مِنْ هُوَ أشَدُّ مِنْهُ قُـوَّةً ﴾ بالأموال والأتباع ﴿ وأكثرُ جَمْعاً ولا يُسْأَلُ عنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرمونَ ﴾ أي : لا يتـوقف إهلاكـه إيـاهم على سؤال ، ليعتـذروا عنهـا ، بل متى حق عليهم القـول بفسقهم ، أهلكهم بغتة بلا معاتبة وطلب عذر .

[٧٩] ﴿ فخرجَ ﴾ قارون بـاغياً ﴿ على قَوْمِـهِ في زِينَتِه ﴾ مُغْتراً بالنظر فيها ﴿ قالَ الذينَ يُريـدونَ الحياةَ الدُّنْيا ﴾ جريـاً على سُنَنِ الجِـبِلَّةِ البشرية ، من الرغبـة في السعة واليسار ﴿ يا لَيْتَ لنَـا مِثْلَ ما أُوتيَ قَارونُ إنَّـهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيـمٍ ﴾ .

[٨٠] ﴿ وقالَ الذينَ أُوتُوا العِلْمَ ويْلَـكُمْ ﴾ ويلك : في الأصل دعـاء بالهلاك ، والمراد بـه هنا الـزجر عن هـذا التمني ، مجازاً ﴿ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ مما تتمنونه ﴿ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً وَلاَ يُلَقَّاهَا ﴾ أي : هذه الكلمـة التي فاه بها الذين أوتوا العلم ، أو الجنة ، أو السيرة والطريقة ، وهي الإيمان والعمل الصـالح ﴿ إلاَّ الصَّابِـرُونَ ﴾ على الطاعـات عن الشهوات ، وعلى زمـام النفس أن تجري في أعقاب المزخرفات .

[٨١] ﴿ فَخَسَفْنَا بـهِ وبدارِه ﴾ المشتملـة على أمـوالـه ﴿ الأرْضَ ﴾ [قـال ابن جريـر: فخسفنا بقـارون وأهل داره، وقيل وبداره، لأنه ذكـر أن موسى إذ أمر الأرض أن تأخذه أمرها بأخذه وأخـذ من كان معه من جلسائه في داره، وكانوا جماعة جلوساً معه، وهم على مثل الذي هو عليه من النفاق والمؤازرة على أذى موسى] ﴿ فَما كانَ لَـهُ من فِئَـةٍ يَنْصُرُونَـهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ بدفع العذاب عنه ﴿ ومَا كانَ مِنَ المُـنْـتَصِرِينَ ﴾ بقوة نفسه وماله . [في الصحيح عن البخاري أن رسول الله ﷺ قال : (بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة) ـ ابن كثير] .

[٨٢] ﴿ وأصبحَ الذينَ تَـمَـنَّوْا مكانَـهُ بالأمْسِ يقولـون ويْكَأَنَّ اللَّهَ ﴾ مركّبـة من : وي : للتعجب ، وكأن : التي للتحقيق ، وهـو أحد معـانيها المعروفة ، والوقف في القراءة على : ويْ ﴿ يَبْسُط الرِّزْقَ ﴾ يعطي بكثرة ﴿ لِمَنْ يشاءُ منْ عبادِهِ ﴾ من شقيٍّ وسعيد ﴿ ويَقْدِرُ ﴾ ويقبض ، فلا دلالة في البسط على السعادة ، ولا في القبض على الشقاوة ، بل يفعل سبحانه كل واحد مـن البسط والقَدْر بمحض مشيئته ، لا لكرامة توجب البسط ، ولا لهوان يقتضي القبض ﴿ لولا أن منَّ اللَّهُ علينَا ﴾ بعدم إيتائه مُتَمَنَّانا ﴿ لَخَسفَ بنا ﴾ كما خسف به ﴿ ويْكأنَّـهُ لا يُـفْلِـحُ الكافِرُونَ ﴾ لنعمة الله ، في صرفها في غير سبيلها ، أو المكذبون برسله اغتراراً بزخارفهم .

[٨٣] ﴿ تلكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُـهَا للذين لا يُريدُونَ عُـلُوًّا في الأرْضِ ﴾ أي : غلبة وتسلطاً بسوء وتكبّر ﴿ ولا فساداً ﴾ بظلم وعدوان وصدّ عن سبيل الله تعالى ﴿ والعاقِـبَـةُ ﴾ والنهاية الحميدة ﴿ للمتَّقِينَ ﴾ الذينَ يتّقون ما لا يرضاه تعالى من الأقوال والأفعال .

[٨٤] ﴿ مَنْ جاءَ بالحَسَنةِ فَلَـهُ خَيْرٌ مِنْهَا ، ومَنْ جاء بالسَّيِّئَـةِ فلا يُـجْزَى الذين عَمِلوا السيِّئاتِ إلاَّ مَا كانوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي : مثله ، وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ، أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها ، ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وسبعمائة .

إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ
أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ
تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا
يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ
لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

[٨٥] ﴿ إنَّ الذي فرضَ عليكَ القرآنَ ﴾ أوجب عليك تبليغه للناس ﴿ لرادُّكَ ﴾ بعـد الموت ﴿ إلى مَعَادٍ ﴾ فيه أقوال منها يوم القيامـة ، والمقام المحمود الموعود . وعن ابن عباس : لرادُّك إلى مكة كما أخرجك منها ﴿ قُلْ ربِّي أعْلَمُ مَن جـاءَ بالهُدى ﴾ أي : بما يستحقـه من المثوبـة ﴿ ومَنْ هُوَ في ضَلاَلٍ مبينٍ ﴾ بما يستحقه من العذاب .

[٨٦] ﴿ وما كنتَ تَرْجُـو أن يُلْقى إليكَ الكِتَابُ ﴾ ما كنت تظن ، قبل إنـزال الوحي إليك ، أن الـوحي ينزل عليك ﴿ إلاَّ رَحْـمَـةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ ولكن لرحمة من ربّك ألقي إليكَ ﴿ فلا تكُونَنَّ ظهيراً للكَافِرِينَ ﴾ أي : مُعيناً لهم .

[٨٧] ﴿ ولا يَصُـدُّنَّكَ عن آيـاتِ اللَّـهِ بعْـدَ إذْ أُنْـزِلَتْ إليكَ ﴾ أي : عن تبليغها بعد إنزالها ﴿ وادْعُ إلى ربِّكَ ﴾ أي : إلى عبادته وحده لا شريك له ﴿ ولا تكونَنَّ منَ المشركينَ ﴾ .

نصف الحزب ٤٠

[٨٨] ﴿ ولا تـدْعُ مَعَ اللَّهِ إلهاً آخَرَ ، لا إلهَ إلاَّ هُوَ ، كُلُّ شيْءٍ هالِـكٌ إلاَّ وجْهَهُ ﴾ إلا إياه سبحـانه . والـوجه : يُعَبَّر بـه عن الـذات ﴿ لَـهُ الحُكْمُ ﴾ القضاء النـافذ في خلقـه ﴿ وإليهِ تُـرْجَعُونَ ﴾ يـوم معـادكـم فيجـازيكم بأعمالكم ، إن خيراً فخير ، وإن شرّاً فشرّ .

[سورة العنكبوت]

سُمِّيت بـ « العنكبوت » لاشتمالها على آيـة : ﴿ مَثَلُ الـذين اتخذوا من دونِ اللَّـهِ أولياءَ كَمَثَلِ العنكبـوت ﴾ وهي مكيـة ، واستثني من أولها إلى قـولـه تعـالى ﴿ وليعلمَنَّ المنافقين ﴾ وقوله ﴿ وكأيِّـنْ من دابَّةٍ ﴾ الآية ، ويقال إنها آخر ما نزل بمكة . وعدد آياتها تسع وستون آية .

[١] ﴿ الـمّ ﴾ تُقرأ هذه الأحرفُ : ألف ، لام ، ميم . وقد سبق الكلام على فواتح السور في مطلع سورة البقرة .

[٢] ﴿ أحسِبَ الناسُ أن يُتْركوا أنْ يقولوا آمَنَّا وهم لا يُـفْتَنون ﴾ بل يمتحنهم الله بضروب المِحَن لتمييـز المخلص من غير المخلص [عن عبـد الله بن عمير بن عبيد قال : نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذب في الله ـ ابن جرير] .

[٣] ﴿ ولقد فتَنَّا الذين من قبلِهم ﴾ من أتباع الأنبياء عليهم السـلام ، بضروب من الفتن من أعدائهم ﴿ فليعلمَنَّ اللَّهُ الذين صَدَقوا ﴾ في قولهم آمنّا ﴿ وليعلمَنَّ الكاذبين ﴾ وذلك بالامتحان

[٤] ﴿ أمْ حسِبَ الذينَ يعمَلون السيئاتِ أن يَسْبِقونا ﴾ أي : يفوتونا ، فلا نقدر على مجازاتهم بمساوىء أعمالهم ﴿ ساءَ ما يَحكمون ﴾ أي : بئس ما يحكمون حكمهم .

[٥] ﴿ من كان يرجُو لِقاءَ اللَّهِ ﴾ في الجنة من رؤيته ، والفوز بكرامته ﴿ فإنَّ أجَلَ اللَّهِ ﴾ وهو الموت ﴿ لآتٍ ﴾ فليبادِرْ ما يصدق رجاءَه ويحقق أمله ﴿ وهو السَّميعُ العليمُ ﴾ السميع لأقوالهم العليم بضمائرهم وأحوالهم .

[٦] ﴿ وَمَنْ جاهَدَ ﴾ في الصَّبرِ على البلاءِ والثباتِ على الحَقِ مع ضروب الإيذاء ﴿ فإنَّما يُجاهِدُ لنفسِهِ ﴾ لأنه يمهد لنفسه ما يجني به ثمرة غرسه ﴿ إنّ اللَّهَ لغنيٌّ عنِ العالمين ﴾ .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ۖ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن
شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا
مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿ **والذينَ آمنوا وعمِلوا الصَّالحاتِ لنُكفِّرَنَّ عنهُم سيئاتِهِم ولَنَجزِيَنَّهُم أحسنَ الذي كانوا يَعملون** ﴾ أي : أحسن جزاء أعمالهم .

[٨] ﴿ **ووصَّيْنا الإنسانَ بوالدَيْهِ حُسْناً** ﴾ أمرناه أمراً مؤكداً بأن يفعل لوالدَيْه فعلاً ذا حُسنٍ عظيم ﴿ **وإنْ جاهَداكَ** ﴾ إن حملاك على الشرك بكل وسيلة ﴿ **لِتُشرِكَ بي ما ليسَ لكَ بهِ عِلْمٌ** ﴾ عبَّر عن نفي ألوهية غيره بنفي العلم بها ﴿ **فلا تُطِعْهُما** ﴾ في الشرك ﴿ **إليَّ مرجِعُكم** ﴾ مرجع من آمن منكم ومن أشرك ﴿ **فأنبِّئُكُم بما كنتم تعمَلون** ﴾ فأجازيكم حق جزائكم . وقد روي أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حين أسلم قالت له أمه : يا سعد بلغني أنك صبأت ، فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح ـ الشمس ـ والريح وإن الطعام والشراب عليَّ حرام حتى تكفر بمحمد . وكان أحب ولدها إليها ، فأبى سعد ، وبقيت ثلاثة أيام كذلك ، فجاء سعد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه فنزلت هذه الآية ، والتي في لقمان ، والتي في الأحقاف ، فأمره رسول الله ﷺ أن يداريها ويترضاها بالإحسان .

[٩] ﴿ **والذين آمَنوا وعمِلوا الصالحاتِ لَنُدخلَنَّهُم في الصالِحين** ﴾ أي : في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال . أو المعنى : في مدخل الصالحين وهي الجنة .

[١٠] ﴿ **ومنَ الناسِ منْ يقولُ آمَنَّا باللَّهِ ، فإذا أُوذيَ في اللَّهِ جَعلَ فِتنةَ الناسِ كعذابِ اللَّهِ** ﴾ أي : جعل ما يصيبه في الصرف عن الإيمان من ضروب الإيذاء ، بسببه ، مثل عذاب الله في الشدة والهول فيرتد عن دينه ﴿ **ولَئِنْ جاء نصرٌ من ربِّك ليقولُنَّ إنَّا كُنَّا معَكُم** ﴾ في الإيمان ، فأشركونا في الغنيمة ﴿ **أوَلَيْسَ اللَّهُ بأعلَمَ بما في صدورِ العالمينَ** ﴾ من التلبيس والإخلاص .

[١١] ﴿ **ولَيعلمَنَّ اللَّهُ الذين آمَنوا** ﴾ بإخلاصهم ﴿ **وَلَيَعْلَمَنَّ المُنافِقِينَ** ﴾ .

[١٢] ﴿ **وَقَالَ الذينَ كَفَروا لِلذينَ آمَنوا : اتَّبِعُوا سبيلَنا ولنحمِلْ خطاياكُم** ﴾ أي : إن كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث ، فتَبِعَتُها علينا وفي رقابنا . قال ابن كثير : كما يقول القائل : افعلْ كذا وخطيئتك في رقبتي . قال الله تعالى تكذيباً لهم : ﴿ **وما هُم بحامِلين من خطاياهُم من شيءٍ ، إنَّهم لَكاذِبون** ﴾ .

[١٣] ﴿ **وليحمِلُنَّ أثقالَهُم** ﴾ وهي أوزار أنفسهم ﴿ **وأثقالاً مع أثقالِهِم** ﴾ يعني أوزار الإضلال والحمل على الكفر والصد عن سبيل الله . وفي الصحيح : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً . ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة ، من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً) ﴿ **وليُسْأَلُنَّ يومَ القيامةِ عمَّا كانوا يَفتَرون** ﴾ من الأكاذيب والأباطيل .

[١٤] ﴿ **ولقدْ أرسلنا نوحاً إلى قومِهِ فلبِثَ فيهِم ألفَ سنةٍ إلاَّ خمسين عاماً فأخذهُمُ الطُّوفانُ وهُمْ ظالِمُونَ** ﴾ .

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ
مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

[١٥] ﴿ **فأنجَيْناه وأصحابَ السَّفينةِ** ﴾ فأنجينا نوحاً وأصحاب سفينته ، وهم الذين حملهم في سفينته من ولده وأزواجهم ﴿ **وجعَلْناها آيةً** ﴾ أي : هذه الحادثة الهائلة ، موعظة ﴿ **للعالَمِين** ﴾ أي وجعلنا تلك السفينة باقية ، إما عينها ـ كما قال قتادة ـ إنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي ، أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه على الخلق كيف أنجاهم من الطوفان ، قاله ابن كثير .

[١٦] ﴿ **وإبراهيمَ** ﴾ أي واذكر يا محمد إبراهيم خليل الرحمن ﴿ **إذْ قال لقومِهِ : اعبُدوا اللَّهَ واتَّقُوهُ ، ذلكُم خيرٌ لكُم ، إنْ كنتُم تعلَمون** ﴾ .

[١٧] ﴿ **إنَّما تعبُدون منْ دونِ اللَّهِ أوْثاناً وتخْلُقون إفْكاً** ﴾ أي : كذباً ، في تسميتها آلهة وشركاء لله وشفعاء إليه قال ابن عباس : ﴿ وتخلقون إفكاً ﴾ أي تنحتونها أصناماً . وبه قال مجاهد وآخرون واختاره ابن جرير وهو الأظهر ﴿ **إنَّ الذين تعبُدون من دونِ اللَّهِ** ﴾ أوثانكم التي تعبدونها ﴿ **لا يمْلِكون لكُم رزقاً ، فابْتَغوا عندَ اللَّهِ الرِّزقَ واعبُدوه واشكُروا لَهُ ، إليهِ تُرجَعون** ﴾ .

[١٨] ﴿ **وإنْ تكذِّبوا** ﴾ والخطاب لمشركي قريش ﴿ **فقدْ كذَّب أممٌ من قبلِكُم ، وما على الرَّسولِ إلاَّ البلاغُ المُبينُ** ﴾ أي : التبليغ الذي يزيل كل لبس ، وما عليه أن يصدقه قومه .

[١٩] ﴿ **أوَلَمْ يرَوْا كيفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الخَلْقَ ثمَّ يُعيدُه** ﴾ إرشاد إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه مع وضوح دليله ، وذلك بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، ثم وجدوا وصاروا أُناساً سامعين مبصرين ، فالذي بدأ هذا قادر على إعادته ، فإنه سهل عليه ، يسير لديه ﴿ **إنَّ ذلكَ** ﴾ أي : ما ذكره ، وهو الإعادة ﴿ **على اللَّهِ يسيرٌ** ﴾ هيِّن .

[٢٠] ﴿ **قُلْ سيروا في الأرضِ فانْظُروا كيفَ بدأَ الخَلْقَ** ﴾ كيف خلقهم ابتداءً على أطوار مختلفة وطبائع متغايرة وأخلاق شتى ﴿ **ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النشأةَ الآخرةَ** ﴾ أي : الخلق الآخر ﴿ **إنَّ اللَّهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ** ﴾ [أي هو الحاكم المتصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فله الخلق والأمر لأنه المالك لا يظلم مثقال ذرة ، كما جاء في الحديث : (إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم) أخرجه أصحاب السنن ـ ابن كثير] .

[٢١] ﴿ **يُعذِّبُ منْ يشاءُ** ﴾ بعد النشأة الثانية وهم المنكرون لها ﴿ **ويرحَمُ من يشاءُ** ﴾ وهم المؤمنون بها ﴿ **وإليهِ تُقلَبون** ﴾ وإليه تُرَدُّون .

[٢٢] ﴿ **وما أنتُم بمُعْجِزين في الأرضِ ولا في السَّماءِ** ﴾ أي : بالتواري في الأرض ، ولا بالتحصُّن في السماء التي هي أفسح منها ، لو استطعتم الرقيَّ فيها ، أو القلاع الذاهبة فيها ، فيكون المراد بالسماء ما ارتفع ﴿ **وما لَكُم من دونِ اللَّهِ منْ وليٍّ ولا نصيرٍ** ﴾ يدافع عنكم ما يراد بكم .

[٢٣] ﴿ **والذينَ كَفَروا بآياتِ اللَّهِ** ﴾ حججه ﴿ **ولقائِهِ** ﴾ البعث والوقوف للحساب ﴿ **أولئِكَ يَئِسوا من رَحْمتي** ﴾ لما رأوا ما أعد لهم من العذاب ﴿ **وأولئِكَ لهُمْ عذابٌ أليمٌ** ﴾ .

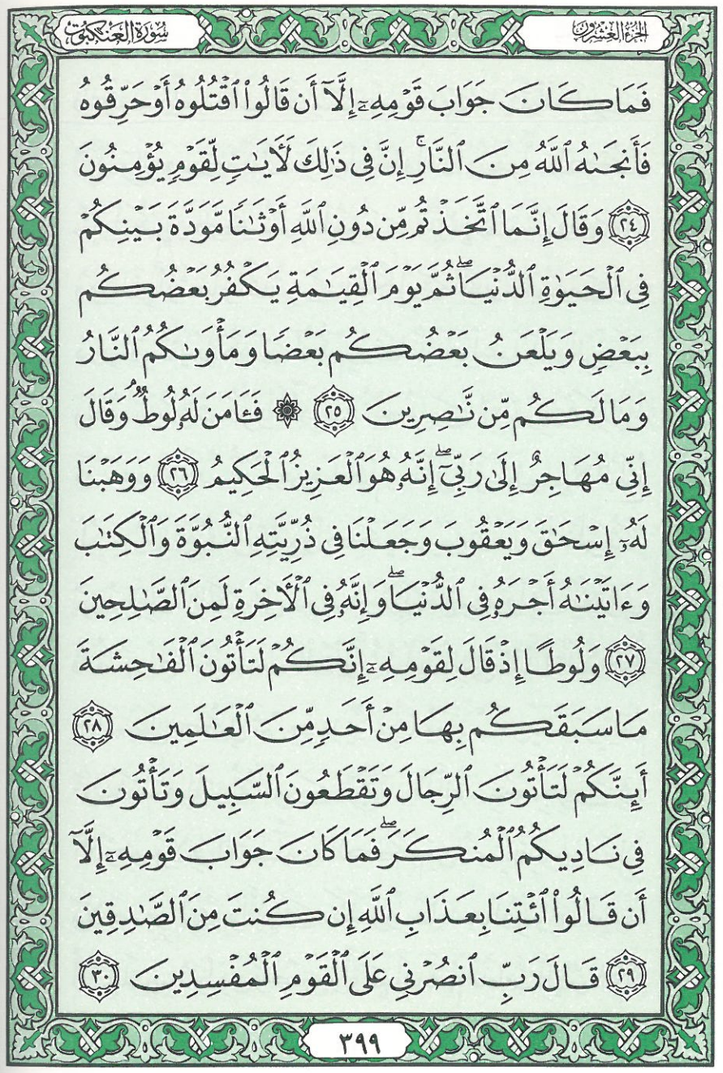

[٢٤] ﴿ فما كان جوابَ قومِهِ ﴾ أي : قوم إبراهيم عليه السلام ﴿ إلاّ أنْ قالوا اقتُلوهُ أو حَرِّقوهُ ، فأنْجاهُ اللَّهُ منَ النارِ ، إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يُؤْمِنون ﴾ .

[٢٥] ﴿ وقالَ إنَّما اتَّخَذْتُم منْ دونِ اللَّهِ أوْثاناً ، مَوَدَّةَ بَيْنِكُم في الحياةِ الدُّنْيا ﴾ أي : لتتوادُّوا بينكم ، تتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها ﴿ ثُمَّ يومَ القيامةِ يكفُرُ بعضُكُم ببعضٍ ويلعَنُ بعضكُم بعضاً ﴾ أي : تتجاحدون ما كان بينكم ، ويلعن الأتباع المتبوعين ، والمتبوعون الأتباعَ ﴿ ومَأْواكُم النَّارُ ، وما لكُم من ناصِرين ﴾ .

[٢٦] ﴿ فآمَنَ لهُ ﴾ أي : صدَّق بدعوة إبراهيم ﴿ لوطٌ وقال إنِّي مهاجِرٌ ﴾ من أرض قومي ﴿ إلى رَبِّي ﴾ لا إلى غيره ، بل إلى عبادته وإقامة شعائر دينه والقيام بدعوة الخلق إلى الحق من شرعه وتوحيده ﴿ إنَّهُ هوَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ [لوط : يقال إنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام، وهو لوط بن هاران بن آزر عليه السلام، وهاجر معه إلى بلاد الشام، ثم أرسل في حياة الخليل عليه السلام إلى أهل سدوم وإقليمها، وكان من أمرهم ما تقدم . ﴿إنه هو العزيز الحكيم﴾ روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنها ستكون هجرة بعد هجرة فينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، فتلفظهم أرضهم تقذرهم نفس الرحمن، تحسرهم النار مع القردة والخنازير، فتبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذاقالوا، وتأكل من تخلف منهم) ـ ابن كثير] .

[٢٧] ﴿ ووهَبْنا لهُ ﴾ أي لإبراهيم ﴿ إسْحٰقَ ويعقوبَ ، وجعلنا في ذُرِّيَّتِه النبوَّةَ والكتابَ ، وآتيناهُ أجرَهُ في الدُّنْيا ﴾ بإيتاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملك إليه والثناء إلى آخر الدهر ، والصلاة عليه ﴿ وإنَّهُ في الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحين ﴾ .

[٢٨] ﴿ ولوطاً إذْ قالَ لقومِهِ إنَّكُم لتأْتونَ الفاحِشَةَ ﴾ الفِعلةَ المتناهية في القبح ﴿ ما سبقَكُم بها من أحدٍ منَ العالَمِين ﴾ لنفور الطباع منها [روى ابن جرير عن عمرو بن دينار قال : ما نزا ذَكَرٌ على ذكر حتى كان قوم لوط] .

[٢٩] ﴿ أئِنَّكُمْ لتأْتون الرجالَ وتقطَعون السَّبيلَ ﴾ أي : سبيل النسل بإتيان ما ليس بحرْث ، أو بعمل قُطَّاع الطريق من قتل الأنفس وأخذ الأموال ﴿ وتأْتون في ناديكُم ﴾ مجلسكم الذي تجتمعون فيه ﴿ المُنْكَرَ ﴾ ما لا يليق من الأقوال والأفعال . روى الإمام أحمد عن أم هانىء قالت : سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿ في ناديكم المنكر ﴾ قال (يحذفون ـ يرمون بالعصا أو بالحجارة ـ أهل الطريق ويسخرون منهم) وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه ﴿ فما كان جوابَ قومِهِ إلاّ أنْ قالوا ائْتِنا بعذابِ اللَّهِ إنْ كُنْتَ منَ الصَّادقِين ﴾ قال ابن كثير : وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم ، ولهذا استنصر عليهم نبي الله .

[٣٠] ﴿ قالَ ﴾ لوط : ﴿ ربِّ انصُرْني على القومِ المُفْسِدين ﴾ الذين يفسدون كل برهان عقلي ونقلي ، وكل حكمة إلهية .

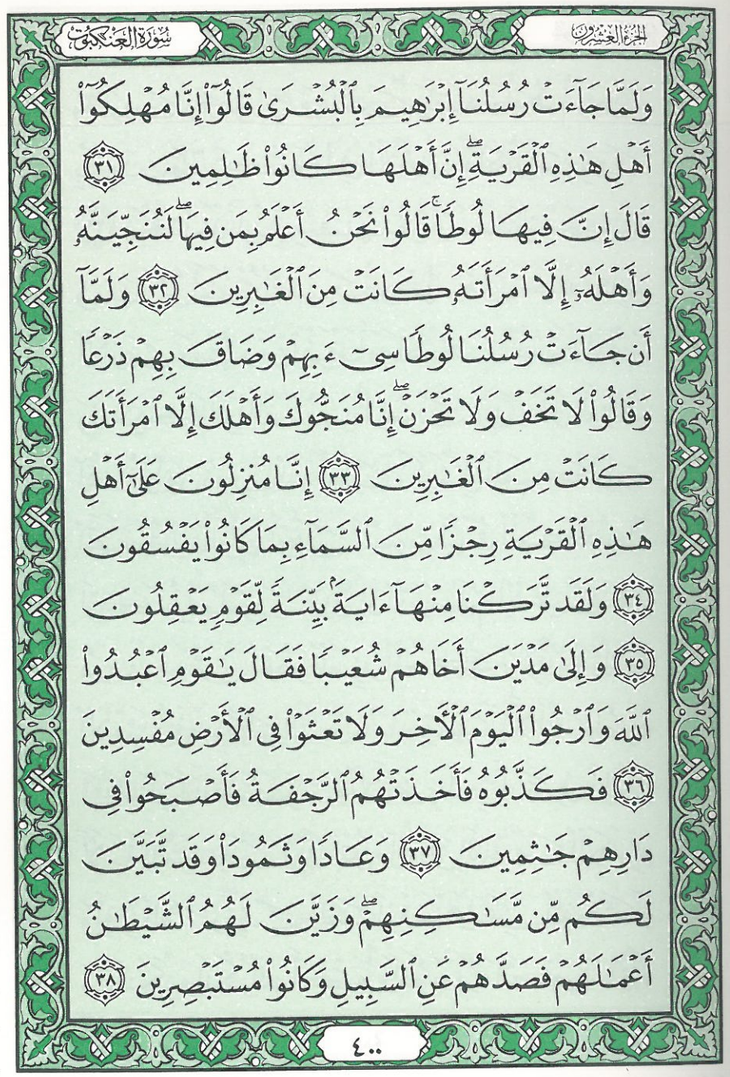

[٣١] ﴿ ولمَّا جاءتْ رُسُلُنا ﴾ وهم الملائكة ، بُعِثوا لنصر لوط وتبشيره بهلاك قومه ﴿ إبراهيمَ بالبُشْرى ﴾ أي بالبشارة بالولد إسحاق والنافلة يعقوب ﴿ قالُوا ﴾ لإبراهيمَ عليه السلام : ﴿ إنَّا مُهْلِكوا أهلِ هذِهِ القريةِ ﴾ أي قرية سدوم ﴿ إنَّ أهلَها كانوا ظالِمين ﴾ بتنزيلهم الرجال منزلة النساء ، وقطع السبيل ، وفعل المنكرات ، وترك المعروف .

[٣٢] ﴿ قالَ ﴾ إبراهيم عليه السلام : ﴿ إنَّ فيها لوطاً ﴾[وهو ليس من الظالمين، بل هو من رسل الله، وأهل الإيمان به، والطاعة له، فقال الرسل له] ﴿ قالوا : نحنُ أعلمُ بمَنْ فيها ﴾ [من الظالمين الكافرين بالله منك، وإن لوط ليس منهم، بل هو كما قلت من أولياء الله] ﴿ لَنُنَجِّيَنَّهُ وأهلَهُ إلاّ امرأتَهُ كانت منَ الغابِرين ﴾ أي : الباقين في العذاب ، أو القرية .

[٣٣] ﴿ ولمَّا أنْ جاءت رُسُلُنا ﴾ أي : المذكورون بعد مفارقتهم لإبراهيم عليه السلام ﴿ لوطاً سِيءَ بِهِمْ ﴾ اعترته المساءَةُ بسببهم مخافة أن يقصدوهم ﴿ وضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً ﴾ ضاق بشأنهم ذرعه ، أي : طاقته ﴿ وقالوا لا تَخَفْ ولا تحزنْ إنّا مُنَجُّوكَ وأهلَكَ ﴾ مما يصيبهم من العذاب ﴿ إلاَّ امرأتَكَ كانت منَ الغابِرين ﴾ الهالكين .

[٣٤] ﴿ إنّا مُنْزِلون على أهلِ هذهِ القريةِ ﴾ وهم قوم لوط عليه السلام ﴿ رِجْزاً منَ السَّماءِ ﴾ عذاباً عظيماً من جهة السماء ﴿ بما كانوا يَفْسُقون ﴾ [وذلك أن جبريل عليه السلام اقتلع قرارهم من قرار الأرض ثم رفعها إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم، وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود، وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنة، وجعلهم عبرة إلى يوم التناد، وهم من أشد الناس عذاباً يوم المعاد، ولهذا قال تعالى : ﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون﴾، كما قال تعالى : ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون﴾ـ ابن كثير] .

[٣٥] ﴿ ولقد تركنا منها آيةً بيِّنةً لقومٍ يَعْقِلون ﴾ يعني قصتها العجيبة ، أو آثارها الخربة .

[٣٦] ﴿ وإلى مَدْيَنَ أخاهُم شُعَيْباً فقالَ يا قومِ اعْبُدوا اللَّهَ وارجُوا اليومَ الآخِرَ ﴾ أي : توقعوه، وما سيقع فيه من فنون الأهوال ﴿ولا تعثَوْا في الأرضِ مُفْسِدين﴾ بالبغي على أهلها ، كنقص المكيال والميزان ، وقطع الطريق على الناس ، فإن عاقبة ذلك الدمار .

[٣٧] ﴿ فكذَّبوهُ فأخذتهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ أي : الصيحة التي هي منشأ الزلزلة الشديدة ﴿ فأصْبَحوا في دارِهِم ﴾ أي : بلدهم أو منازلهم ﴿ جاثِمين ﴾ هلكى ميتين .

[٣٨] ﴿ وعاداً وثَمودَ ، وقد تبيَّنَ لكُم من مساكِنِهم ﴾ [خرابها وخلاؤها منهم بوقائعنا بهم وحلول سطونا بجميعهم ـ ابن جرير] ﴿ وزيَّنَ لهُمُ الشيطانُ أعمالَهُم فصدَّهُم عنِ السَّبيلِ وكانوا مُسْتَبْصِرين ﴾ أي : عقلاء متمكنين من النظر والافتكار بواسطة الرسل عليهم السلام ، فإنهم أوضحوا السبل ، فلم يكن لهم في ذلك عذر ، ولكنهم لم يفعلوا عناداً وكِبْراً .

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾
فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ
ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ
لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ۞ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

[٣٩] ﴿ وقارونَ وفِرْعَوْنَ وهامانَ ، ولقدْ جاءهُم موسى بالبَيِّناتِ فاستكْبَروا في الأرضِ وما كانوا سابِقين ﴾ أي : فائتين الله سبحانه ، بل لحقهم عذابه فدمَّرهم تدميراً .

[٤٠] ﴿ فكُلاًّ أخذنا بذنبِهِ ، فمنهُم مَنْ أرسَلْنا عليهِ حاصِباً ﴾ ريحاً عاصفاً ، فيها حصباء ، وهم قوم لوط ﴿ ومنهُم مَنْ أخذتْهُ الصَّيْحَةُ ﴾ كمدين وثمود ﴿ ومنهُم مَنْ خسفنا به الأرضَ ﴾ كقارون ﴿ ومنهُم مَنْ أغرَقْنا ﴾ كقوم نوح، وفرعون وقومه ﴿ وما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُم ، ولكنْ كانوا أنفسَهُم يَظْلِمون ﴾ بفعل ما يوجب ذلك ، من البغي والفساد [وعبادة غيره، ومعصيتهم من أنعم عليهم].

[٤١] ﴿ مَثَلُ الذينَ اتَّخذوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أولياءَ كَمَثَلِ العَنْكَبوتِ اتَّخذت بيتاً ﴾ تعتمد على قوته وتظنه محيطاً بها ، دافعاً عنها الحر والبرد ﴿ وإنَّ أوْهَنَ البيوتِ ﴾ أضعفها ﴿ لَبيتُ العنكبوتِ ﴾ لأنه لا يحتمل مسَّ أدنى الحيوانات وأضعف الرياح ، ولا يدفع شيئاً من الحر والبرد ﴿ لَوْ كانوا يعلَمون ﴾ شيئاً ما . والغرض من التشبيه هو تقرير وهن دينهم [قال ابن عباس : ذلك مثلٌ ضربه الله لمن عبد غيره، إن مثله كمثل بيت العنكبوت ـ ابن جرير].

[٤٢] ﴿ إنَّ اللَّهَ يعلمُ ما يَدْعون من دونِه من شيءٍ ﴾ تجهيل لهم وتوكيد للمثل المضروب ، ووعيد لهم ﴿ وهو العزيزُ الحكيمُ ﴾ .

[٤٣] ﴿ وتلكَ الأمثالُ ﴾ يعني هذا المثل ونظائره في التنزيل ﴿ نضرِبُها للنَّاسِ ﴾ ليقرب ما بَعُدَ من أفهامهم . فإنَّ الأمثال والتشبيهات طرق تبرز فيها المعاني المحتجبة للأفهام ﴿ وما يَعْقِلُها ﴾ أي : يدرك حسنها وفوائدها ﴿ إلاَّ العالِمُون ﴾ الراسخون في العلم الكاملون فيه .

[٤٤] ﴿ خلقَ اللَّهُ السَّمٰواتِ والأرضَ بالحقِّ ﴾ محقّاً مراعياً للحكم والمصالح ، مقدساً عن أن يقصد به باطلاً ﴿ إنَّ في ذلك لآيةً للمُؤْمنين ﴾ [قال ابن جرير: إن في خلقه لحجة لمن صدق بالحجج إذا عاينها والآيات إذا رآها].

[٤٥] ﴿ اتْلُ ما أُوحِيَ إليكَ منَ الكتابِ ﴾ أي تقرُّباً الى الله تعالى بقراءته، وتحفُّظاً لألفاظه واستكثاراً لما في المعاني، فإن القارىء المتأمِّل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه ، وتذكيراً للناس ، وحملاً لهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الأخلاق ﴿ وأقِمِ الصلاةَ، إنَّ الصلاةَ تنهى عنِ الفحشاءِ والمُنْكَرِ ﴾ أي : تكون سبباً للانتهاء عن ذلك . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « من لم تأمره صلاته بالمعروف ، وتنهه عن المنكر ، لم يزدد بصلاته من الله إلا بُعْداً » ﴿ ولَذِكْرُ اللَّهِ أكبرُ، واللَّهُ يعلمُ ما تصْنَعون ﴾ قال الزمخشري : أي : وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات ، وسماها بذكر الله . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « ولذكر الله إياكم برحمته ، أكبر من ذكركم إياه بطاعته » . [وروى الحافظ أبو بكر البزَّار رحمه الله قال : قال رجل للنبي ﷺ : إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق . قال ﷺ : (إنه سينهاه ما تقول) أخرجه البزار والإمام أحمد ـ ابن كثير].

وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ
إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ
إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ
وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ
ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ
بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ
ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ
يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

[٤٦] ﴿ ولا تُجادِلوا أهلَ الكتابِ إلاَّ بالتي هيَ أحسنُ ﴾ وهي اللين والأناة ﴿ إلاَّ الذين ظَلَموا منهُم ﴾ بالاعتداء بأن أفحشوا في المقال وأقذعوا في الجدال ، فلا حرج في مقابلتهم بالعنف ، لتنكبهم عن جادة اللطف ﴿ وقولوا آمنَّا بالذي أُنزِلَ إلَيْنا وأُنزِلَ إليْكُم ، وإلهُنا وإلهُكُم واحدٌ ، ونحنُ لهُ مُسلمون ﴾ مطيعون له خاصّة .

[٤٧] ﴿ وكذلكَ أنزلْنا إليكَ الكتابَ ﴾ مثل ذلك الإنزال ، أنزلنا إليك الكتاب ، أنزلناه مصدّقاً لسائر الكتب السماوية ﴿ فالذين آتيْناهُمُ الكتابَ ﴾ [من قبلك من بني اسرائيل] ﴿ يُؤْمنون بهِ ، ومنْ هؤلاءِ مَن يؤْمِنُ بِهِ ﴾ [كعبد الله بن سلام ومن آمن برسوله من بني إسرائيل] ﴿ وما يجحدُ بآياتِنا إلاَّ الكافِرون ﴾ [قال قتادة : إنما يكون الجحود بعد المعرفة ـ ابن جرير].

[٤٨] ﴿ وما كُنتَ تتلو منْ قَبْلِه منْ كتابٍ ولا تخُطُّهُ بيمينِكَ ﴾ فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لما يكفل سعادة الدارين في شرائعه وقضاياه ، على أميٍّ لم يُعرف بالقراءة والتعلم ، خارقٌ للعادة ﴿ إذاً لارتابَ المُبْطِلون ﴾ أي : لو كنت ممن يخط ويقرأ ، لقالوا : لعله تعلمه أو كتبه بيده من كتب مأثورة عن الأنبياء .

[٤٩] ﴿ بَلْ هوَ ﴾ القرآن ﴿ آياتٌ بيِّناتٌ في صُدورِ الذين أُوتوا العلمَ ﴾ العلماء به وحفّاظه ، وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الإعجاز ، وكونه محفوظاً في الصدور ، يتلوه أكثر الأمة ظاهراً ، بخلاف سائر الكتب ، فإنها لم تكن فيها معجزات ، وما كانت تُقرأ إلا من المصاحف ﴿ وما يَجحدُ بآياتِنا ﴾ وما يكفر بها ﴿ إلاَّ الظالِمُون ﴾ .

[٥٠] ﴿ وقالوا ﴾ كفار مكة ﴿ لَوْلا أُنْزِلَ عليهِ آياتٌ من ربِّه ﴾ يعنون ما كانوا يقترحونه في تعنتهم ﴿ قُلْ إنَّما الآياتُ عِندَ اللهِ ﴾ هو يملك إنزالها، ولو شاء لفعل ﴿ وإنَّما أنا نذيرٌ مُبينٌ ﴾ ليس من شأني إلا الإنذار وإبانته، لا الإتيان بما تقترحونه .

[٥١] ﴿ أَوَلَمْ يكْفِهم ﴾ آيةً مغنيةً عما اقترحوه ﴿ أنَّا أنزلنا عليكَ الكتابَ يُتْلى عليهم ﴾ وفيه نفسه من الآيات والمعجزات ما لا يرتاب معه إلا من سفه نفسه، وكابر حسه ﴿ إنَّ في ذلكَ ﴾ الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة بالغة ظاهرة ﴿ لَرَحمةً ﴾ لنعمة عظيمة في هدايته إلى الحق وإلى صراط مستقيم ﴿ وذِكْرى لقومٍ يُؤمنون ﴾ أي تذكرة لقوم همهم الإيمان دون التعنت [عن يحيى بن جعدة أن ناساً من المسلمين، أتوا نبي الله ﷺ بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود، فلما أن نظر فيها ألقاها ثم قال (كفى بها حماقة قوم ـ أو ضلالة قوم ـ أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم، الى ما جاء به غير نبيهم الى قوم غيرهم) فنزلت ـ ابن جرير].

[٥٢] ﴿ قُلْ كفى باللَّهِ بيْني وبيْنَكُم شهيداً ﴾ أي : إني قد بلغتكم ما أُرسلتُ به إليكم وأنذرتكم، وإنكم قابَلْتموني بالجحد والتكذيب، يعني : كفى علمه بذلك . وجوّز أن يكون المعنى : شهيداً بصدقي بالتأييد والحفظ ، فهو شاهد على ما جئت به ، مصدقٌ له تصديق الشاهد لدعوى المدعي . قال ابن كثير: أي فلو كنتُ غير محق لانتقم مني ﴿ يعلمُ ما في السمواتِ والأرضِ ﴾ فلا يخفى عليه حالي وحالكم ﴿ والذينَ آمَنوا بالباطِلِ وكفروا باللَّهِ أولئكَ هُمُ الخاسِرون ﴾ .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِالْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ الْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ
صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

[٥٣] ﴿ ويستعجلونكَ بالعذابِ ﴾ استهزاءً ﴿ ولَوْلا أجلٌ مُسمًّى ﴾ لكل عذاب أو قوم ، وهو وقته المعيّن له فيهما ﴿ لجاءهُمُ العذابُ ﴾ عاجلاً ﴿ ولَيَأْتِيَنَّهُم بغتةً ﴾ فجأة في الدنيا كوقعة بدر ، فقد كانوا لغرورهم لا يتوقعون غلبة المسلمين ، أو في الآخرة عند نزول الموت بهم ﴿ وهُم لا يَشعُرون ﴾ .

[٥٤] ﴿ يَسْتَعْجِلونَك بالعَذاب ﴾ وهو واقع بهم لا محالة ﴿ وإنَّ جهنَّمَ لَمُحيطَةٌ بالكافِرين ﴾ أي : ستحيط بهم ، أو هي كالمحيطة بهم ، لأن كل آتٍ قريب .

[٥٥] ﴿ يومَ يغشاهُمُ العذابُ منْ فوقِهِم ومنْ تحتِ أرجُلِهِم ويقولُ ذوقُوا ما كُنْتُم تعمَلون ﴾ أي : جزاءه .

[٥٦] ﴿ يا عبادِيَ الذينَ آمنوا إنَّ أرضي واسِعةٌ ﴾ [عن سعيد بن جبير قال : إذا عُمل فيها بالمعاصي ، فاخرج منها ـ ابن جرير] ﴿ فإيَّايَ فاعْبُدونِ ﴾ خطاب لمن لم تمكّنه عبادته تعالى وحده في أرضه لإيذائه في الله واضطهاده في جانبه ، أن يهاجر عنها إلى بلد ما ، يقدِّر أنه فيه أسلمُ قلباً ، وأصحُّ ديناً ، وآمن نفساً . وقد روى الإمام أحمد عن الزبير : قال : قال رسول الله ﷺ : (البلاد بلاد الله ، والعباد عباد الله ، فحيثما أصبت خيراً فأقم) .

[٥٧] ﴿ كُلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ ثُمَّ إلَيْنا تُرجَعون ﴾ تحريض على العبادة وإخلاص الدين بتذكير الموت والرجعى ، أو تسلية للمهاجر إلى الله ، وتشجيع له ، بأن لا يثبطه عن هجرته خوف الموت بسببها ، فلا المقام بأرضه يدفعه ، ولا هجرته عنه تمنعه .

[٥٨] ﴿ والذينَ آمَنوا وعمِلوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم ﴾ لننزلنهم ﴿ من الجَنَّةِ غُرَفاً ﴾ منازل رفيعة ﴿ تَجري من تحتِها الأنهارُ خالِدينَ فيها ، نِعْمَ أجرُ العامِلين ﴾ .

[٥٩] ﴿ الذينَ صَبَروا ﴾ على مفارقة الأوطان والهجرة لأجل الدين ، وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب ﴿ وعلى ربِّهِم يتوكَّلون ﴾ [قال ابن جرير: ثقة منهم بأن الله معل كلمته وموهن كيد الكافرين ، وأن ما قسم لهم من الرزق فلن يفوتهم] .

[٦٠] ﴿ وكأيِّنْ ﴾ وكم ﴿ منْ دابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَها ﴾ لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله ﴿ اللَّهُ يرزُقُها وإيَّاكُم ﴾ أي : يقيِّض لها رزقها على ضعفها ، ويرزقكم مع قوتكم واجتهادكم ، فهو الميسِّر والمسهِّل لكل مخلوق من رزقه ما يصلحه ، فلا يختص رزقه ببقعة دون أخرى ، بل خيره عامّ ، وفضله شامل لخلقه حيث كانوا وأنّى وُجدوا ﴿ وهوَ السَّميعُ العليمُ ﴾ . [٦١] ﴿ ولَئِنْ سألتَهُم ﴾ يعني هؤلاء المشركين ﴿ مَنْ خلقَ السَّمٰواتِ والأرضَ وسخَّرَ الشمسَ والقمرَ لَيَقولُنَّ اللَّهُ ﴾ اعترافاً بأنه المنفرد بخلقها ﴿ فأنَّى يُؤْفَكون ﴾ فكيف مع هذا الاعتراف يصرفون عن عبادته وحده .

[٦٢] ﴿ اللَّهُ يبسُطُ الرزقَ لمن يشاءُ مِن عبادِهِ ويقدِرُ لهُ ، إنَّ اللَّهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ ﴾ فيفعل بعلمه ما تقتضيه حِكمته .

[٦٣] ﴿ وَلَئِنْ سألتَهُم منْ نَزَّلَ منَ السَّماءِ ماءً فأحْيَى بِهِ الأرضَ مِنْ بعدِ مَوْتِها لَيَقولُنَّ اللَّهُ قُلِ الحمدُ للَّهِ ﴾ على أن جعل الحق بحيث لا يجترىء المبطلون على جحوده ؛ وأنه أظهر حجتك عليهم ﴿ بَلْ أكثرُهُم لا يَعقِلون ﴾ فلذلك يتناقضون حيث ينسبون النعمة إليه ، ويعبدون غيره .

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ
لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى
ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ
ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ
جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

ترتيبها ٣٠ — آياتها ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ
مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

[٦٤] ﴿ وما هذهِ الحياةُ الدُّنْيا إلاّ لهوٌ ولعِبٌ ﴾ إشارة إلى ازدراء الدنيا وتحقير شأنها ﴿ وإنَّ الدارَ الآخِرةَ لَهِيَ الحيوانُ ﴾ أي دار الحياة الخالدة ﴿ لَوْ كانوا يَعلَمُون ﴾ لم يؤثروا عليها الدنيا التي حياتها عارضة .

[٦٥] ﴿ فإذا رَكِبوا في الفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مخلِصينَ لهُ الدِّينَ ﴾ أي : الدعاء ، لعلمهم أنه لا ينجيهم من الغرق سواه ﴿ فلمّا نجّاهُم إلى البَرِّ إذا هُم يُشْرِكون ﴾ .

[٦٦] ﴿ لِيَكْفُروا بما آتيْناهُم ﴾ أي من نعمة النجاة وربح التجارة ﴿ ولِيَتمتَّعوا فسوْفَ يَعلَمون ﴾ عاقبة ذلك حين يعاقبون .

[٦٧] ﴿ أوَلَمْ يَرَوْا ﴾ أي أهل مكة ﴿ أنَّا جعلنا حَرَماً آمِناً ﴾ لا يُغزى أهله ولا يُغار عليهم مع قلّتهم وكثرة العرب ﴿ ويُتَخَطَّفُ النَّاسُ من حولِهِم ﴾ أي : يُختلسون قتلاً ونهباً وسبياً ﴿ أفَبالباطِلِ يُؤمِنون وبنعمةِ اللَّهِ يَكْفُرون ﴾ أي : أفبعد هذه النعمة الظاهرة وغيرها من النعم ، التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى ، يكفرون خيره ، ويشركون معه غيره ؟

ربع الحزب ٤١

[٦٨] ﴿ ومَنْ أظلَمُ مِمَّنِ افترى على الله كَذِباً ﴾ بأن زعم أن له شريكاً ﴿ أوْ كذَّبَ بالحقِّ لمَّا جاءَهُ ﴾ يعني الرسول أو الكتاب ﴿ أَلَيْسَ في جهنَّمَ مثْوى للكافِرين ﴾ أي موضع إقامة ، جزاء افترائهم وكفرهم .

[٦٩] ﴿ والذين جاهَدوا فِينا ﴾ أي جاهدوا النفس والشيطان والهوى وأعداء الدين من أجلنا ولوجهنا ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنا ﴾ أي سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا ، وذلك بالطاعات والمجاهدات ﴿ وإنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسِنين ﴾ فمن أحسن عمله نصره الله وأعانه .

[سورة الروم]

سميت بالروم لاشتمالها قصة غلبة الروم على الفرس ، وفي ذلك للمؤمنين فرحٌ عظيمٌ ، فتبطل شماتة أعدائهم ، وتدل على أن عاقبة الأمر لهم ، وهي مكية . وعدد آياتها ستون آية .

[١] ﴿ الٓمٓ ﴾ تُقرأ : ألف ، لام ، ميم . وقد سبق الكلام عنها في أول سورة البقرة . [٢] ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ . [٣] ﴿ في أدْنى الأرضِ ﴾ أي أقربها منهم وهي أطراف الشام ﴿ وهُمْ مِن بعدِ غَلَبِهِم سيغلِبُون ﴾ . [٤] ﴿ في بِضْعِ سِنين ﴾ فلم يمضِ من البضع ـ وهو ما بين الثلاث إلى التسع ـ سبعُ سنين إلا وقد نظم هرقل الجنود الروم وغزا بهم بلاد فارس أي قبل الهجرة بسنة فدوَّخها واضطر ملكها للهرب ﴿ لِلَّهِ الأمْرُ مِن قَبْلُ ﴾ أي من قبل غلبة الروم ﴿ ومِنْ بَعْدُ ﴾ أن كلاً من كونهم مغلوبين أولاً ، وغالبين آخراً ، ليس إلا بأمره وقضائه وعلمه ومشيئته ﴿ ويومئِذٍ ﴾ أي : يوم يغلب الروم على فارس ، ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم ﴿ يفرحُ المؤمنون ﴾ . [٥] ﴿ بنصْرِ اللَّهِ ﴾ أي : تغليبه من لَهُ كتاب على من لا كتاب له ، وغيظ من شمت بهم من كفار مكة ، وكان بعض كفار مكة قد راهن أبا بكر على مائة ناقة إن انتصر الروم على الفرس إنكاراً لنبأ القرآن ﴿ يَنصُرُ مَن يشاءُ ﴾ من عباده على عدوه ﴿ وهو العزيزُ ﴾ القاهر الغالب على أمره ، لا يعجزه من شاء نصره ﴿ الرحيمُ ﴾ في نصره وتغليبه من يشاء .

وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾
أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ
أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ
ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ
شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿ وَعْدَ اللَّهِ ، لا يُخْلِفُ اللَّهُ وعدَهُ ، ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلَمون ﴾ أي بحكمته تعالى في كونه وأفعاله المحكمة الجارية على وفق العدل لجهلهم وعدم تفكرهم .

[٧] ﴿ يعلَمون ظاهِراً من الحياةِ الدُّنْيا ﴾ وهو ما يوافق شهواتهم وأهواءهم [عن ابن عباس قال : يعني معايشهم ، متى يحصدون ومتى يغرسون ـ ابن جرير] . ﴿ وهُم عنِ الآخِرَةِ ﴾ التي هي المطلب الأعلى ﴿ هُمْ غافِلون ﴾ لا يُخطرونها ببالهم ، فهم جاهلون بها تاركون لعملها .

[٨] ﴿ أَوَلَمْ يتفكَّرُوا في أنفسِهِم ﴾ المعنى : حثهم على النظر في ذواتهم وما اشتملت عليه من بديع الصنع ﴿ ما خلقَ اللَّهُ السَّمٰواتِ والأرضَ وما بينَهُما إلاّ بالحقِّ ﴾ ما خلقها باطلاً ولا عبثاً بغير حكمة بالغة ، ولا لتبقى خالدة ، وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة به ﴿ وأجَلٍ مُسمًّى ﴾ لابد لها من أن تنتهي إليه ، وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ﴿ وإنَّ كثيراً منَ الناسِ بلقاءِ ربِّهِم لَكافِرون ﴾ .

[٩] ﴿ أَوَلَمْ يسيروا في الأرضِ فينظُروا كيفَ كانَ عاقبةُ الذينَ مِنْ قبلِهِم ، كانوا أشدَّ منهُم قوَّةً وأثارُوا الأرضَ ﴾ أي قلبوها للزراعة واستخراج المعادن وغيرهما مما كانوا أرقى فيه من أهل مكة ﴿ وعمَروها أكثرَ ممّا عمَروها ﴾ بالأبنية المشيدة والصناعات الفريدة ، ووفرة العَدد والعُدد ، وتنظيم الجيوش والتزين بزخارف أعجبوا بها ، واستطالوا بأبهتها ، ففسدت ملكتهم وطغت شهواتهم حتى اقتضت حكمته تعالى إنذارهم ﴿ وجاءتْهُم رُسُلُهُم بالبيِّناتِ ﴾ بالآيات الواضحات على أحقية ما يدعونهم إليه ﴿ فما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُم ولكنْ كانوا أنفسَهُم يَظْلِمون ﴾ ما كان الله ليهلكهم من غير جرم منهم ، أي : فكذَّبوهم فأهلكهم .

[١٠] ﴿ ثُمَّ كانَ عاقبةَ الذينَ أساؤُوا ﴾ أي عملوا السيئات ﴿ السُّوءَى ﴾ العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي جهنم ، و« السُّوءَى » تأنيث « الأسوأ » وهو الأقبح ، كما أن « الحُسْنى » تأنيث « الأحسن » ﴿ أنْ ﴾ أي : لأن ﴿ كذَّبوا بآياتِ اللَّهِ وكانوا بِها يستهزئُون ﴾ .

[١١] ﴿ اللَّهُ يبدأُ الخَلْقَ ثمَّ يُعيدُهُ ﴾ بعد الموت بالبعث ﴿ ثمَّ إليهِ تُرجَعون ﴾ إلى موقف الحساب والجزاء .

[١٢] ﴿ ويومَ تقومُ السَّاعةُ يُبْلِسُ المجرِمون ﴾ أي : يسكتون متحيرين يائسين ، يقال : أبلس إذا سكت وانقطعت حجته [قال ابن زيد : المبلس الذي قد نزل به الشر، إذا أبلس الرجل فقد نزل به بلاء ـ ابن جرير] .

[١٣] ﴿ ولَمْ يكُنْ لهُم مِن شُركائِهِم شُفَعاءُ ﴾ يجيرونهم من عذاب الله كما كانوا يزعمون ﴿ وكانوا بشركائِهِم كافِرين ﴾ أي : بإلهيتهم وشركهم لله تعالى ، حيث وقفوا على كنه أمرهم .

[١٤] ﴿ ويومَ تقومُ الساعةُ يومئِذٍ يتفرَّقون ﴾ أي : يتميز المؤمنون والكافرون في المحالّ والأحوال [عن قتادة قال : فرقة والله لا اجتماع بعدها ـ ابن جرير] . [١٥] ﴿ فأمَّا الذينَ آمنوا وعمِلوا الصَّالحاتِ فهُم في رَوْضَةٍ يُحْبَرون ﴾ أي : يسرُّون [ويلذذون بالسماع وطيب العيش الهني . . وعن يحيى ابن أبي كثير في قوله ﴿يحبرون﴾ قال : السماع في الجنة ـ ابن جرير] .

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ
تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

[١٦] ﴿ وأمَّا الذينَ كفروا وكذَّبوا بآياتِنا ولقاءِ الآخِرةِ فأولئكَ في العذابِ مُحْضَرون ﴾ أي : لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم . [قال ابن جرير: وأما الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسله وأنكروا البعث بعد الممات والنشور للدار الآخرة، فأولئك في عذاب الله محضرون، وقد أحضرهم الله إياها، فجمعهم فيها ليذوقوا العذاب الذي كانوا في الدنيا يكذبون] .

[١٧] ﴿ فسُبْحانَ اللَّهِ حينَ تُمْسون وحينَ تُصْبِحون ﴾ [في الحديث : (ألا أخبركم لم سمي إبراهيم الذي وفَّى ، لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى : سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون) ـ ابن كثير] .

[١٨] ﴿ ولهُ الحمدُ في السَّمٰواتِ والأرضِ وعَشِيّاً وحينَ تُظْهِرون ﴾ فسبِّحوه تسبيحاً دائماً ، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن الآية جامعة للصلوات الخمس ، ﴿ تمسون ﴾ : صلاة المغرب والعشاء ، ﴿ تصبحون ﴾ : صلاة الفجر ، و ﴿ عشياً ﴾ : صلاة العصر ، و ﴿ تظهرون ﴾ صلاة الظهر » .

[١٩] ﴿ يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ﴾ كالإنسان من النطفة ، والطائر من البيضة ﴿ ويُخرِجُ الميِّتَ من الحَيِّ ﴾ [عن عبد الله ـ ابن مسعود ـ قال : النطفة ماء الرجل ميتة وهو حي ، ويخرج الرجل منها حياً وهي ميتة ـ ابن جرير] ﴿ ويُحْيِي الأرضَ ﴾ بالنبات ﴿ بعدَ مَوْتِها ﴾ أي : يبسها ﴿ وكذلكَ ﴾ ومثل ذلك الإخراج ﴿ تُخْرَجون ﴾ من قبوركم .

[٢٠] ﴿ ومِن آياتِه ﴾ الباهرة الدالة على قدرته على البعث ﴿ أنْ خلَقَكُم من تُرابٍ ﴾ يعني أصلكم آدم عليه السلام ، أو النطفة والمادة ﴿ ثُمَّ إذا أنتُمْ بَشَرٌ تنتشِرون ﴾ في الأرض انتشاراً ملأ البسيطة وشمل الكرة ، فأخذتم في بناء المدائن والحصون ، والسفر في أقطار الأقاليم ، وركوب متن البحار ، والدوران حول كرة الأرض ، وكسب الأموال وجمعها .

[٢١] ﴿ ومِن آياتِه أنْ خلقَ لكُم مِن أنفُسِكُمْ ﴾ أي : جنسكم ﴿ أزْواجاً لتسكُنوا إليها ﴾ لتأنسوا بها ﴿ وجعلَ بينكُم مودَّةً ورحمةً ﴾ تواداً وتراحماً بعصمة الزواج بعد أن لم يكن لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم ﴿ إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكَّرون ﴾ في بدائع هذه الأفاعيل المتينة المبنية على الحِكَم البالغة .

[٢٢] ﴿ ومِن آياتِه خلْقُ السَّمواتِ والأرضِ واختلافُ ألسنتِكُم وألوانِكُم إنَّ في ذلك لآياتٍ للعالِمين ﴾ أي : أولي العلم .

[٢٣] ﴿ ومِنْ آياتِه مَنامُكُمْ باللَّيل والنَّهارِ ﴾ لاستراحة القوى وردّ ما فقدته ﴿ وابتِغاؤُكُمْ من فَضْلِه ﴾ بالسعي في الأسباب والأخذ في فضل الاكتساب ﴿ إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يسمَعون ﴾ [مواعظ الله] سماع تفهم واستبصار.

[٢٤] ﴿ ومِن آياتِه يُريكُمُ البرْقَ خوفاً ﴾ من الصاعقة [إذا كنتم سفراً] ﴿ وطَمَعاً ﴾ في الغيث والرحمة [إذا كنتم في إقامة] . أو: لتخافوا من قهر سلطانه وتطمعوا في عظم إحسانه ﴿ ويُنزِّلُ مِنَ السماءِ ماءً فيُحْيي بِه الأرضَ ﴾ بالنبات ﴿ بعْدَ مَوْتِها ﴾ بعد يبسها ﴿ إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقِلون ﴾ .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى
مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى
مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

[٢٥] ﴿ ومن آياته أن تقومَ السماءُ والأرضُ بأمرِه ﴾ أي : إرادته لقيامها ﴿ ثُمَّ إذا دعاكُم دعوةً مِنَ الأرضِ إذا أنتُم تخرُجون ﴾ أي بعد انقضاء الأجل من الأرض وأنتم في قبوركم .

[٢٦] ﴿ ولَهُ مَنْ في السَّمٰواتِ والأرضِ ﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً ﴿ كُلٌّ لهُ قانِتون ﴾ منقادون لتصرفه لا يتأبون عليه .

[٢٧] ﴿ وهُوَ الذي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثمَّ يُعيدُهُ ﴾ بعد موتهم ، والتكرار لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده ﴿ وهُوَ أهونُ عليْهِ ﴾ من البدء ، أي : بالقياس إلى ما يقتضيه معقول المخاطَبين ، لأن من أعاد منهم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها ، وإلاّ فهما عليه سبحانه سواء في السهولة ﴿ ولهُ المَثَلُ الأعلى في السَّمٰواتِ والأرضِ ﴾ أي : الوصف الأعلى الذي ليس لغيره ما يدانيه فيها كالقدرة العامة والحكمة التامة ﴿ وهوَ العزيزُ ﴾ الغالب على أمره الذي لا يعجزه بدء ممكن وإعادته ﴿ الحكيمُ ﴾ الذي يجري أفعاله على سنن الحكمة والمصلحة .

نصف الحزب ٤١

[٢٨] ﴿ ضربَ لكُم مَثَلاً ﴾ يتبين به بطلان الشرك ﴿ مِن أنفُسِكُم ﴾ أي منتزعاً من أحوالها وهي أقرب الأمور إليكم وأظهر كشفاً ﴿ هلْ لكُم مِن ما ملَكَتْ أيمانُكُم ﴾ من العبيد والإماء ﴿ من شُركاءَ فيما رزقناكُم ﴾ من الأموال وغيرها ﴿ فأنتُم فيهِ سَواءٌ ﴾ متساوون في التصرف فيما ذكر من غير مزية ﴿ تخافونَهُم ﴾ تهابون أن تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم ﴿ كخِيفَتِكُم أنفسَكُم ﴾ كما يخاف بعضكم بعضاً من الأحرار المساهمين لكم فيما ذكر . والمعنى نفي مضمون ما فصّل من الجملة الاستفهامية ، أي : لا ترضون بأن يشارككم فيما هو معار لكم مماليككم وهم أمثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى ، فكيف تشركون به سبحانه في العبودية التي هي من خصائصه الذاتية ، تعبدون ما تصنعونه بأيديكم ؟ ﴿ كذلك نفصِّلُ الآياتِ ﴾ أي : مثل ذلك التفصيل الواضح ، نوضح الآيات ﴿ لقومٍ يعقِلون ﴾ .

[٢٩] ﴿ بلِ اتَّبَعَ الذين ظلموا أهواءَهُم بغيرِ عِلْمٍ ﴾ بغير يقين وبرهان ﴿ فمَنْ يهدي مَنْ أضلَّ اللَّهُ ﴾ لا يقدر على هدايته أحد ﴿ وما لهُم من ناصِرين ﴾ ينصرونهم من الله ، إذا أراد بهم عذاباً .

[٣٠] ﴿ فأَقِمْ وجهَكَ للدِّينِ ﴾ أي : فقوِّمه له واجعله مستقيماً متوجهاً له ﴿ حنيفاً ﴾ مائلاً عن كل ما سواه ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ التي فَطَرَ الناسَ عليها ﴾ لأن عقل كل واحد يدل على أنه حادث يفتقر إلى محدث ، ولا دلالة على الافتقار إلى متعدد أبداً ، فالقول بتعدده تغيير للفطرة ﴿ لا تبديلَ لخَلْقِ اللَّهِ ﴾ لا تغيير لأمر العقل الذي خلقه الله للاستدلال ﴿ ذلك ﴾ الدِّين المأمور بإقامة الوجه له أو الفطرة ﴿ الدِّينُ القَيِّمُ ﴾ الذي لا عوج فيه ﴿ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلَمونَ ﴾ . [٣١] ﴿ مُنِيبين إليهِ ﴾ راجعين إليه بالتوبة والإنابة ﴿ واتَّقوهُ وأَقيموا الصَّلاةَ ولا تكونوا مِنَ المُشْرِكين ﴾ .

[٣٢] ﴿ مِنَ الذينَ فرَّقوا دينَهُم ﴾ جعلوه أدياناً مختلفة لاختلاف أهوائهم ﴿ وكانوا شِيَعاً ﴾ أي فِرَقاً ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بما لديهِم فَرِحون ﴾ كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور ، يحسب باطله حقاً .

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا
ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا
لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

[٣٣] ﴿ وإذا مَسَّ الناسَ ضُرٌّ ﴾ أي شدَّةٌ ﴿ دعَوْا ربَّهُم مُنِيبين إليهِ ﴾ راجعين إليه وحده دون شركائهم ﴿ ثُمَّ إذا أذاقَهُم منهُ رحمةً ﴾ أي خلاصاً من تلك الشدة ﴿ إذا فريقٌ منهُم بربِّهِم يُشرِكون ﴾ .

[٣٤] ﴿ ليَكْفُروا بما آتيناهُم ﴾ بالسبب الذي آتيناهم الرحمة من أجله وهو الإنابة ﴿ فتمتَّعوا فسوفَ تعلَمون ﴾ عاقبةَ تمتعكم ووباله .

[٣٥] ﴿ أَمْ أنزلنا عليهِم سُلطاناً ﴾ أي : حجة واضحة قاهرة ﴿ فهُوَ يتكلَّمُ ﴾ تكلم دلالة ﴿ بما كانوا بهِ يُشرِكون ﴾ أي : بإشراكهم ، وهذا استفهام إنكاري ، أي : لم يكن شيء من ذلك .

[٣٦] ﴿ وإذا أذَقْنا الناسَ رحمةً ﴾ أي : نعمة من صحة وسعة ﴿ فَرِحوا بها ﴾ بطراً وفخراً ، لا حمداً وشكراً ﴿ وإنْ تُصِبْهُم سيِّئَةٌ ﴾ شدَّة ﴿ بما قدَّمت أيديهِم ﴾ من المعاصي والآثام ﴿ إذا هُم يَقْنَطون ﴾ ييأسون من روح الله ، وفي الصحيح : (عجباً للمؤمن ، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته سرَّاء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له) .

[٣٧] ﴿ أَوَلَمْ يرَوْا أنَّ اللَّهَ يبْسُطُ الرِّزقَ لمن يشاءُ ويقدِرُ ، إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤْمِنون ﴾ [قال ابن جرير: إن في بسطه ذلك على من بسطه عليه ، وقدره على من قدره عليه ، ومخالفته بين من خالف بينه من عباده في الغنى والفقر لدلالة واضحة لمن صدّق حجج الله وأقر بها إذا عاينها ورآها] .

[٣٨] ﴿ فآتِ ذا القُرْبى حَقَّهُ ﴾ من البر والصلة . واستدل به أبو حنيفة على وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب ﴿ والمِسْكينَ ﴾ الذي لا شيء له ينفق عليه ، أو له شيء لا يقوم بكفايته ﴿ وَابْنَ السَّبيلِ ﴾ أي السائل فيه ، والذي انقطع به ، وحقهما هو نصيبهما من الصدقة والمواساة ﴿ ذلك خيْرٌ للذين يُريدون وجهَ اللَّهِ ﴾ النظر إليه يوم القيامة ، وهو الغاية القصوى ، أو يريدون ذاته بمعروفهم لا رياءً ولا سمعةً ولا مكافأةَ يد ﴿ وأولئِكَ هُمُ المُفْلِحون ﴾ في الدنيا والآخرة .

[٣٩] ﴿ وما آتَيْتُم مِنْ رِباً ﴾ أي من مال ترابون فيه ﴿ لِيَرْبُوَ في أموالِ النَّاسِ ﴾ أي ليزيد في أموالهم ، إذ تأخذون فيه أكثر منه ﴿ فلا يَرْبُو عندَ اللَّهِ ﴾ أي لا يزكو ولا ينمو ولا يبارك فيه ، بل يمحقه محق ما لا عاقبة له عنده إلا الوبال والنكال ﴿ وما آتَيْتُم مِن زكاةٍ ﴾ أي مال تتزكون به من رجس الشحّ ودنس البخل ﴿ تُريدون وجهَ اللَّهِ فأولئِكَ هُمُ المُضْعِفون ﴾ أي ذوو الأضعاف من الثواب .

[٤٠] ﴿ اللَّهُ الذي خلقكُم ثمَّ رزقكُم ثمّ يُميتُكُم ثمّ يُحْيِيكم ، هَلْ مِن شُرَكائكُم مَنْ يفعلُ من ذلِكُمْ مِن شيءٍ ، سُبحانَهُ وتعالى عَمَّا يُشرِكون ﴾ أثبت له تعالى لوازم الألوهية ، ونفاها رأساً عما اتخذوه شركاء له من الأصنام وغيرها ، وفي ذلك تقديس له عن الشريك .

[٤١] ﴿ ظهرَ الفَسادُ في البرِّ والبحرِ ﴾ أي : كَثُرَت المضارُّ والمعاصي على وجه الأرض وعلى ظهر السفن في لجج البحر ﴿ بما كسبَتْ أيْدي النَّاسِ ﴾ من الآثام والموبقات ففشا الفساد وانتشرت عدواه وتوارثه جيل عن جيل أينما حلوا وحيثما ساروا ﴿ ليُذيقَهُم بعضَ الذي عمِلوا لعلَّهُم يَرجِعون ﴾ أي : ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم لعلهم يرجعون عما هم عليه .

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

[٤٢] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك ﴿ سِيروا في الأرضِ فانظُروا كيفَ كانَ عاقبةُ الذين مِن قَبْلُ ، كان أكثرُهُم مُشرِكين ﴾ فأذاقهم الله سبحانه سوء العاقبة لشركهم المستتبع لكل إثم وعصيان .

[٤٣] ﴿ فأَقِمْ وجهَكَ للدِّينِ القَيِّمِ من قَبْلِ أنْ يأتِيَ يومٌ لا مَرَدَّ لهُ ﴾ لا يقدر أحد على رده ﴿ مِنَ اللَّهِ ، يومئِذٍ يَصَّدَّعون ﴾ يتفرقون كالفراش المبثوث ، أو فريق في الجنة وفريق في السعير .

[٤٤] ﴿ مَنْ كفرَ فعليهِ كُفْرُه ﴾ أي وبال كفره ﴿ ومَنْ عَمِلَ صالِحاً فلأنفُسِهم يَمْهَدون ﴾ يسوُّون منزلاً في الجنة ، أي : يوطئونه توطئة الفراش لمن يريد الراحة عليه [وعن مجاهد قال : يسوون المضاجع . . . في القبر ـ ابن جرير] .

[٤٥] ﴿ ليجزِيَ الذينَ آمَنوا وعمِلوا الصَّالحاتِ مِن فضلِهِ ﴾ [الذي وعد من أطاعه في الدنيا أن يجزيه يوم القيامة ـ ابن جرير] ﴿ إنَّهُ لا يُحِبُّ الكافِرين ﴾ .

[٤٦] ﴿ ومِن آياتِهِ أنْ يُرسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ ﴾ بالمطر ﴿ وليُذيقَكُم مِن رحمتِهِ ولتجريَ الفُلْكُ بأمرِه ﴾ أي في البحر عند هبوبها ﴿ ولتبتَغوا من فضلِه ﴾ بتجارة البحر ﴿ ولعلَّكُم تشكُرون ﴾ ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر .

[٤٧] ﴿ ولَقَدْ أرسلْنا مِن قبلِكَ رُسُلاً إلى قَوْمِهِم فجاؤُوهُم بالبيِّناتِ فانتقَمْنا مِن الذين أجرَموا وكانَ حقًّا علينا نصرُ المؤمنين ﴾ هذه تسلية للنبي ﷺ بمن قبله على وجه يتضمن الوعد له ، والوعيد لمن عصاه . [عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من امرىء مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة) ثم تلا هذه الآية : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾أخرجه ابن أبي حاتم ـ ابن كثير] .

[٤٨] ﴿ اللَّهُ الذي يُرسِلُ الرِّياحَ فتُثيرُ سَحاباً فيَبْسُطُه في السَّماءِ كيفَ يشاءُ ﴾ إما سائراً وواقفاً ، مطبقاً وغير مطبق ، من جانب دون جانب ، إلى غير ذلك ﴿ ويجعلُهُ كِسَفاً ﴾ قِطَعاً تارة أخرى ﴿ فترى الوَدْقَ ﴾ أي المطر ﴿ يخرُجُ من خلالِه ، فإذا أصابَ بهِ مَنْ يشاءُ من عبادِهِ إذا هُمْ يَستَبْشِرون ﴾ .

[٤٩] ﴿ وإنْ كانوا مِن قبْلِ أنْ يُنَزَّلَ عليهِم ﴾ المطر ﴿ مِن قَبْلِهِ لَمُبْلِسين ﴾ لآيسين . قال ابن كثير : إن هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا قانطين من نزول المطر إليهم ، فلما جاءهم ، جاءهم على فاقة فوقع منهم موقعاً عظيماً ، فبعدما كانت أرضهم مقشعرة هامدة ، أصبحت وقد اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج ، ولهذا قال تعالى ﴿إن ذلك لمحيي الموتى﴾ قال ابن عطية : إنه يدل على سرعة تقلب القلوب البشرية من الإبلاس إلى الاستبشار .

[٥٠] ﴿فانظُر إلى آثارِ رحمةِ اللهِ﴾ أي أثر الغيث والنبات والأشجار والحبوب والثمار ﴿كيفَ يُحْيِي الأرضَ بعدَ مَوْتِها ، إنَّ ذلك﴾ أي العظيم الشأن الذي ذكر بعض شؤونه ﴿لَمُحْيِي الموْتى ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ . [قال ابن جرير: إن الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث لمحيي الموتى من بعد مماتهم ، وهو على كل شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير] .

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

[٥١] ﴿ ولئِنْ أرسلْنا رِيحاً ﴾ على الزرع ﴿ فرأَوْهُ مُصْفَرّاً ﴾ من تأثيرها فيه ﴿ لظلُّوا مِن بعدِه يَكفُرون ﴾ يجحدون ما تقدم إليهم من النعم ، أو يقنطون ولا يصبرون على بلائه .

ثلاثة أرباع الحزب ٤١

[٥٢] ﴿ فإنَّكَ لا تُسْمِعُ الموْتى ﴾ شبَّهَهُم بالموتى لانسداد مشاعرهم عن الحق ﴿ ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا ولَّوْا مُدْبِرين ﴾ والتنبيه على أنهم جامعون لخصلتَيْ السوء : نُبوِّ أسماعهم عن الحق ، وإعراضهم عن الإصغاء إليه ، ولو كان فيهم إحداهما ، لكفاهم ذلك ، فكيف وقد جمعوهما ؟

[٥٣] ﴿ وما أنتَ بهادِ العُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهم ، إنْ تُسْمِعُ ﴾ أي : ما تسمع ﴿ إلاّ مَن يُؤْمِنُ بآياتِنا فهُم مُسْلِمون ﴾ منقادون لما تأمرهم به من الحق .

[٥٤] ﴿ اللَّهُ الذي خلَقَكُم مِنْ ضَعْفٍ ﴾ أي : من أصلٍ ضعيف هو النطفة ﴿ ثمَّ جعلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ ﴾ يعني حال الطفولة والنشء ﴿ قوّةً ﴾ يعني : حال البلوغ والشبيبة إلى الاكتهال وبلوغ الأشُدّ ﴿ ثمَّ جعلَ مِن بعدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وشَيْبَةً ﴾ أي بالشيخوخة والهرم ﴿ يخلقُ ما يشاءُ ﴾ من الأشياء ، ومنها هذه الأطوار التي يتقلَّب فيها الإنسان ﴿ وهوَ العليمُ القديرُ ﴾الواسع العلم والقدرة .

[٥٥] ﴿ ويومَ تقومُ السَّاعةُ يُقْسِمُ المجرِمون ما لَبِثوا غيرَ ساعةٍ ﴾أي : في الدنيا أو القبور ، وإنما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له ، أو ينسون أو يكذبون أو يخمِّنون ﴿ كذلكَ كانوا يُؤْفَكون ﴾ أي : كذلك حالهم في الآخرة من الكذب والتمادي في الباطل كما كانت حالهم في الدنيا ، وهكذا كانوا يبتون أمرهم على خلاف الحق .

[٥٦] ﴿ وقالَ الذين أُوتُوا العِلْمَ والإيمانَ ﴾ ردًّا لما حلفوا عليه ، وإطلاعاً لهم على الحقيقة ﴿لقد لبثتم في كتاب الله﴾ أي : فيما كتبه الله وأوجبه بحكمته ﴿ إلى يومِ البَعْثِ ، فهذا يومُ البعثِ ، ولكنَّكُم كنتُم لا تعلَمون ﴾ أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه .

[٥٧] ﴿ فيومئِذٍ لا ينفَعُ الذينَ ظَلَموا ﴾ بالشرك ، أو إنكار الربوبية ، أو الرسالة ، أو شيء مما يجب الإيمان به ﴿ معذِرتُهُم ﴾بأنهم كفروا عن جهل ، لأنه إنما كان عن تقصيرهم في إزالته ، أو عن عناد ﴿ ولا هُم يُسْتَعْتَبُون ﴾ ويطلب منهم الإعتاب . أي : إزالة العتب بالتوبة والطاعة ، لأنهما ، وإن كانتا ماحيتين للكفر والمعاصي ، فإنما كان لهما ذلك في مدة الحياة الدنيا ، لا غير .

[٥٨] ﴿ ولقد ضرَبْنا للنَّاسِ في هذا القُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ أي من كل وصف يوضح الحق ويزيل اللَّبْس ، أو من كل دليل على الأمور الأخروية ﴿ ولئِنْ جئْتَهُم بآيَةٍ ﴾ مما اقترحوه أو غيرها ﴿ ليقولَنَّ الذين كفروا إنْ أنتُم إلاَّ مُبْطِلون ﴾ أي : لا يؤمنون بها ، ويعتقدون أنها سحر وباطل .

[٥٩] ﴿ كذلكَ يَطبَعُ اللَّهُ على قلوبِ الذين لا يعلَمون ﴾ أي : لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق ، بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترّهات ابتدعوها ، فإن الجهل المركَّب يمنع إدراك الحق ، ويوجب تكذيب المحق . [٦٠] ﴿ فاصْبِرْ ﴾على ما تشاهد منهم من الأقوال الباطلة والأفعال السيئة ﴿ إنَّ وعْدَ اللَّهِ حقٌّ ، ولا يستَخِفَّنَّك ﴾ لا يحملنك على الخفة والقلق ﴿ الذين لا يُوقِنون ﴾ بما تتلو عليهم من الآيات البيِّنات .

سُورَةُ لُقْمَانَ

ترتيبها ٣١ — آياتها ٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا
خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

[سورة لقمان]

سميت بلقمان لاشتمالها على قصته التي تضمنت فضيلة الحكمة ، وسر معرفة الله تعالى وصفاته ، وذم الشرك والأمر بالأخلاق والأفعال الحميدة والنهي عن الذميمة . وهي مكية ، ويقال إلا قوله تعالى : ﴿ ولَوْ أنَّ ما في الأرضِ مِن شَجَرَةٍ . . . ﴾ الآيتين . وعدد آياتها أربع وثلاثون آية .

[١] ﴿ الٓمٓ ﴾ تقرأ هذه الأحرف : ألف ، لام ، ميم . وقد سبق ذكرها في مطلع سورة البقرة .

[٢] ﴿ تلكَ آياتُ الكتابِ الحكيمِ ﴾ ذي الحكمة الناطق بها .

[٣] ﴿ هُدًى ورحمةً للمُحْسِنين ﴾ [الذين أحسنوا العمل بما أنزل الله في هذا القرآن] .

[٤] ﴿ الذين يُقيمون الصَّلاة ويُؤْتون الزَّكاةَ وهُم بالآخِرةِ هُم يوقِنون ﴾ بيان لإحسانهم ، يعني ما عملوه من الحسنات ، أو تخصيص لهذه الثلاثة من شُعَبِه ، لإظهار فضلها على غيرها ، والمراد بالزكاة مطلق إخراج المال تقرُّباً بالتصدق منه ، وتزكية للنفس بإيتائه من وصمة البخل والشح المردي لها .

[٥] ﴿ أولئِكَ على هُدًى من ربِّهم ، وأولئِكَ هُمُ المُفْلِحون ﴾ .

[٦] ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يشْتري لَهْوَ الحديثِ ليُضِلَّ عن سبيلِ اللَّهِ ﴾ تعريض بالمشركين ، وإنهم يستبدلون بهذا الكتاب المفيد الهدى والرحمة والحكمة ، ما يُلهي من الحديث عن ذلك الكتاب العظيم ، ليضلُّوا أتباعهم عن الدين الحق ، و« اللهو » كل باطل ألهى عن الخير ﴿ بغير علم ﴾ أي : بما هي الكمالات ومنافعها ، والنقائص ومضارُّها ﴿ ويتَّخِذَها هُزُواً ﴾ الضمير للسبيل ﴿ أولئك لهُم عذابٌ مُهِينٌ ﴾ .

[٧] ﴿ وإذا تُتْلى عليه آياتُنا وَلَّى ﴾ أعرض عنها ﴿ مُستكْبِراً كأنْ لمْ يسْمَعْها كأنَّ في أُذُنَيْهِ وَقْراً ﴾ أي : ثقلاً مانعاً عن السماع ﴿ فبشِّرْهُ بعذابٍ أليمٍ ﴾ .

[٨] ﴿ إنَّ الذينَ آمنوا وعمِلوا الصَّالِحاتِ لهُم جنَّاتُ النَّعيمِ ﴾ .

[٩] ﴿ خالِدينَ فيها ، وَعْدَ اللَّهِ حقًّا ، وهُوَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ .

[١٠] ﴿ خلقَ السَّمٰواتِ بغيرِ عَمَدٍ ترَوْنَها ﴾ الضمير للسَّمٰوات ، يعني : أنه عمَّدها بعُمَدٍ لا تُرى ، وهي إمساكها بقدرته ﴿ وألْقى في الأرضِ رواسِيَ ﴾ أي جبالاً ثوابت ﴿ أنْ تميدَ بكُم ﴾ تميل بكم فتُهلكُكم لما فيَ جوفها من قوَّة الجيشان ﴿ وبثَّ فيها مِنْ كلِّ دابَّةٍ ﴾ أي من كل نوع من أنواعها ﴿ وأنزلْنا ﴾ لحفظكم وحفظ دوابِّكم ، وللرفق بكم وبدوابكم ﴿ مِنَ السَّماءِ ماءً فأنبتْنا فيها من كلِّ زَوْجٍ ﴾ من كل صنف من الأغذية والأدوية ﴿ كريمٍ ﴾ كثير المنافع .

[١١] ﴿ هذا ﴾ أي ما ذكر من السَّمٰوات والأرض وما يتعلق بهما من الأمور المعدودة ﴿ خَلْقُ اللَّهِ ﴾ أي : مخلوقة ﴿ فأرُوني ماذا خلَقَ الذينَ مِن دونِهِ ﴾ مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه في العبادة ﴿ بَلِ الظَّالِمون في ضلالٍ مُبينٍ ﴾ الضلال البيِّن المستدعي للإعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة ، لاستحالة أن يفهموا منها شيئاً ، فيهتدوا به إلى العلم ببطلان ما هم عليه ، وظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

[١٢] ﴿ ولقَدْ آتيْنا لُقْمانَ الحِكمةَ ﴾ اختلف السلف في لقمان ، هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوَّة ، على قولين ، الأكثرون على الثاني ﴿ أنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ على ما أعطاك من نِعَمه ﴿ ومَنْ يشكُرْ فإنَّما يشكُرُ لنفسِهِ ﴾ لعَوْدِ ثمرات شكره عليه ﴿ ومَنْ كفرَ فإنَّ اللَّهَ غنيٌّ حميدٌ ﴾ غني عن كل شيء ، فلا يحتاج إلى الشكر ، وحقيق بالحمد ، بل نطق بحمده كل موجود .

[١٣] ﴿ وإذْ قال لُقْمانُ لابنِهِ وهو يعِظُهُ : يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللَّهِ ، إنَّ الشِّرْكَ لظلمٌ عظيمٌ ﴾ وبعد وصية لقمان قرن تعالى الوصية بعبادة الله وحده البرَّ بالوالدين ، وكثيراً ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن الكريم .

[١٤] ﴿ ووصَّيْنا الإنسانَ بوالِدَيْهِ ﴾ أي بالإحسان إليهما ، لاسيما الوالدة ﴿ حَمَلتْهُ أُمُّهُ وَهْناً على وَهْنٍ ﴾ أي ضعفاً فوق ضعف إلى الولادة ﴿ وفِصالُهُ ﴾ أي فطامه ﴿ في عامَيْن ﴾ ثم فسَّر الوصية بقوله سبحانه : ﴿ أنِ اشكُرْ لي ولِوالِدَيْكَ ﴾ بأن تعرف نعمة الإحسان وتقدر قدره ﴿ إليَّ المصيرُ ﴾ إليَّ الرجوع لا إلى غيري ، فأجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر .

[١٥] ﴿ وإنْ جاهداك على أنْ تُشرِكَ بي ما ليس لكَ به عِلْمٌ فلا تُطِعْهُما ﴾ في إشراك ما لا تعلمه مستحقاً للعبادة تقليداً لهما ، يريد الأصنام ﴿ وصاحِبْهُما في الدُّنْيا مَعْروفاً ﴾ يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم ﴿ واتَّبِع سبيلَ مَن أنابَ إليَّ ﴾ بالتوحيد والإخلاص في الطاعات ، وعمل الصالحات ﴿ ثُمَّ إليَّ مرجِعُكُم فأنبِّئُكُم بما كنتُم تعمَلون ﴾ كناية عن الجزاء ، كما تقدَّم نظائره .

[١٦] ﴿ يا بُنَيَّ إنَّها إنْ تَكُ مِثْقالَ حبَّةٍ مِنْ خردلٍ ﴾ أي : إن الخصلة من الإساءة أو الإحسان ، إن تكُ مثلاً في الصغر كحبة الخردل ﴿ فتكُنْ في صخرةٍ أوْ في السَّمٰواتِ أوْ في الأرضِ ﴾ أي : فتكن مع كونها في أقصى غايات الصغر ، في أخفى مكان وأحرزه ، كجوف الصخرة ، أو حيث كانت في العالم العلويّ أو السفليّ ﴿ يَأْتِ بها اللَّهُ ﴾ يحضرها ويحاسب عليها ﴿ إنَّ اللَّهَ لطيفٌ ﴾ ينفذ علمه وقدرته في كل شيء ﴿ خبيرٌ ﴾ يعلم كنهَ الأشياء ، فلا يعسر عليه .

[١٧] ﴿ يا بُنَيَّ أقِمِ الصَّلاةَ ﴾ بحدودها وفروضها وأوقاتها ، لتكميل نفسك بعبادة ربك ﴿ وأْمُرْ بالمعروفِ وانْهَ عنِ المُنكَرِ ﴾ لتكميل غيرك ﴿ واصبِرْ على ما أصابَكَ ﴾ من المحن ﴿ إنَّ ذلكَ ﴾ إشارة إلى الصبر أو إلى كل ما أمر به ﴿ مِنْ عَزْمِ الأُمورِ ﴾ أي مما عزمه الله من الأمور ، أي قطعه قطع إيجاب .

[١٨] ﴿ ولا تُصَعِّرْ خدَّكَ للناسِ ﴾ لا تعرض بوجهك عنهم ، إذا كلمتهم أو كلَّموك ، احتقاراً منك لهم ، واستكباراً عليهم ، لكن ألِنْ جانبك وابسط وجهك إليهم ، كما جاء في الحديث : (وإنَّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق) أخرجه الترمذي ﴿ ولا تَمْشِ في الأرضِ مَرَحاً ﴾ خيلاء متكبراً ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كلَّ مُختالٍ ﴾ معجب في نفسه ﴿ فخورٍ ﴾ على غيره .

[١٩] ﴿ واقْصِدْ في مَشْيِكَ ﴾ توسّط بين الدبيب والإسراع ﴿ واغضُضْ من صوْتِكَ ﴾ أي : أنقص من رفعه ، وأقصر ، فإنه يقبح بالرفع حتى ينكره الناس ، إنكارهم على صوت الحمير ﴿ إنَّ أنْكَرَ الأصْواتِ لَصوتُ الحميرِ ﴾ « أنكر » بمعنى أوْحَش .

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ
ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ
وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ
وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ
مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

[٢٠] ﴿ ألَمْ تروْا أنَّ اللَّهَ سخَّرَ لكُم ما في السَّمٰواتِ وما في الأرضِ ﴾ من النجوم والشمس والقمر التي ينتفعون من ضيائها ، وما تؤثره في الحيوان والنبات والجماد بقدرته تعالى ، وكذا من الأمطار والسُّحُب والكوائن العلوية التي خلقها الله تعالى لنفع من سُخِّرَتْ له ، وكذا ما أوجد في الأرض من قرار وأشجار وأنهار وزروع وثمار ليستعملها من سُخِّرت له فيما فيه حياته وراحته وسعادته ﴿ وأسبَغَ عليكُم نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً ﴾ أي محسوسة ومعقولة كإرسال الرسل وإنزال الكتب وإزاحة الشُّبَه والعلل ﴿ ومنَ النَّاسِ ﴾ يعني الجاحدين نعمته تعالى ﴿ مَنْ يُجادِلُ في اللَّهِ ﴾ أي في توحيده وإرساله الرسل ﴿ بغيرِ علْمٍ ﴾ بغير برهان قاطع مستفاد من عقل ﴿ ولا هُدًى ﴾ ولا دليل مأثور عن نبيّ ﴿ ولا كتابٍ مُنيرٍ ﴾ منزل من لدنه تعالى ، بل لمجرد التقليد ، و« المنير » بمعنى المنقذ من ظلمة الجهل والضلال .

[٢١] ﴿ وإذا قِيلَ لهُمُ ﴾ أي لمن يجادل ، والمجمع باعتبار المعنى ﴿ اتَّبِعوا ما أنزلَ اللَّهُ قالوا بَلْ نتَّبِعُ ما وجدْنا عليهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ الشيطانُ يدعوهُم إلى عذابِ السَّعيرِ ﴾ أي : يدعو إلى اعتقادات وأعمال ، هي أسباب العذاب ، كأنه يدعوهم إلى عين العذاب .

[٢٢] ﴿ ومَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ في أعماله ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى ﴾ أي : تعلَّق بأوثق ما يُتَعَلَّقُ به من الأسباب . وهو تمثيل لحال المؤمن المخلص المحسن ، بحال من أراد رقيَّ شاهق ، فتمسك بأوثق عرى الحبل المتدلِّي منه . [عن ابن عباس في الآية : قال : لا اله إلا الله ـ ابن جرير] ﴿ وإلى اللَّهِ عاقِبَةُ الأُمورِ ﴾ مآلها .

[٢٣] ﴿ ومن كفرَ فلا يحزُنْكَ كُفرُه ، إلينا مرجِعُهُم فننبِّئُهُم بما عمِلوا ﴾ من الأعمال الظاهرة والباطنة ﴿ إنَّ اللَّهَ عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ ﴾ .

[٢٤] ﴿ نُمَتِّعُهُم قليلاً ثم نضطَرُّهُم إلى عذابٍ غليظٍ ﴾ .

[٢٥] ﴿ ولئِن سألْتَهُم مَنْ خلقَ السَّمٰواتِ والأرضَ ليقولُنَّ اللَّهُ قُلِ الحمدُ للَّه ﴾ على أن جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون أيضاً ﴿ بَلْ أكثرُهُم لا يعلَمون ﴾ شيئاً ما ، فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم .

[٢٦] ﴿ للَّهِ ما في السَّمٰواتِ والأرضِ ﴾ فلا يستحق العبادة فيهما غيرُه ﴿ إنَّ اللَّهَ هُوَ الغنيُّ ﴾ عن العالمين ، وهم فقراء إليه جميعاً ﴿ الحميدُ ﴾ المحمود فيما خلق وشرع بلسان الحال والمقال .

[٢٧] ﴿ ولَوْ أنَّما في الأرضِ منْ شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدُّهُ مِنْ بعدِهِ ﴾ أي من بعد نفاده ﴿ سبعةُ أبحُرٍ ما نفِدَتْ كلماتُ اللَّهِ ﴾ التي أوجد بها الكائنات ، وسيوجد بها ما لا غاية لحصره ومنتهاه ، والسبعة ـ إنما ذكرت ـ على سبيل المبالغة لا الحصر ﴿ إنّ اللَّهَ عزيزٌ حكيمٌ ﴾ [قال ابن جرير: ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في سبب مجادلة كانت من اليهود له . عن قتادة قال : قال المشركون : إنما هذا كلام يوشك أن ينفد ، قال : لو كان شجر البر أقلاماً ، ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه] .

[٢٨] ﴿ ما خَلْقُكُم ولا بَعْثُكُم إلاّ كنفْسٍ واحدةٍ ﴾ إلاّ كخلقها وبعثها في سهولته ﴿ إنَّ اللَّهَ سَميعٌ بصيرٌ ﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ
فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ
وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ
ترتيبها ٣٢ — آياتها ٣٠

[٢٩] ﴿ ألَمْ تَرَ أنَّ اللَّهَ يولِجُ الليلَ في النهارِ ويولِجُ النهارَ في الليلِ وسخَّرَ الشَّمسَ والقمرَ كلٌّ يجري إلى أجلٍ مُسَمًّى ﴾ أي أمدٍ قدَّره الله تعالى لجريهما ، وهو يوم القيامة . [قال ابن كثير : قيل إلى غاية محدودة ، وقيل إلى يوم القيامة ، وكلا المعنيين صحيح ويستشهد للقول الأول بحديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس؟) قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت) أخرجه الشيخان مرفوعاً] ﴿ وأنَّ اللَّهَ بما تعمَلون خبيرٌ ﴾ لأن من شاهد مثل ذلك الصُّنْعَ الرائق ، والتدبيرَ الفائق ، لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجلّ محيطاً بما يأتي ويذر .

[٣٠] ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ما ذُكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارىء بها ﴿ بأنَّ اللَّهَ هو الحَقُّ ﴾ أي : بسبب أنه الحق ، وجوده وإلهيته ﴿ وأنَّ ما يَدْعون مِن دونِهِ الباطِلُ ، وأنَّ اللَّهَ هُوَ العليُّ الكبيرُ ﴾ .

[٣١] ﴿ ألَمْ تَرَ أنَّ الفُلْكَ تجري في البحرِ بنعمةِ اللَّهِ ﴾ أي : بإحسانه في تهيئة أسبابه ﴿ ليُرِيَكُم مِنْ آياتِهِ ، إنَّ في ذلك لآياتٍ لكلِّ صبَّارٍ ﴾ عظيم الصبر على البأساء والضرّاء ﴿ شكورٍ ﴾ كثير الشكر للنِّعَم بالقيام بحقها .[عن قتادة قال : كان مطرف ـ ابن الشخير ـ يقول : إن من أحب عباد الله إليه : الصبار الشكور ـ ابن جرير] .

[٣٢] ﴿ وإذا غشِيَهُم ﴾ أي : علاهم وأحاط بهم ﴿ موجٌ كالظُّلَلِ ﴾ كالسُّحب والحجب ﴿ دَعَوُا اللَّهَ مُخلِصينَ لهُ الدِّينَ ﴾ أي : التجؤوا إليه تعالى وحده لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الضر ﴿ فلمَّا نجَّاهُم إلى البرِّ فمِنْهُم مقتصدٌ ﴾ أي : كافر ، وقيل : هو المتوسط في العمل ، وكان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام ، والدؤوب في العبادة والمبادرة إلى الخيرات ﴿ وما يجحَدُ بآياتِنا إلاّ كُلُّ خَتَّارٍ ﴾ غدّار ، ناقض للعهد الفطريّ ﴿ كفورٍ ﴾مبالغ في كفران نعمه تعالى ، لا يقضي حقوقها .

[٣٣] ﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُم واخشَوْا يوماً لا يَجزي والدٌ عنْ ولدِهِ ، ولا مَوْلودٌ هو جازٍ عن والدِهِ شيئاً ﴾ أي : ليس بمغن أحدُهما عن الآخر شيئاً ، لانقطاع الوَصْلِ في ذلك اليوم الرهيب ﴿ إنَّ وعْدَ اللَّهِ حقٌّ ﴾ بالثواب والعقاب ، لا يمكن إخلافه ﴿ فلا تغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدُّنيا ولا يغرَّنَّكُم باللَّهِ الغَرورُ ﴾ أي الشيطان .

[٣٤] ﴿ إنَّ اللَّهَ عندَه عِلْمُ السَّاعةِ ﴾ أي علم وقت قيامها ﴿ ويُنزِّلُ الغيْثَ ﴾ في وقته الذي قدَّره ، وإلى محله الذي عيَّنه في علمه ﴿ ويعلَمُ ما في الأرحامِ ﴾ من ذكر أو أنثى ، سعيد أو شقي ﴿ وما تدري نفسٌ ماذا تكسِبُ غداً ﴾ من خير أو شرٍّ ﴿ وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ ﴾ في بلدها أو غيره ، لاستئثار الله تعالى ذلك بعلمه ﴿ إنَّ اللَّهَ عليمٌ خبيرٌ ﴾ بما كان ويكون ، وبظواهر الأشياء وبواطنها ، لا إله إلا هو. وقد جاء في الخبر تسمية هذه الخمس مفاتح الغيب ، فعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله) وتلا هذه الآية . أخرجه البخاري والإمام أحمد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

[سورة السجدة]

سميت بها لأن آية السجدة منها ، وهي مكية . وعدد آياتها ثلاثون آية .

[١] ﴿ الٓمٓ ﴾ تقدم أن هذه الفواتح أسماء للسور .

[٢] ﴿ تنزيلُ الكتابِ لا رَيْبَ فيهِ ﴾ أي : في كونه منزلاً ﴿ من ربِّ العالمين ﴾ .

[٣] ﴿ أمْ يقولونَ افْتَراهُ ﴾ أي : اختلقه من تلقاء نفسه ﴿ بلْ هوَ الحقُّ مِنْ ربِّكَ لتُنذِرَ قوماً ما أتاهُم مِنْ نذيرٍ مِن قبلِكَ ﴾ ذلك أن قريشاً لم يُبْعث إليهم رسول قبل محمد ﷺ ﴿ لعلَّهُم يهتَدون ﴾ أي يتبعون الحق .

[٤] ﴿ اللَّهُ الذي خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرضَ وما بينَهُما في ستَّةِ ايَّامٍ ثم استوى على العرشِ ﴾ تقدَّم الكلام في ذلك في تفسير الآية ٥٩ من سورة الفرقان في الصفحة ٣٦٥ ﴿ ما لَكُم من دونِهِ من ولِيٍّ ولا شفيعٍ ﴾ أي : ما لكم عنده ناصر ولا شفيع من الخلق ﴿ أفَلا تتذكَّرون ﴾ أي : تتعظون بالقرآن فتؤمنوا ؟ .

[٥] ﴿ يُدبِّرُ الأمرَ من السَّماءِ إلى الأرضِ ﴾ أي : يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية ، نازلة آثارها وأحكامها إلى الأرض ﴿ ثم يعرُجُ إليهِ ﴾ أي : يصعد إليه . [قال مجاهد والضحاك رحمهما الله : النزول من الملك مسيرة خمسمائة عام ، وصعوده في مسيرة خمسمائة عام ، ولكنه يقطعها في طرفة عين ـ ابن كثير] ﴿ في يومٍ كان مقدارُه ألفَ سنةٍ ممّا تَعُدُّون ﴾ أي : ألف سنة من سني الدنيا .

ربع الحزب ٤٢

[٦] ﴿ ذلك ﴾ المدبِّر ﴿ عالمُ الغيبِ ﴾ ما غاب عن العباد وما يكون ﴿ والشهادةِ ﴾ ما علمه العباد ، وما كان ﴿ العزيزُ ﴾ الغالب على أمره ﴿ الرحيمُ ﴾ بالعباد في تدبره .

[٧] ﴿ الذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خلَقَهُ ﴾ أحكم خلق كل شيء ﴿ وبدأ خلْقَ الإنسانِ ﴾ يعني آدم ﴿ من طِينٍ ﴾ .

[٨] ﴿ ثم جعلَ نسْلَهُ ﴾ ذرّيته ﴿ من سُلالةٍ ﴾ من نطفة ، و« السلالة » الخلاصة ، وأصلها ما يسلّ ويخلص بالتصفية ﴿ من ماء مَهينٍ ﴾ ضعيف ممتهن .

[٩] ﴿ ثمَّ سوَّاهُ ﴾ قوَّمه في بطن أمه ﴿ ونفخَ فيهِ من روحِهِ ﴾ أي : جعل الروح فيه ، وأضافه إلى نفسه تشريفاً له ﴿ وجعلَ لكُمُ السَّمْعَ والأبصارَ والأفئِدَةَ ﴾ خلق لكم هذه المشاعر ، لتدركوا بها الحق والهدى ﴿ قليلاً ما تَشكُرون ﴾ بأن تصرفوها إلى ما خُلقت له .

[١٠] ﴿ وقالوا ﴾ كفار مكّة : ﴿ أإذا ضلَلْنا في الأرضِ ﴾ أي : صرنا تراباً مخلوطاً بتراب الأرض لا نتميز منه ، أو غبنا فيها ﴿ أإنا لفي خَلْقٍ جديدٍ ﴾ أي : نجدد بعد الموت ﴿ بلْ هُم بلقاءِ ربِّهِم ﴾ بالبعث بعد الموت للجزاء والحساب ﴿ كافِرون ﴾ جاحدون .

[١١] ﴿ قُلْ ﴾ بياناً للحق ورداً على زعمهم الباطل : ﴿ يتوفَّاكُم مَلَكُ الموتِ الذي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ أي : يقبض أرواحكم ﴿ ثُم إلى ربِّكُم تُرْجَعون ﴾ بالبعث للحساب والجزاء . [أخرج ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار : والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت يقوم على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر أن يتوفاه ـ ابن كثير] .

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿ ولَوْ ترى إذِ المُجْرِمون ﴾ وهم القائلون تلك المقالة الشنعاء ﴿ ناكِسوا رؤُوسِهِم عند ربِّهِم ﴾ مطأطِئوها من الحياء والخزي لما قدَّمت أيديهم : ﴿ ربَّنا ﴾ أي : يقولون : ربنا ﴿ أبصَرْنا وسمِعْنا ﴾ علمنا ما لم نعلم ، وأيقنا بما لم نكن به موقنون ﴿ فارْجِعْنا ﴾ إلى الدنيا ﴿ نعملْ صالِحاً إنَّا موقِنون ﴾ مقرُّون بك وبكتابك ورسولك والجزاء .

[١٣] ﴿ ولَوْ شِئْنا لأتينا كُلَّ نفسٍ هُداها ﴾ تقواها ﴿ ولكنْ حَقَّ القولُ منِّي ﴾ في القضاء السابق ﴿ لأمْلأنَّ جهنَّمَ من الجِنَّةِ والناسِ أجمَعين ﴾ ومشيئته تعالى لأفعال العباد منوطة باختيارهم إياها ، فلمّا لم يختاروا الهدى ، واختاروا الضلالة ، لم يشأ إعطاءه لهم ، وإنما آتاه الذين اختاروه من النفوس البَرّة .

سجدة

[١٤] ﴿ فذوقوا بما نسِيتم لِقاءَ يومِكُم هذا ﴾ أي : تركتم الإقرار به ، والإيمان بصدق موعوده ، وعاملتموه معاملة المنسيِّ المهجور ﴿ إنَّا نَسِيناكُم ﴾ جازيناكم جزاء نسيانكم ، أو تركناكم في العذاب ترك المنسيِّ ﴿ وذوقوا عذابَ الخُلْدِ بما كنتُم تعمَلون ﴾ من الموبقات . [عن قتادة قال : نسوا من كل خير، وأما الشر فلم ينسوا منه ـ ابن جرير] .

[١٥] ﴿ إنَّما يؤمِنُ بآياتِنا الذين إذا ذُكِّروا بها ﴾ إذا وُعِظوا بها ﴿ خرُّوا سُجَّداً ﴾ تواضعاً لله وخشوعاً وشكراً على ما رزقهم من الإسلام ﴿ وسبَّحوا بحمدِ ربِّهِم وهم لا يستكْبِرون ﴾ عن الانقياد لها ، كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة .

[١٦] ﴿ تتجافى جنوبُهُم عن المضاجِعِ ﴾ ترتفع وتتنحى عن الفراش ومواضع النوم ، وهم المتهجدون بالليل ﴿ يدْعونَ ربَّهُم ﴾ داعين له ﴿ خوفاً ﴾ من عذابه ﴿ وطَمَعاً ﴾ في رحمته ﴿ وممَّا رزقناهُم ﴾ من المال ﴿ يُنفِقون ﴾ في وجه البرّ والحسنات .

[١٧] ﴿ فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخْفِيَ لهُم ﴾ ما أُعِدَّ لهؤلاء الذين عُدِّدتْ مناقبهم ﴿ من قُرَّةِ أعْيُنٍ ﴾ مما تقرّ به عينهم من طيبة النفس والثواب والكرامة في الجنة ﴿ جَزاءً بما كانوا يعمَلُون ﴾ في الدنيا من الأعمال الصالحة . [١٨] ﴿ أفمَنْ كان مُؤْمِناً كمَنْ كانَ فاسِقاً ﴾ كافراً جاحداً ﴿ لا يستَوُون ﴾ في الآخرة بالثواب والكرامة ، كما لم يستووا في الدنيا بالطاعة والعبادة . [١٩] ﴿ أمَّا الذينَ آمنوا وعمِلوا الصّالحاتِ فلَهُم جنَّاتُ المأْوَى نُزُلاً ﴾ أي ثواباً ﴿ بما كانوا يعمَلُون ﴾ [عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير ، فقلت : يا نبي الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار . قال ﷺ : (سألت عن عظيم وإنه ليَسِيرٌ على من يَسَّرَه الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتِيَ الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت) . ثم قال : (ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّةٌ ، والصدقة تطفىء الخطيئة ، وصلاة الرجل في جوف الليل) . ثم قرأ : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ حتى بلغ : ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ ـ ابن كثير] .

[٢٠] ﴿ وأمَّا الذين فسَقوا فمأْواهُمُ النّارُ ، كلَّما أرادوا أنْ يَخرُجوا منها أُعِيدوا فيها ﴾ كناية عن دوام عذابهم واستمراره ﴿ وقِيلَ لهُم ذوقوا عذابَ النَّارِ الذي كنتُم بِهِ تُكَذِّبون ﴾ يقال لهم ذلك تشديداً عليهم وزيادة في غيظهم وتقريعاً وتوبيخاً .

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ — مدنية ٣٣ — آياتها ٧٣

[٢١] ﴿ ولَنُذِيقَنَّهُم ﴾ أي أهل مكة ﴿ منَ العذابِ الأدْنى ﴾ عذاب الدنيا والجدب والقتل والأسر ﴿ دُونَ العذابِ الأكبرِ ﴾ عذاب الآخرة ﴿ لعلَّهُم يرجِعون ﴾ يتوبون عن الكفر .

[٢٢] ﴿ ومَنْ أظلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بآياتِ ربِّهِ ثم أعرضَ عنها ﴾ أي جحدها وكفر بها ﴿ إنّا من المجرمين منتَقِمون ﴾ بالعذاب وإظهار المتقين عليهم . [عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ثلاث من فعلهن فقد أجرم : من عقد لواء في غير حق ، أو عقَّ والديه ، أو مشى مع ظالم ينصره يقول الله ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾ ـ ابن جرير] .

[٢٣] ﴿ ولقَدْ آتَيْنا مُوسى الكتابَ ﴾ أي التوراة ﴿ فلا تكُنْ في مِرْيَةٍ من لقائِهِ ﴾ أي تلقي الكتاب الذي هو القرآن ، ونهيُه ﷺ عن الشك ، المقصود به نهي أمته ﴿ وجعَلْناهُ هُدىً لِبَني إسرائيلَ ﴾ من الضلالة .

[٢٤] ﴿ وجعَلْنا مِنْهُم أئِمَّةً يهدُونَ بأمرِنا ﴾ أي : قادة بالخير يدعون الخلقَ إلى أمرنا وشرعنا ﴿ لمَّا صبَروا ﴾ على العمل به والاعتصام بأوامره ﴿ وكانوا بآياتِنا يوقِنون ﴾ يصدقون أشد التصديق وأبلغه . والمعنى : كذلك لنجعلنَّ الكتاب هدى لأمتك ، ولنجعلن منهم أئمة يهدون مثل تلك الهداية .

[٢٥] ﴿ إنَّ ربَّكَ هُوَ يَفْصِلُ ﴾ يقضي ﴿ بينَهُم يومَ القِيامَةِ فِيما كانوا فيهِ يختَلِفون ﴾ فيميز الحق من الباطل .

[٢٦] ﴿ أوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ أي : ألم يتبين لكفار مكة ﴿ كَمْ أهلكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ من القُرونِ ﴾ الماضية بعذاب استئصال ﴿ يَمْشونَ في مساكِنِهم ﴾ كمنازل قوم شعيب وهود وصالح ولوط عليهم السلام ، فلا يرون فيها أحداً ممن كان يعمرها ويسكنها ﴿ إنَّ في ذلكَ ﴾ فيما فعلنا بهم ﴿ لآياتٍ ﴾ عبراً ومواعظ ودلائل متناظرة ﴿ أفَلا يسمَعون ﴾ أخبارَ من تقدَّم ، كيف صار أمرهم بسبب تكذيبهم الرسل وبغيهم الفساد في الأرض ، فيحملهم ذلك على الإيمان .

[٢٧] ﴿ أوَلَمْ يَرَوْا أنّا نَسوقُ الماءَ إلى الأرضِ الجُرُزِ ﴾ وهي التي جرز نباتها ، أي قطع ﴿ فنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تأكُلُ منهُ أنعامُهُم وأنفسُهُم ﴾ يعني العشب والثمار والبقول ﴿ أفَلا يُبْصِرُون ﴾ فيستدلون به على كمال قدرته ووجوب انفراده بالإلهية .

[٢٨] ﴿ ويقولون ﴾ كفَّار مكة : ﴿ متى هذا الفتْحُ ﴾ أي الانتصار علينا . استعجال لوقوع البأس الربَّاني عليهم ، الذي وُعِدوا به ، واستبعادٌ له ﴿ إنْ كنتُم صادِقِين ﴾ .

[٢٩] ﴿ قُلْ يومَ الفتْحِ لا يَنفَعُ الذينَ كفَروا إيمانُهم ولا هُمْ يُنْظَرون ﴾ لحلول ما يغشي الأبصار ويعمي البصائر ، وظهور منار الإيمان وزهوق الفريق الكافر .

[٣٠] ﴿ فأعْرِضْ عنهُم ﴾ أي عن المشركين ، ولا تبالِ بهم ، وبلِّغ ما أُنزل إليك من ربك ﴿ وانتَظِرْ ﴾ النصر عليهم ، فإن الله سينجز لك ما وعدك ، إنه لا يخلف الميعاد ﴿ إنهم مُنْتَظِرون ﴾ ما في نفوسهم ، وسيجدون مغبَّة انتظارهم من وبيل عقابه تعالى ، وأليم عذابه بهم .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن
رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى
جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ
وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ
يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ
هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ
فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم
بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ
وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم
مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

[سورة الأحزاب]

نصف الجزء ٤٢

سميت بالأحزاب لأن قصتها معجزة لرسول الله ﷺ بحيث كفى المؤمنين القتال ، وقد ميّز بهم بين المؤمنين والمنافقين ، وهذا من أعظم مقاصد القرآن . وهي مدنية . وعدد آياتها ثلاث وسبعون آية .

[١] ﴿ يا أيُّها النبيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ أمره عليه السلام بالتقوى تفخيماً وتعظيماً للتقوى نفسها ﴿ ولا تُطِعِ الكافِرين والمنافِقين ﴾ لا توافقهم على أمر ، ولا تقبل لهم رأياً ولا مشورة ﴿ إنَّ اللَّهَ كان عليماً حكيماً ﴾ فهو أحق بأن تتبع أوامره ويطاع .

[٢] ﴿ واتَّبِعْ ما يُوحى إليكَ منْ ربِّكَ ﴾ في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ﴿ إنَّ اللَّهَ كان بما تعمَلون خبيراً ﴾ .

[٣] ﴿ وتَوَكَّلْ على اللَّهِ ، وكفى باللَّهِ وكِيلاً ﴾ أسند أمرَك إليه ، وكِلْه إلى تدبيره ، فكفى به حافظاً موكولاً إليه كل أمر .

[٤] ﴿ ما جعلَ اللَّهُ لرجلٍ من قلْبَيْنِ في جَوْفِهِ ﴾ لم يرَ في حكمته أن يجعل للإنسان قلبين في جوفه ﴿ وما جعلَ أزواجَكُمُ اللاّئي تُظاهِرون منهُنَّ أمَّهاتِكُم ﴾ كما لم ير أن تكون المرأة الواحدة أمّاً للرجل وزوجاً له . ومعنى « ظاهر من امرأته » قال لها : أنت عليَّ كظهر أمي . وكان الظِهار طلاقاً عند أهل الجاهلية ، وهو في الإسلام يقتضي الطلاق والحرمة إلى أداء الكفَّارة ﴿ وما جعلَ أدعياءَكُم أبناءَكُم ﴾ ولا يكون الرجل الواحد دعيّاً لرجل ، وابناً له ، لأن البنوّة أصالة في النسب ، وعراقة فيه ، والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً وغير أصيل ﴿ذلِكُم﴾ إشارة إلى ما ذُكِر ﴿ قولُكُم بأفْواهِكُم ﴾ أي لا حقيقة له فلا يقتضي دعواكم ذلك ، أن يكون ابناً حقيقياً ، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر فلا يمكن أن يكون له أبوان ، كما لا يمكن أن يكون لبشر واحد قلبان ﴿ واللَّهُ يقولُ الحقَّ ﴾ الثابت المحقق في نفس الأمر ﴿ وهو يَهْدي السبيلَ ﴾ أي سبيل الحق .

[٥] ﴿ادْعوهُم لآبائِهِم﴾ انسبوهم إليهم ﴿هو أقسَطُ عندَ اللَّهِ﴾ أعدل وأحكم ﴿فإنْ لم تعلَموا آباءَهُم﴾ فتنسبوهم إليهم ﴿فإخوانُكُم﴾ فهم إخوانكم ﴿في الدِّينَ ومواليكُم﴾ أولياؤكم فيه ﴿وليسَ عليكُم جُناحٌ﴾ أي إثم ﴿فيما أخطأْتُم بِهِ﴾ فيما فعلتموه من نسبة بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة ، مخطئين بالسهو أو النسيان ، أو سبق اللسان ﴿ولكنْ ما تعمَّدَتْ قلوبُكُم﴾ أي : ففيه الجُناح ، لأن من تعمَّد الباطل كان آثماً ﴿وكان اللَّهُ غفوراً رحيماً﴾ لعفوه عن المخطىء . [٦] ﴿النبيُّ أوْلىٰ بالمؤمِنينَ من أنفُسِهِم﴾ أي : في كل شيء من أمور الدين والدنيا ﴿وأزواجُهُ أمَّهاتُهُم﴾ في وجوب تعظيمهن واحترامهن ، وتحريم نكاحهن ، وفيما عدا ذلك كالأجنبيات ﴿وأُولُو الأرحام﴾ أي : ذوو القرابات ﴿بعضُهُم أوْلىٰ ببعضٍ في كتابِ اللَّهِ﴾ أي : فيما فرضه ، أو فيما أوحاه إلى نبيه عليه السلام ﴿مِنَ المؤمِنينَ والمهاجِرينَ﴾ بيان لأولي الأرحام ، أو صلة لـ«أوْلَى» ﴿إلاَّ أنْ تفعَلُوا إلى أوْليائِكُم﴾ أي : إخوانكم المؤمنين والمهاجرين غير الرحم ﴿معروفاً﴾ أي : من صدقة ومواساة وهدية ووصية ﴿كان ذلك في الكتابِ مسطوراً ﴾ أي : في القرآن ، أو في قضائه وحكمه وما كتبه وفرضه مقرراً لا يعتريه تبديل ولا تغيير.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ
لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟
ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

[٧] ﴿ وإذْ أخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ ميثاقَهُم ومنكَ ومِن نوحٍ وإبراهيمَ ومُوسى وعيسى ابنِ مريمَ ﴾ أي : أخذنا عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق والتعاون والتناصر والاتفاق وإقامة الدين وعدم التفريق فيه ، وتخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين للإيذان بمزيد مزيتهم وفضلهم ﴿ وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾ أي : عهداً عظيم الشأن .

[٨] ﴿ لِيَسْأَلَ الصادِقينَ عن صِدْقِهِم ﴾ ليسأل الأنبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم ﴿ وأعدَّ للكافِرين عذاباً أليماً ﴾ أعدَّ لمن كفر من أممهم عذاباً موجعاً ، فما جاءت به الرسل هو الحق ، ومن خالفهم فهو على الضلال .

[٩] ﴿ يا أيُّها الذين آمَنوا اذْكُروا نِعْمةَ اللَّهِ عليْكُم ﴾ اذكروا ما أنعم به عليكم يوم « الأحزاب » وهو يوم « الخندق » ﴿ إذ جاءَتْكُم جُنودٌ ﴾ هم الأحزاب ﴿ فأرسلْنا عليهِم رِيحاً وجُنوداً لم تَرَوْها ﴾ هم الملائكة ، أو ما أتى من الريح من طيور الجوّ وجراثيمه ﴿ وكانَ اللَّهُ بما تعمَلون بَصيراً ﴾ .

[١٠] ﴿ إذْ جاؤوكُم من فوقِكُم ومِن أسفَلَ منكُم ﴾ جاؤوا من أعلى الوادي وأسفله ، بقصد التحزب على أن يكونوا جملة واحدة على استئصال النبي ﷺ وصحبه ﴿ وإذْ زاغتِ الأبصارُ ﴾ مالت عن سننها ومستوى نظرها ، حيْرة وشخوصاً ﴿ وبَلغتِ القلوبُ الحَناجِرَ ﴾ بلغت منتهى الحلقوم لأن بالفزع تنتفخ الرئة فترتفع ، وبارتفاعها ترتفع القلوب ، وذلك من شدة الغم ، أو هو مَثَل في اضطراب القلوب ﴿ وتظُنُّون باللَّهِ الظُّنونا ﴾ تظنون به سبحانه أنواع الظنون المختلفة .

[١١] ﴿ هنالِكَ ابْتُلِيَ المؤمِنون ﴾ اختُبِروا ليتميز الثابت من المتزلزل ، والمؤمن من المنافق ﴿ وزُلْزِلوا زِلزالاً شديداً ﴾ أُزعجوا أشد الإزعاج من شدة الخوف والفزع ، أو من كثرة الأعداء .

[١٢] ﴿ وإذْ يقولُ المنافِقونَ والذينَ في قلوبِهِم مَرَضٌ ﴾ في قلوبهم شبهةٌ . قالوا ، تعسفاً بما يجدونه من الوسواس في نفوسهم ، وفرصة لانطلاق ألسنتهم بما تكنُّ صدورهم ، لضعف إيمانهم وشدَّة ما هم فيه من ضيق الحال ، وحصر العدوِّ لهم : ﴿ ما وعَدَنا اللَّهُ ورسولُهُ ﴾ من النصر ﴿ إلاّ غُروراً ﴾ إلا باطلاً .

[١٣] ﴿ وإذْ قالَتْ طائفةٌ منهُم ﴾ من المنافقين : ﴿ يا أهْلَ يثرِبَ ﴾ هي أرض المدينة ﴿ لا مُقامَ لَكُم ﴾ لا إقامة لكم بعد اليوم بالمدينة أو نواحيها لغلبة الأعداء ﴿ فارْجِعوا ﴾ إلى منازلكم من المدينة هاربين ، أو : فارجعوا عن الإسلام كُفّاراً ليمكنكم المقام ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فريقٌ منهُمُ النَّبِيَّ ﴾ في الرجوع ﴿ يقولونَ إنَّ بيوتَنا عَوْرَةٌ ﴾ غير محصّنة ، يُخشى عليها ﴿ وما هِيَ بعَوْرَةٍ ، إنْ يُريدون إلاَّ فِراراً ﴾ . [١٤] ﴿ ولَوْ دُخِلَتْ ﴾ يثربُ ﴿ عليهِم مِن أقْطارِها ﴾ بأن دخلها عليهم العدو من سائر جوانبها ، وأخذ في النهب والسلب ﴿ ثم سُئِلوا الفِتنَةَ ﴾ الرجعة إلى الكفر ﴿ لأتَوْها ﴾ أي لفعلوها ﴿ وما تلَبَّثوا بها إلاَّ يَسيراً ﴾ وما توقفوا بإعطائها إلا ريثما يكون السؤال والجواب ، لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به ، مع أدنى خوف وفزع .

[١٥] ﴿ ولقَدْ كانوا عاهَدوا اللَّهَ من قَبْلُ ﴾ من قبل هذا الخوف ﴿ لا يُوَلُّون الأدْبارَ ، وكان عهْدُ اللَّهِ مَسْؤولاً ﴾ عن الوفاء به .

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ
ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ
لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ
فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم
مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۖ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

[١٦] ﴿ قُلْ لَنْ ينفَعَكُم الفِرارُ إنْ فَرَرْتُم مِنَ الموتِ أو القَتْلِ ﴾ لأنه لا يؤخِّر آجالهم ولا يطوِّل أعمارهم ﴿ وإذاً ﴾ إن فررتم ﴿ لا تُمَتَّعون إلاَّ قليلاً ﴾ في الدنيا بعد فراركم ، فمهما مُتِّعوا في الدنيا فإنه قليل بجانب نعيم الآخرة للصابرين .

ثلاثة أرباع الحزب ٤٢

[١٧] ﴿ قُلْ مَنْ ذا الذي يَعْصِمُكُم ﴾ مَن الذي يُجيركم ﴿ مِنَ اللَّهِ إنْ أرادَ بكُم سُوءاً ﴾ هلاكاً أو هزيمة ؟ ﴿ أوْ أرادَ بكُم رحمةً ولا يجِدون لهُم مِن دونِ اللَّهِ وليّاً ولا نَصيراً ﴾ لا يجدون مجيراً ولا مغيثاً يدفع عنهم الضر .

[١٨] ﴿ قَدْ يعلَمُ اللَّهُ المُعَوِّقِين مِنْكُم ﴾ أي : المثبطين عن رسول الله ﷺ ، وهم المنافقون ﴿ والقائِلِين لإخوانِهِم ﴾ ساكني المدينة : ﴿ هَلُمَّ إلَيْنا ﴾ أقْبِلوا إلى ما نحن فيه من الظلال والثمار ﴿ ولا يأْتُون البَأْسَ ﴾ القتال ﴿ إلاَّ قليلاً ﴾ إلا إتياناً قليلاً ، لأنهم يتثبَّطون ما أمكن لهم .

[١٩] ﴿ أشِحَّةً عليكُم ﴾ أي : بخلاء بالمعونة والنفقة والمودَّة عليكم ﴿ فإذا جاءَ الخوفُ رأيْتَهُم يَنظُرُون إليك ، تدورُ أعينُهُم ﴾ في أحداقهم [قال قتادة : من الخوف ـ ابن جرير] ﴿ كالذي يُغْشى عليهِ مِنَ المَوْتِ ﴾ كنظره أو كدورانه ﴿ فإذا ذهبَ الخوفُ سلَقوكُم بألسنةٍ حِدادٍ ﴾ بالغوا فيكم بالكلام طعناً وذمّاً ، فأحرقوكم وآذوكم ، وأصل السلق بسط العضو ومدُّه للقهر سواء كان يداً أو لساناً ، ويجوز أن يُشبَّه اللسان بالسيف على طريق الاستعارة المكنية ، ويثبت له « السلق » وهو الضرب تخييلاً ﴿ أشِحَّةً على الخيْرِ ﴾ أي على فعله ﴿ أولئكَ لَمْ يؤمِنوا فأحبَطَ اللَّهُ أعمالَهُم ، وكان ذلك على اللَّهِ يَسيراً ﴾ . [قال ابن زيد : فحدثني أبي أنه كان بدرياً ، أحبط الله عمله يوم بدر ـ ابن جرير] .

[٢٠] ﴿ يَحسَبون الأحزابَ لم يَذهَبوا ﴾ أي : لم ينهزموا بما أُرسل عليهم من الريح والجنود وأنَّ لهم عودة إليهم لخَوَرهم واضطرابهم ﴿ وإنْ يأتِ الأحزابُ ﴾ مرّة أخرى ﴿ يَوَدُّوا لَوْ أنَّهُم بادُونَ في الأعْرابِ ﴾ فلا يذهبون إلى قتالهم ، ولا يستقرون في المدينة ، بل يتمنون أنهم خارجون إلى البدو بين الأعراب ﴿ يسألُونَ عن أنبائِكُم ﴾ عما جرى لكم ﴿ ولَوْ كانوا فيكُم ﴾ في حدوث واقعة ثانية ﴿ ما قاتَلوا إلاَّ قليلاً ﴾ أي رياء وخوفاً من التعيير .

[٢١] ﴿ لقَدْ كانَ لكُمْ في رَسولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ لكم في أخلاقه وأفعاله قدوة حسنة ، ومنها ثباته في الشدائد وصبره على البأساء والضراء وقد لقي بمكة من قريش ما يُشيِّب النواصي ، وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ﴿ لِمَنْ كانَ يَرْجو اللَّهَ واليومَ الآخِرَ ﴾ فالذي يرجو رضوان الله ورحمته وثواب اليوم الآخر ونجاته لا يجْبُن ، إذ لا يصح الجبن لمن صح اقتداؤه برسول الله ﷺ ﴿ وذكرَ اللَّهَ كثيراً ﴾ وقَرَن بالرجاء ذكره تعالى بكثرة ، بذكر أمره ونهيه ووعده ووعيده .

[٢٢] ﴿ ولمّا رأى المؤمِنون الأحزابَ قالُوا هذا ما وعَدَنا اللَّهُ ورسولُهُ ﴾ لأنه تعالى وعدهم أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه ، وكذلك حدَّثهم الرسول ﷺ بالابتلاء والامتحان الذي يعقبه النصر والأمان ﴿ وصَدَقَ اللَّهُ ورسولُهُ ﴾ أي ظهر صدقهما فيما وعدانا به ﴿ وما زادَهُم ﴾ هذا الخطْبُ والبلاء عند تزلزل المنافقين وبثّ أراجيفهم ﴿ إلاَّ إيماناً ﴾ بالله ورسوله ومواعيدهما ﴿ وتَسْليماً ﴾ لأمر الله ومقاديره .

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ
ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ
ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ
لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

[٢٣] ﴿ مِنَ المُؤْمِنين رجالٌ صَدَقوا ما عاهَدوا اللَّهَ عليهِ ﴾ في الصبر والثبات ، والقيام بما كُتب عليهم من القتال لإعلاء كلمة الحق ، ومن العمل بالصالحات ومجانبة السيئات ﴿ فمِنْهُم من قضى نحبَهُ ﴾ أي أدَّى ما التزمه ووفَّى به ، فقاتل مع الرسول ﷺ ، صادقاً حتى قُتِل شهيداً . وأصل معنى « النحب » النذر ، وقضاؤه الوفاء به . وقد كان رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا أنهم إذا شهدوا معه ﷺ حرباً قاتلوا حتى يستشهدوا ﴿ ومِنْهُم مَنْ يَنتظِرُ ﴾ ما وعد الله به من النصر والشهادة على ما مضى عليه أصحابه ﴿ وما بدَّلوا تَبْدِيلاً ﴾ ما غيَّروا شيئاً من العهد ، ولا نقضوه كنقض المنافقين في تولِّيهم .

[٢٤] ﴿ ليَجْزِيَ اللَّهُ الصادِقينَ ﴾ في عهودهم ﴿ بصِدْقِهِم ، ويُعَذِّبَ المنافقين إنْ شاءَ أوْ يتوبَ عليهِم ، إنَّ اللَّهَ كانَ غفوراً رحيماً ﴾ .

[٢٥] ﴿ ورَدَّ اللَّهُ الذين كفَروا بغيظِهِم ﴾ مع كمال غضبهم بما أرسله من الرِّيح والجنود ، بفضله ورحمته ﴿ لَمْ يَنالوا خَيْراً ﴾ لم ينالوا نصراً ولا غنيمة ﴿ وكفى اللَّهُ المؤمنينَ القِتالَ ﴾ فلم يحوجهم إلى مبارزتهم ليُجْلوهم عن المدينة ، بل تولَّى كفاية ذلك وحدَه ﴿ وكانَ اللَّهُ قويّاً ﴾ فلا يعارض قوته قوَّة شيء ﴿ عزيزاً ﴾ غالباً على أمره .

[٢٦] ﴿ وأنْزَلَ الذينَ ظاهَرُوهُم ﴾ أي عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله ﷺ ﴿ من أهْلِ الكِتابِ ﴾ يعني بني قُرَيْظة ، وهم طائفة من اليهود ﴿ مِن صَياصِيهِم ﴾ من حصونهم وآطامهم التي كانوا فيها ﴿ وقَذَفَ في قُلوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ أي الخوف ، جزاء وِفاقاً ﴿ فريقاً تَقْتُلون ، وتأْسِرونَ فريقاً ﴾ يعني قتل الرجال المقاتلة ، وسبي الذراري والنساء .

[٢٧] ﴿ وأوْرثَكُم أرضَهُم وديارَهُم ﴾ حصونهم ﴿ وأموالَهُم ﴾ نقودهم وأثاثهم ومواشيهم ﴿ وأرضاً لَمْ تَطَؤُوها ﴾ يعني خيبر ، وقيل مكة ، وقيل فارس والروم ﴿ وكان الله على كل شيءٍ قديراً ﴾ وقد شاهدتم بعض مقدوراته ، فاعتبروا بغيرها .

[٢٨] ﴿ يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأزْواجِكَ إنْ كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحياةَ الدُّنْيا ﴾ أي السّعة والتنعم فيها ﴿ وزينَتَها ﴾ وزخارفها ﴿ فتعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُن ﴾ أعطِكُن المتعة وأُطَلِّقْكُنَّ ، و« المتعة » ما يعطى للمرأة المطلَّقة على حسب السَّعَة والاقتدار من ثياب أو دراهم أو أثاث ، تطوّعاً لا وجوباً ﴿ سَراحاً جميلاً ﴾ أي طلاقاً من غير ضرار ولا بدعة . فنزلت الآية ، ولما نزلت بدأ ﷺ بعائشة رضي الله عنها ، وكانت أحبَّهنَّ إليه ، فخيَّرها وقرأ عليها القرآن ، فاختارت اللَّهَ ورسولَه والدَّار الآخرة ، ثم اختارَ جميعُهُنّ اختيارَها .

[٢٩] ﴿ وإنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ ورسولَهُ والدارَ الأخِرَةَ ﴾ أي تُرِدْنَ رسولَه ﷺ ، وذكر الله عزّ وجلّ للإيذان بجلالة محله ﷺ عنده تعالى ﴿ فإنَّ اللَّهَ أعَدَّ للمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أجراً عظيماً ﴾ لا يُقَدَّر قدرُه . [٣٠] ﴿ يا نِساءَ النبيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بفاحِشَةٍ مُبيِّنَةٍ ﴾ بيَّنَ الشرعُ والعقلُ قبحَها ـ إن قرىء بالفتح ـ أو مبيِّنة قبحَها بنفسها ـ إن قرىء بالكسر « مبيِّنة » ـ ﴿ يُضاعَفْ لها العذابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ أي ضعفي عذاب غيرهن لأن الذنب منهن أقبح ، ولذلك جعل حدَّ الحرِّ ضعفي حدِّ العبد ، وعُوتِب الأنبياءُ بما لا يُعاتَب به غيرُهم ﴿ وكانَ ذلك على اللَّهِ يَسيراً ﴾ لعموم قدرته .

وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ
وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ۙ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

[٣١] ﴿ ومَنْ يَقْنُتْ ﴾ يدُم مطيعاً ﴿ مِنكُنَّ للَّهِ ورسولِهِ ﴾ في إتيان الواجبات وترك المحرَّمات والمكروهات ﴿ وتعمَلْ صالحاً نؤْتِها أجرَها مرَّتَيْنِ ﴾ مرَّة على الطاعة والتقوى ، والأخرى على طلبهن رضا رسول الله ﷺ بحسن الخُلُق وطيب المعاشرة والقناعة ﴿ وأعْتَدْنا لها ﴾ أي زيادة على أجرها المضاعف في الجنة ، أو فيها وفي الدنيا ﴿ رِزقاً كريماً ﴾ حسناً مرضيّاً .

[٣٢] ﴿ يا نِساءَ النبيِّ لَسْتُنَّ كأحَدٍ منَ النِّساءِ إنِ اتَّقَيْتُنَّ فلا تَخْضَعْنَ بالقَوْلِ ﴾ عند مخاطبة الناس ، أي فلا تُجِبْن بكلام ليِّن ملطف ﴿ فيَطْمَعَ الذي في قلبه مَرَضٌ ﴾ في قلبه ريبة وفجور ﴿ وقُلْنَ قوْلاً معروفاً ﴾ بعيداً من طمع المريب بجدٍّ وخشونة من غير تخنيث ، أو قولاً حسناً مع كونه خشناً .

[٣٣] ﴿ وقَرْنَ في بُيوتِكُنَّ ﴾ اسكُنَّ ولا تخرجن منها ﴿ ولا تبرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهليَّةِ الأُولى ﴾ « التبرج » فُسِّر بالتبختر والتكسُّر في المشي ، وبإظهار الزينة وما يُستدعى به شهوة الرجل ، وبلبس رقيق الثياب التي لا تواري جسدها ﴿ وأَقِمْنَ الصلاةَ وآتِينَ الزكاةَ وأطِعْنَ اللَّهَ ورسولَهُ ﴾ بموافقة أمرهما ونهيهما ﴿ إنَّما يُريدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البيتِ ويُطهِّرَكُم تَطْهيراً ﴾ و﴿ أهلَ البيتِ ﴾ نصب على النداء أو على المدح ، والمراد بهم من حواهم بيتُ النبي ﷺ . قال ابن كثير : وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا ، لأنهن سبب نزول هذه الآية ، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً . وليس من شرط المتقين ونحوهم أن لا يقع منهم ذنب ، ولا أن يكونوا معصومين من الخطأ والذنوب .

[٣٤] ﴿ واذكُرْنَ ما يُتْلى في بُيوتِكُنَّ من آياتِ اللَّهِ والحِكمةِ ﴾ أمرٌ لهن بأن يذكرن ولا يُغفِلن ما يُقرأ في بيوتهن من آيات كتابه تعالى ، وسنة نبيه اللتين فيهما حياة الأنفس وسعادتها وقوام الآداب والأخلاق ﴿ إنَّ اللَّهَ كان لطيفاً خَبيراً ﴾ يعلم ويدبِّر ما يصلح في الدين .

[٣٥] ﴿ إنَّ المسلِمينَ والمسلِماتِ ﴾ المنقادين في الظاهر لحكم الله من الذكور والإناث ﴿ والمؤمِنين والمؤمِناتِ ﴾ المصدِّقين بما يجب أن يُصدَّق به في القلب ﴿ والقانِتين والقانِتاتِ ﴾ بإدامة شغل الجوارح في الطاعات ﴿ والصَّادِقين والصَّادِقات ﴾ في القول بمجانبة الكذب والعمل بتجريد الإخلاص لوجهه تعالى فلا يكون في طاعتهم رياء ﴿ والصابِرين والصابِراتِ ﴾ على البأساء والضرّاء والنوائب ، وعلى القيام بالعبادة والثبات عليها ﴿ والخاشِعين والخاشِعات ﴾ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم . و« الخشوع » السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع ﴿ والمتصدِّقين والمتصدِّقاتِ ﴾ بالإحسان إلى الفقراء والبؤساء الذين لا كَسْب لهم ولا كاسب ﴿ والصائِمين والصائِماتِ ﴾ الآتين بما طُلب منهم من الصيام المورِّث للتقوى والرحمة على من يتضوَّر جوعاً ويتصبَّر فقراً ﴿ والحافِظين فروجَهُم والحافِظات ﴾ عن إبدائها وإراءتها حياء وكفّاً عن مثار الشهوة المحرَّمة ، أو عن الحرام والفجور ﴿ والذّاكِرين اللَّهَ كثيراً والذاكِراتِ ﴾ بقلوبهم وألسنتهم ﴿ أعَدَّ اللَّهُ لهُم مغفِرَةً ﴾ بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة غفراناً لما اقترفوا من الصَّغائر لأنها مكفَّرة بذلك ﴿ وأجراً عظيماً ﴾ ثواباً وافراً في الجنة .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ
لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا
مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ
مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ
أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا
﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن
رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم
مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

[٣٦] ﴿ **وما كان لمُؤمنٍ ولا مؤمنةٍ** ﴾ ما صحَّ لهما ﴿ **إذا قضى اللَّهُ ورسولُهُ أمْراً أنْ يكونَ لهُمُ الخِيرَةُ مِنْ أمرِهِم** ﴾ أي قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء ، أن يتخيَّروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما ويعصوهما ﴿ **ومَنْ يَعْصِ اللَّهَ ورسولَهُ** ﴾ فيما أمَرا أو نَهَيا ﴿ **فقدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبيناً** ﴾ أي جار عن قصد السبيل ، وسلك غير الهُدى والرشاد . ذكر أن هذه الآية نـزلت في زينب بنت جحش ، حين خطبها رسول الله ﷺ لـزيد بن حارثة ، فأبت لكونه مولى لا يماثلها في الشرف ، فنزلت الآية فرضيت وتزوجها .

[٣٧] ﴿ **وإذْ تقولُ للذي أنْعَمَ اللَّهُ عليهِ** ﴾ أي بالإسلام ومتابعة النبي ﷺ ، وهو زيد بن حارثة ﴿ **وأنعَمْتَ عليهِ** ﴾ بالعتق والحرية وتزويجه بنت عمتك زينب بنت جحش ﴿ **أَمْسِكْ عليكَ زَوْجَكَ** ﴾ لا تطلِّقْها ﴿ **واتَّقِ اللَّهَ** ﴾ اخشَهُ في أمرها ﴿ **وتُخْفي** ﴾ أي تضمر ﴿ **في نفسِكَ ما اللَّهُ مُبْدِيهِ** ﴾ من الحكم الذي شرعه ، أي : تقول ذلك ، وأنت تعلم أن الطلاق لابُدَّ منه ولا منتدح عن امتثال أمر الله بنفسك ، لتكون أسوة لمن معك ولمن يأتي بعدك ﴿ **وتخشى الناسَ** ﴾ أي قالتهم وتعييرهم الجاهليّ ﴿ **واللَّهُ** ﴾ الذي ألهمك ذلك وأمرك به ﴿ **أحَقُّ أنْ تَخْشاهُ** ﴾ فكان عليك أن تمضي في الأمر من أول وهلة تعجيلاً بتنفيذ كلمته وتقرير شرعه ﴿ **فلمّا قضى زيدٌ منها وَطَراً** ﴾ أي حاجةً بالزواج ﴿ **زوَّجْناكَها لِكَيْ لا يكونَ على المؤمنين حرَجٌ في أزواجِ أدْعيائِهِم** ﴾ أي ضيق من العار في نكاح زوجات أدعيائهم ﴿ **إذا قضَوْا منهُنَّ وَطَراً** ﴾ بموت أو طلاق أو فسخ نكاح ﴿ **وكان أمْرُ اللَّهِ مفعولاً** ﴾ أي قضاؤه واقعاً ، ومنه تزويجك زينب . [٣٨] ﴿ **ما كان على النبيِّ من حَرَجٍ** ﴾ من مأثم وضيق ﴿ **فيما فرَضَ اللَّهُ لَهُ** ﴾ كتبه له من التزوج وأباحه له وسن شريعة مُثْلى في وقوعه ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ في الذينَ خَلَوْا من قَبْلُ** ﴾ أي الرسل عليهم السلام ، وهو أن لا حرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسَّع عليهم في باب النكاح وغيره ﴿ **وكانَ أمْرُ اللَّهِ قَدَراً مقدوراً** ﴾ قضاءً مقضياً . [٣٩] ﴿ **الذين يُبَلِّغُونَ رسالاتِ اللَّهِ** ﴾ أحكامه وأوامره ونواهيه ويصدعون بها ﴿ **ويخشَوْنَهُ ولا يَخْشَوْنَ أحداً إلاَّ اللَّهَ وكفى باللَّهِ حسيباً** ﴾ حافظاً لأعمال خلقه ، وكافياً للمخاوف . [٤٠] ﴿ **ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالِكُم** ﴾ ليس أبا أحد من أصحابه ، حتى يثبت بينه وبينه ، ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح ، وزيدٌ واحد منهم ﴿ **ولكِنْ رسولَ اللَّهِ وخاتَمَ النبيِّينَ** ﴾ فليس هو في حكم الأب الحقيقي ، وإنما خُتِمت النبوَّة به ﴿ **وكان اللَّهُ بكلِّ شيءٍ عليماً** ﴾ فلا يقضي إلا بما سبق به علمه ، ونفذت فيه مشيئته ، واقتضته حكمته . [٤١] ﴿ **يا أيُّها الذين آمَنوا اذْكُروا اللَّهَ** ﴾ بما هو أهله من صنوف التحميد والتمجيد ﴿ **ذِكْراً كثيراً** ﴾ أي : يعمُّ الأوقات والأحوال . [٤٢] ﴿ **وسَبِّحُوهُ بُكْرةً وأصيلاً** ﴾ في أول النهار وآخره ، ليسري أثر التسبيح فيهما بقية النهار والليل . [٤٣] ﴿ **هوَ الذي يُصَلِّي عليكُم وملائكتُهُ** ﴾ الصلاة : الرحمة والعطف ، والمعنى : هو الذي يترحَّم عليكم ويترأف حيث يدعوكم إلى الخير ويأمركم بإكثار الذكر ، والتوفر على الصلاة والطاعة ﴿ **لِيُخرِجَكُم من الظُّلُماتِ** ﴾ من ظلمة الكفر والمعاصي والشبهات ومساوىء العادات ﴿ **إلى النُّورِ** ﴾ أي نور الإيمان ومحاسن الأخلاق ﴿ **وكان بالمؤمنين رحيماً** ﴾ حيث لم يتركهم يتخبطون في عمياء الضلالة والجهالة ، بل أنار لهم السبل وأوضح لهم المعالم ، وذكر الملائكة تنويهاً بشأنهم وشأن المؤمنين .

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ
أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

[٤٤] ﴿ **تَحِيَّتُهُم يومَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ** ﴾ أي يُحيُّون يوم لقائه ، بالموت أو الخروج من القبر أو دخول الجنة بسلام ، تبشيراً بالسلامة من كل مكروهٍ وآفة ﴿ **وأعَدَّ لهُم أجْراً كريماً** ﴾ يعني الجنة وما حوته ، مما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

[٤٥] ﴿ **يا أيُّها النبيُّ إنَّا أرسَلْناكَ شاهِداً** ﴾ على من بعثت إليهم بالبلاغ ﴿ **ومُبَشِّراً** ﴾ بالثواب لمن آمن ﴿ **ونذيراً** ﴾ من النار لمن كفر .

[٤٦] ﴿ **وداعياً إلى اللَّهِ** ﴾ إلى دينه وطاعته والإقرار بوحدانيته ﴿ **بإذْنِهِ** ﴾ أي بأمره ووحيه ﴿ **وسِراجاً مُنيراً** ﴾ يُستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ، ويُهتدى بأنواره إلى مناهج الرُّشد والهداية .

[٤٧] ﴿ **وبشِّرِ المؤمنينَ بأنَّ لهُم منَ اللَّهِ فضْلاً كبيراً** ﴾ أي ثواباً عظيماً وأجراً جزيلاً .

[٤٨] ﴿ **ولا تُطِعِ الكافِرين والمنافِقين** ﴾ فيما يرجفون به ويعيبون من جاهليتهم وعوائدهم ﴿ **ودَعْ أذاهُم** ﴾ أي إيصال الضرر إليهم ، مجازاةً لفعلهم ، بل اعفُ واصفحْ ﴿ **وتَوَكَّلْ على اللَّهِ وكفى باللَّهِ وَكيلاً** ﴾ أي موكولاً إليه ، وكفيلاً فيما وعدك من النصر .

[٤٩] ﴿ **يا أيُّها الذين آمَنوا إذا نَكَحْتُمُ المؤمناتِ** ﴾ إذا تزوجتموهن ﴿ **ثُم طلَّقْتُمُوهُنَّ من قَبْلِ أنْ تَمَسُّوهُنَّ فما لكُم عليهِنَّ من عِدَّةٍ تعتَدُّونَها** ﴾ تستوفون عددها من إحصاء أقراء ، ولا أشهر تحصونها عليهن ﴿ **فمَتِّعوهُنَّ** ﴾ أي أعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو مال ﴿ **وسرِّحوهُنَّ** ﴾ أي خلُّوا سبيلهن بإخراجهن من منازلكم ، إذ ليس لكم عليهن عدّة ﴿ **سَراحاً جميلاً** ﴾ من غير ضِرار ولا منع حق [عن سعيد بن المسيب قال : نسخت هذه الآيةَ الآيةُ التي في البقرة : ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾ الآية ٢٣٧ـ ابن جرير] .

[٥٠] ﴿ **ياأيُّها النبيُّ إنَّا أحلَلْنا لكَ أزواجَكَ اللاتي آتَيْتَ أُجورَهُنَّ** ﴾ مهورهن فإنها أجور الأبضاع ، وإيتاؤها إما إعطاؤها معجَّلة ، أو تسميتها في العقد ، وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم ، لا يُعْرَف بينهم غيره ﴿ **وما ملكَتْ يمينُكَ مما أفاءَ اللَّهُ عليكَ** ﴾ وأباح لك التسري مما أخذت من المغانم ﴿ **وبناتِ عمِّكَ وبناتِ عمَّاتِكَ وبناتِ خالِكَ وبناتِ خالاتِكَ اللاتي هاجرنَ معكَ** ﴾ من مكة ، إلى المدينة . والتقييد لبيان الأفضل ﴿ **وامرأةً مؤمِنَةً إنْ وهبَتْ نفْسَها للنبيِّ إنْ أرادَ النبيُّ أنْ يستَنْكِحَها** ﴾ أي يتزوجها ويرغب في قبول هبة نفسها بدون مهر ، وقد سمي من الواهبات ميمونة بنت الحارث ، وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية ، وأم شريك بنت جابر ، وخولة بنت حكيم رضي الله عنهن . وعن ابن عباس أنه لم يكن عنده ﷺ امرأة وهبت نفسها له ، أي أنه لم يقبل ذلك وإن كان مباحاً له ﴿ **خالِصَةً لَكَ** ﴾ هبة خالصة ﴿ **من دونِ المؤمِنين** ﴾ فإنهم لا تحلّ لهم الموهوبة إلا بوليٍّ ومهر ، خوف أن يستسري النساء وينتشر الفحش بدعوى ذلك ﴿ **قد علِمْنا ما فرضْنا عليهِم** ﴾ أي على المؤمنين ﴿ **في أزواجِهِم** ﴾ أي في حلِّها من الوليّ والشهود والمسمّى ﴿ **وما ملكَتْ أيمانُهُم** ﴾ في حلِّها من توسيع الأمر فيها ﴿ **لِكَيْلا يكونَ عليكَ حَرَجٌ** ﴾ أي قد علمنا ما فرضنا عليهم ، وأسقطناه عنك لرفع الحرج عنك والضيق ﴿ **وكانَ اللَّهُ غفوراً رحيماً** ﴾ يغفر ما يعسُر التحرُّز عنه ، ويرحم فيما يوسع في مواقع الحرج .

۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ
وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ
ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا
﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن
يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ
فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ
ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا
يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن
وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ
لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ
مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن
تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

[٥١] ﴿ تُرْجي ﴾ تترك وتؤخّر ﴿ مَن تشاءُ منهُنَّ ﴾ فلا تتزوّج بهن ﴿ وتُؤْوي إليكَ من تشاءُ ﴾ منهن بالتزوّج ﴿ ومَنِ ابتغَيْتَ ممّنْ عَزَلْتَ ﴾ أي اخترت تزوجها بعد إرجائها ﴿ فلا جُناحَ عليكَ ﴾ في أن تضمَّها ﴿ ذلك ﴾ ما ذكر من تفويض الأمر إلى مشيئتك ورفع الحرج عنك فيه ﴿ أدنى أنْ تَقَرَّ أعيُنُهُنَّ ﴾ أي تطيب أنفسهن ، إن علمن أنَّ ذلك من الله تعالى ﴿ ولا يحزَنَّ ﴾ لمخالفة الإرجاء ﴿ ويرضَيْنَ بما آتيتَهُنَّ كلُّهُنَّ ﴾ لأنه حُكْمُ الله تعالى ، فتطمئن به نفوسهن ﴿ واللَّهُ يعلمُ ما في قلوبِكُم ﴾ من الميل إلى البعض منهن دون البعض بالمحبة ﴿ وكان اللَّهُ عليماً ﴾ بذات الصدور ﴿ حليماً ﴾ ذا حلم عن عباده فيعفو ويغفر. وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقسِم بين نسائه فيعدِل ، ثم يقول : (اللهم هذا فعْلي فيما أمْلك ، فلا تلمْني فيما تَمْلك ولا أمْلك) يعني القلب . رواه أحمد وأصحاب السنن .

[٥٢] ﴿ لا يَحِلُّ لك النِّساءُ من بَعْدُ ﴾ أي من بعد النساء اللاتي نصّ إحلالهن لك في الآية قبلُ ﴿ ولا أنْ تَبَدَّلَ بهنَّ من أزواجٍ ولو أعجبَكَ حسنُهُنَّ إلاَّ ما ملكَتْ يمينُكَ ﴾ فلك التسرّي بهن وإن كنَّ كتابيات أو مشركات ، لأنه ليس لهن ما للحرائر ﴿ وكان اللَّهُ على كلِّ شيءٍ رقيباً ﴾ حيث أحل ما أحل وحظر ما حظر للنبي وللأمة .

[٥٣] ﴿ يا أيُّها الذين آمَنوا لا تَدْخُلوا بُيوتَ النبيِّ إلاَّ أنْ يُؤْذَنَ لكُم إلى طعامٍ غيرَ ناظِرينَ إناه ﴾ أي غير منتظرين وقته ، وإدراكه ، نهياً لهم أن يدخلوا ـ مع كونهم مأذوناً لهم ومدعوِّين ـ قبل الميعاد المضروب لهم حضورهم فيه ، عجلة وانتظاراً لنضج الطعام ﴿ ولكنْ إذا دُعِيتُم فادْخُلوا ﴾ أي إذا دُعيتم إلى الدخول في وقته ، فادخلوا فيه لا قبله ولا بعده ﴿ فإذا طَعِمْتُم فانتَشِروا ﴾ فتفرّقوا ولا تمكثوا ﴿ ولا مُسْتَأْنِسينَ لحديثٍ ﴾ لحديث بعضكم بعضاً ، أو لحديث أهل البيت بالتسمع له ﴿ إنَّ ذلِكُم ﴾ المنهي عنه في الآية ﴿ كانَ يُؤْذِي النبيَّ ﴾ لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وإشغاله بما لا يعنيه ﴿ فيستَحْيِي منكُم ﴾ من الإشارة إليكم بالانتشار ﴿ واللَّهُ لا يستحْيِي مِنَ الحَقِّ ﴾ يعني أن انتشاركم حق ، فينبغي أن لا يُترك حياء ، كما لا يتركه الله ترك الحييّ ﴿ وإذا سألتُموهُنَّ ﴾ الضمير لنساء النبي ﷺ ، المدلول عليهن بذكر بيوته ﷺ ﴿ مَتاعاً ﴾ شيئاً يُتَمَتَّع به ﴿ فاسْأَلُوهُنَّ مِن وراءِ حجابٍ ﴾ أي ستر ﴿ ذلِكُمْ ﴾ ما ذُكِرَ من عدم الدخول بغير إذن ، وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول ، وسؤال المتاع من وراء حجاب ﴿ أطهَرُ لقلوبِكُم وقلوبِهِنَّ ﴾ من الخواطر الشيطانية ، في الميْل إليهن وإليكم ، يعني ويجب التطهر عنه ، لما فيه من إيذاء رسول الله ﷺ ﴿ وما كان لكُم أنْ تُؤْذُوا رسولَ اللَّهِ ﴾ أن تفعلوا فعلاً يتأذَّى به في حياته ﴿ ولا أنْ تَنْكِحوا أزواجَهُ من بعدِهِ ﴾ من بعد وفاته لا إلى انقضاء العدة بل ﴿ أبداً ، إنَّ ذلِكُم كانَ عندَ اللَّهِ عظيماً ﴾ أمراً عظيماً وخطْباً هائلاً .

[٥٤] ﴿ إنْ تُبْدوا شيئاً ﴾ مما لا خير فيه ، كنكاحهن على ألسنتكم ﴿ أو تُخْفُوهُ ﴾ في نفوسكم ﴿ فإنَّ اللَّهَ كان بكلِّ شيءٍ عليماً ﴾ فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة .

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ
إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ
بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ
أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

[٥٥] ﴿ لا جُناحَ عليهِنَّ في آبائِهِنَّ ولا أبنائِهِنَّ ولا إخوانِهِنَّ ولا أبناءِ إخوانِهِنَّ ولا أبناءِ أخواتِهِنَّ ولا نسائِهِنَّ ﴾ لا حرج ولا إثم عليهن ، في أن لا يحتجبن من هؤلاء المسمَّيْن . وقيل : أريد بقوله تعالى ﴿ ولا نسائِهِنَّ ﴾ المسلمات ، حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على أزواج رسول الله ﷺ ، وقيل هو عامّ في المسلمات والكتابيات ، وإنما قال : ﴿ ولا نسائِهِنَّ ﴾ لأنهن من أجناسهن ﴿ ولا ما ملكَتْ أيْمانُهُنَّ ﴾ والآية مخصوصة بالإماء دون العبيد ، وتقدّم تفصيل ذلك في سورة النور ﴿ واتَّقِينَ اللَّهَ ﴾ أي أن تتعدين ما حدَّ لكنَّ ﴿ إنَّ اللَّهَ كان على كلِّ شيءٍ شهيداً ﴾ فهو شاهد على ما تفعلنه .

[٥٦] ﴿ إنَّ اللَّهَ وملائكتَهُ يُصلُّونَ على النبيِّ ، يا أيُّها الذينَ آمَنوا صَلُّوا عليهِ وسلِّموا تَسْليماً ﴾ روى البخاري عن أبي العالية قال : « صلاة الله : ثناؤه عليه عند الملائكة . وصلاة الملائكة : الدعاء » .

[٥٧] ﴿ إنَّ الذين يُؤْذُونَ اللَّهَ ورسولَهُ لعنَهُمُ اللَّهُ في الدُّنْيا والآخرةِ ، وأعدَّ لهم عذاباً مُهيناً ﴾ ينالون فيه الهوان والخزي [عن ابن عباس قال : نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي بن أخطب ـ ابن جرير] .

[٥٨] ﴿ والذين يُؤْذونَ المؤمنينَ والمؤمِنات ﴾ بقول أو فعل ﴿ بغيرِ ما اكتسَبُوا ﴾ بغير جناية يستحقّون بها الأذيّة ﴿ فقد احتَمَلوا بُهْتانا وإثْماً مُبيناً ﴾ ظاهراً بيِّناً .

[٥٩] ﴿ يا أيُّها النبيُّ قُلْ لأزواجِكَ وبناتِكَ ونساءِ المؤمنين يُدنِينَ عليهِنَّ من جَلابيبِهِنَّ ﴾ جمع « جلباب » كسِرْداب ، وهو الرداء فوق الخمار ، تتغطّى به المرأة . وقال الزمخشري : الجلباب ثوب واسع ، أوسع من الخمار ، ودون الرداء ، تلويه المرأة على رأسها ويبقى منه ما ترسله على صدرها ﴿ ذلك أدْنى أن يُعْرَفْنَ فلا يُؤْذَيْنَ ﴾ أي : أولى وأجدر بأن يعرفن أنهن حرائر ، فلا يُتعرَّض لهنَّ ، ولا يَلْقين ما يكرهن ﴿ وكان اللَّهُ غفوراً ﴾ لما سلف منهنّ بالتفريط ﴿ رحيماً ﴾ بعباده [عن ابن عباس قال : كانت الحرة تلبس لباس الأمة ، فأمر الله نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن وإدناء الجلباب أن تقنع وتشد على جبينها ـ ابن جرير] . [٦٠] ﴿ لئِنْ لم ينتَهِ المنافِقُونَ ﴾ عن نفاقهم ﴿ والذين في قلوبِهِم مرضٌ ﴾ ضعف إيمان عن مراودة النساء بالفجور ﴿ والمُرْجِفُونَ في المدينَةِ ﴾ بأخبار السوء اللاتي يفترونها وينشرونها ، كمجيء عدو وانهزام سريَّة مما يَكْسِرون به قلوب المؤمنين ، و« الرَّجفة » الزلزلة ، يُسمَّى به الخبر المُفترَى لكونه خبراً متزلزلاً غير ثابت ﴿ لنُغْرِيَنَّكَ بِهِم ﴾ لنسلِّطنَّك عليهم بما يضطرُّهم إلى الجلاء ﴿ ثم لا يُجاوِرونَكَ فيها ﴾ في المدينة من قُوَّة بأسك عليهم ﴿ إلا قليلاً ﴾ إلا زمناً قليلاً ريثما يستعدّون للرحلة .

[٦١] ﴿ ملْعونينَ أينما ثُقِفوا ﴾ لا يستريحون بالخروج ، لِلصُوقِ اللَّعنة بهم أينما وُجِدوا ﴿ أُخِذوا وقُتِّلوا تَقْتيلاً ﴾ أي أُسِروا وبولغ في قتلهم لذلَّتهم وقلَّتهم .

[٦٢] ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ في الذين خَلَوْا مِن قَبْلُ ﴾ أي في المفترين والمؤذين الذين مَضَوْا ، إذا تمرَّدوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا ، أن يسلِّط عليهم أهلَ الإيمان فيقهرونهم ﴿ ولنْ تَجِدَ لسُنَّةِ اللَّهِ تَبْديلاً ﴾ لأنه لا يبدلها ، أو لا يقدر أحد أن يبدلها .

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ
وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

[٦٣] ﴿ **يسألُكَ الناسُ عَنِ السَّاعَةِ** ﴾ يسألونك عن وقت قيامها ﴿ **قُلْ إنَّما عِلْمُها عندَ اللَّهِ** ﴾ فلم يطلع عليه نبياً ولا مَلَكاً ﴿ **وما يُدْريكَ لعلَّ السَّاعةَ تكونُ قريباً** ﴾ يبيِّن لهم أنها قد تكون قريبة الوقوع ، تهديداً للمستعجلين وإسكاتاً للمُمْتَحِنين .

[٦٤] ﴿ **إنَّ اللَّهَ لعنَ الكافِرين** ﴾ أبعدهم من رحمته ﴿ **وأعدَّ لهُم سَعِيراً** ﴾ ناراً شديدة الاتقاد في الآخرة .

[٦٥] ﴿ **خالِدينَ فيها أبداً ، لا يجِدُونَ وليّاً** ﴾ حافظاً يتولاَّهم ﴿ **ولا نَصيراً** ﴾ يخلِّصهم .

[٦٦] ﴿ **يومَ تُقَلَّبُ وجوهُهُم في النَّارِ** ﴾ أي تُصرف من جهة إلى جهة ، وخُصَّت الوجوه بالذكر لأن الوجه أكرم موضع في جسد الإنسان ﴿ **يقولونَ يا ليْتَنا أطَعْنا اللَّهَ وأطَعْنا الرَّسُولا** ﴾ لِنَنْجُوَ من هذا العذاب .

[٦٧] ﴿ **وقالوا ربَّنا إنَّا أطَعْنا سادَتَنا وكُبَراءَنا** ﴾ وهم رؤساء الكفر الذين لقَّنوهم الكفر وزيَّنوه لهم حتى قلَّدوهم فيه ﴿ **فأضَلُّونَا السَّبيلا** ﴾ بما زيَّنوه لنا .

[٦٨] ﴿ **ربَّنا آتِهِم ضِعْفَيْنِ من العَذابِ** ﴾ الذي آتيتناه لأنهم ضلُّوا وأضلُّوا ﴿ **والعَنْهُم لَعْناً كبيراً** ﴾ لعناً هو أشد اللعن وأعظمه .

[٦٩] ﴿ **يا أيُّها الذين آمَنوا لا تكونوا كالذين آذَوْا مُوسى فبرَّأَهُ اللَّهُ ممَّا قالوا ، وكانَ عِندَ اللَّهِ وجيهاً** ﴾ كان يقول ﷺ في جواب جفاة الأعراب حين ما يبلغه أو يسمع ما يكره : (رحمة الله على موسى ، لقد أوذِيَ بأكثر من هذا فصبر) رواه الشيخان واللفظ لأحمد .

[٧٠] ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمَنوا اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ في كل ما تأتون وما تذرون ، لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلاً عما يؤذي رسولَه ﷺ ﴿ **وقُولُوا** ﴾ في كل شأن من الشؤون ﴿ **قَوْلاً سديداً** ﴾ قوياً حقاً صواباً .

[٧١] ﴿ **يُصْلِحْ لكُم أعمالَكُم** ﴾ بإمداد الصلاح والكمالات والفضائل عليكم ، لأنه لا يصح عملٌ ما بدون الصدق أصلاً ﴿ **ويغفِرْ لكُم ذُنوبَكُم** ﴾ ويجعلها مكفَّرة باستقامتكم في القول والعمل ، فإن الحسنات يُذهبن السيئات ﴿ **ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورسولَهُ** ﴾ في الأوامر والنواهي التي من جملتها هذه التشريعات ﴿ **فقدْ فازَ فَوْزاً عظيماً** ﴾ في الدارَيْن .

[٧٢] ﴿ **إنَّا عَرَضْنَا الأمانَةَ** ﴾ طاعة الله ورسوله عبَّر عنها بالأمانة ﴿ **على السَّمٰوات والأرضِ والجبالِ فأبَيْنَ أنْ يحمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنْها** ﴾ المعنى : أن تلك الأمانة في عِظَم الشأن ، بحيث لو كلفت هاتيك الأجرام العظام ، التي هي مثَلٌ في القوّة والشدّة ، مراعاتَها ، وكانت ذات شعور وإدراك ، لأَبَيْنَ قبولها وأشفقن منها ﴿ **وحمَلَها الإنسانُ** ﴾ عند عرضها عليه ، والتزَمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة ﴿ **إنَّهُ كان ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾ بحسب غالب أفراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة ، أو اعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدِّلوا فطرةَ الله تبديلاً [قال ابن جرير: عني بالامانة في هذا الموضع جميع معاني الأمانات في الدين، وأمانات الناس].

[٧٣] ﴿ **لِيُعَذِّبَ اللَّهُ المنافِقينَ والمنافقاتِ والمشركين والمشركاتِ** ﴾ ليعذب الله بعض أفراده الذين لم يُراعُوها ولم يقابلوها بالطاعة ﴿ **ويتوبَ اللَّهُ على المؤمنينَ والمؤمناتِ وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾ مبالغاً في المغفرة والرحمة .

سُورَةُ سَبَإٍ

ترتيبها ٣٤ — آياتها ٥٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ
فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ
ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ
قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

[سورة سبأ]

سميت سبأ لِتَضَمُّنِ قصتها آية تدل على نعيم الجنة في السعة وعدم الكلفة والخلوِّ عن الآفة وتبدُّلها بالنقم لمن كفر بالمنعم . وهي مكية واستثني منها ﴿ وَيَرَى الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾ الآية . وعدد آياتها أربع وخمسون آية .

[١] ﴿ **الحمدُ للَّهِ الذي لَهُ ما في السَّمٰواتِ وما في الأرضِ** ﴾ خلقاً وملكاً وتصرُّفاً بما شاء ﴿ **ولهُ الحمدُ في الآخِرةِ** ﴾ أي في النشأة الآخرة ﴿ **وهو الحكيمُ** ﴾ الذي أحكم أمور الدارين ودبَّرها بحكمته ﴿ **الخبيرُ** ﴾ بخلقه وأعمالهم وسرائرهم .

[٢] ﴿ **يعلَمُ ما يَلِجُ في الأرضِ** ﴾ من الأمطار والمياه والكنوز والدفائن والأموات ﴿ **وما يخرُجُ منها** ﴾ من الشجر والنبات وماء العيون والغلّة والدواب ﴿ **وما يَنْزِلُ من السَّماءِ** ﴾ من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة والمقادير ﴿ **وما يعْرُجُ فيها** ﴾ من الملائكة وأعمال العباد ﴿ **وهو الرحيمُ الغفورُ** ﴾ لمن تاب من المؤمنين وقام بواجب شكره .

[٣] ﴿ **وقالَ الذين كَفَروا** ﴾ يعني مشركي مكّة : ﴿ **لا تأتِينا الساعةُ** ﴾ أي ساعة الجزاء ، إنكاراً لها ﴿ **قُلْ بَلى وربّي لتأتِيَنَّكُم** ﴾ الساعة ﴿ **عالمِ الغيبِ** ﴾ وفي هذا التوصيف تقوية للتأكيد ﴿ **لا يعْزُبُ** ﴾ بضم الزاي وكسرها ، لا يغيب ﴿ **عنهُ مِثْقالُ ذرَّةٍ في السَّمٰواتِ ولا في الأرضِ ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ إلاَّ في كتابٍ مبينٍ** ﴾ فالجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شيء وإن تناهى في الصغر. [وهذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لها مما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد ، فإحداهن في سورة يونس ، وهي قوله تعالى : ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحقٌّ ﴾ والثانية هذه : ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم ﴾ والثالثة في سورة التغابن في قوله تعالى : ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ ـ ابن كثير].

[٤] ﴿ **ليجزيَ الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ** ﴾ علَّة لقوله تعالى ﴿ لتأتِيَنَّكُم ﴾ وبيان لما يقتضي إتيانها من جزاء المحسن والمسيء ﴿ **أولئك لهُمْ مغفِرَةٌ ورزقٌ كريمٌ** ﴾ أي عيش هنيء في الآخرة .

[٥] ﴿ **والذين سعَوْا في آياتِنا** ﴾ بالطعن فيها ونسبتها إلى السحر والشعر وغير ذلك ﴿ **مُعاجِزِينَ** ﴾ مقدِّرين الغلبة والعجز في زعمهم الفاسد وظنهم الباطل ﴿ **أولئك لهُم عذابٌ من رِجْزٍ** ﴾ وهو أسوأ العذاب ﴿ **أليمٌ** ﴾ بالرفع صفة ﴿ عذاب ﴾ وبالجر صفة ﴿ رجز ﴾ .

[٦] ﴿ **ويَرى** ﴾ ويعلم ﴿ **الذين أُوتُوا العِلْمَ الذي أُنْزِلَ إليك مِن ربِّك هوَ الحقَّ ويَهدي إلى صِراطِ العزيزِ الحميدِ** ﴾ إلى دينه وشرعه .

[٧] ﴿ **وقالَ الذين كَفَروا** ﴾ من قريش ﴿ **هل ندُلُّكُم على رَجُلٍ** ﴾ يعنون النبي ﷺ ﴿ **يُنَبِّئُكُم إذا مُزِّقْتُم كُلَّ مُمَزَّقٍ** ﴾ أي فُرِّقْتُم كلَّ تفريق ، بحيث صرتم تراباً ورفاتاً ﴿ **إنَّكُم لَفي خَلْقٍ جديدٍ** ﴾ .

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ
ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ
يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ
سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ
وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ
وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ
ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ
إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ
أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

[٨] ﴿ أفترى على الله كذباً ﴾ فيما قاله ﴿ أم به جنةٌ ﴾ أي جنون تخيَّل به ذلك ، فردَّ الله تعالى عليهم ما نعى به سوءَ حالهم بقوله : ﴿ بل الذين لا يُؤمنون بالآخرة في العذابِ والضَّلالِ البعيدِ ﴾ المتناهي أمرُه .

[٩] ﴿ أفلَمْ يَرَوْا إلى ما بَيْنَ أيديهم وما خلفَهُم من السَّماءِ والأرضِ ﴾ أعَموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض وإنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم ﴿ إنْ نَشأْ نخسِفْ بهمُ الأرضَ أو نُسقِطْ عليهم كِسَفاً من السَّماءِ ﴾ « الكِسْف » بسكون السين بمعنى القِطع ﴿ إنَّ في ذلك ﴾ النظر إلى السماء والأرض والتفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله ﴿ لآيةً ﴾ دلالة واضحة ﴿ لكلِّ عَبْدٍ مُنيبٍ ﴾ راجع إلى ربه مطيع له .

[١٠] ﴿ ولقَدْ آتينا داودَ منّا فَضْلاً يا جِبالُ أوِّبي معَهُ ﴾ رجِّعي معه التسبيح ﴿ والطَّيْرَ ﴾ بالرفع والنصب ، عطفاً على لفظ الجبال ومحلها أو بمعنى : وسخَّرنا له الطير ﴿ وألَنَّا لَهُ الحَديدَ ﴾ [عن قتادة قال : كان يسويها بيده ولا يدخلها ناراً ، ولا يضربها بحديدة ـ ابن جرير] .

[١١] ﴿ أنِ اعْمَلْ سابغاتٍ ﴾ دروعاً واسعات ﴿ وقدِّرْ في السَّرْدِ ﴾ واقتصد في نسج الدروع لتتناسب حِلَقُها ﴿ واعمَلوا صالِحاً ﴾ أي : وقلنا له ولأهله ذلك ﴿ إنِّي بما تعمَلونَ بَصيرٌ ﴾ فأجازيكم به .

[١٢] ﴿ ولسُليمانَ ﴾ وسخَّرنا لسليمان ﴿ الرِّيحَ غُدُوُّها شهرٌ ورَواحُها شهرٌ ﴾ أي جَرْيها بالغداة مسيرة شهر ، وجريها بالعشي كذلك ، والريح : الهواء المسخَّر بين السماء والأرض ، ويطلق بمعنى النصرة والدلالة والغَلَبة والقوّة ﴿ وأسَلْنا له عَيْنَ القِطْرِ ﴾ أي النحاس المذاب ، أجرينا له ينبوعه لكثرة ما توفر لديه منه من سعة ملكه ﴿ ومن الجِنِّ ﴾ أي الشياطين الأقوياء ﴿ من يعمَلُ بَيْنَ يدَيْهِ ﴾ من رفع المباني وإشادة القصور وغيرها ﴿ بإذنِ ربِّهِ ﴾ بأمره تعالى ﴿ ومن يَزِغْ منهُم عن أمرِنا نُذِقْهُ من عذابِ السَّعيرِ ﴾ من عذاب النار .

[١٣] ﴿ يعمَلون لهُ ما يشاءُ من مَحاريبَ ﴾ من مساكن ومجالس شريفة أو مساجد ﴿ وتَماثيلَ ﴾ صور ونقوش منوَّعة على الجُدُر والسقوف والأعمدة ، جمع « تمثال » وهو كل ما صُوِّر على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان ، ولم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرَّماً ، وهو منسوخ في شرعنا ﴿ وجِفانٍ كالجَوابِ ﴾ وصحاف كالجوابي وهي الحياض الكبار ، و« الجِفان » جمع جفنة وهي كالصحفة والقصعة ، ما يوضع فيه الطعام مطلقاً ﴿ وقُدورٍ راسِياتٍ ﴾ أي ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لِعِظَمِها ﴿ اعْمَلُوا آلَ داودَ شُكْراً ﴾ قيل لهم : اعملوا للَّه واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه ، وفيه إشارة إلى أن العمل حقه أن يكون للشكر لا للرجاء والخوف ، كما أن فيه وجوب الشكر ، وأنه يكون بالعمل ولا يختص باللسان ﴿ وقليلٌ من عبادِيَ الشَّكُورُ ﴾ المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه ، أكثر أوقاته .

[١٤] ﴿ فلمَّا قضَيْنا عليهِ ﴾ على سليمان ﴿ الموتَ ، ما دلَّهُم على موتِهِ إلاَّ دابَّةُ الأرضِ ﴾ هي الأرَضَة ﴿ تأكُلُ مِنْسأَتَهُ ﴾ عصاه التي ينسأ بها ، أي يطرد ويؤخر ﴿ فلمّا خرَّ تبيَّنَتِ الجِنُّ أنْ لَوْ كانوا يعلَمون الغيْبَ ما لبِثوا في العذابِ المُهينِ ﴾ أي الشديد من الجري على رسمه لهم ، والدأب عليه ، لظنهم إياه حيّاً [قال ابن جرير: ﴿ما لبثوا في العذاب المهين﴾ المذل حولاً كاملاً بعد موت سليمان وهم يحسبون أن سليمان حي] .

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ
كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

[١٥] ﴿ لقدْ كان لسبإٍ ﴾ اسم لأبي قبيلة ، وقيل اسم لها ﴿ في مسكَنِهِم ﴾ أي في مواضع سكناهم ، باليمن ﴿ آيَةٌ ﴾ على قدرته تعالى ومجازاته المسيء ﴿ جَنَّتانِ عن يَمينٍ وشِمالٍ ﴾ أي جماعتان من البساتين عن يمين بلدهم وشمالها ، أو لكل واحد جنتان عن يمين مسكنه وشماله ﴿ كُلوا من رِزْقِ رَبِّكُم واشْكُروا لَهُ ﴾ بصرف ما أنعم به عليكم إلى ما خلق لأجله ﴿ بلْدةٌ طيِّبَةٌ ﴾ مباركة لا عاهة فيها ﴿ وربٌّ غفورٌ ﴾ لمن شكره .

[١٦] ﴿ فأعْرَضوا ﴾ عن الشكر ﴿ فأرسَلْنا عليهِم سَيْلَ العَرِمِ ﴾ فلما طغوا أهلكهم الله بخراب السد ، فانهال عليهم تيار مائه فأغرق بلادهم وأفسد عمرانهم وأرضهم ، واضطر من نجا منهم للنزوح عنها ﴿ وبدَّلناهُم بجنَّتَيْهِم جَنَّتَيْنِ ذواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾ أي ثمر مرٍّ لا يؤكل ﴿ وأثْلٍ ﴾ شجر يشبه الطرفاء من شجر البادية لا ثمر له ﴿ وشيءٍ من سِدْرٍ قليلٍ ﴾ وهو شجر النبق ، أي قلة لا تسمن ولا تغني من جوع .

[١٧] ﴿ ذلكَ جزَيْناهُم بما كَفَروا ، وهل نُجازي إلاَّ الكَفُورَ ﴾ بشكر النعم ، أو باتباع الرسل .

[١٨] ﴿ وجعلْنا بينَهُم وبيْنَ القُرى التي باركْنا فيها ﴾ بالزروع والثمار وحسن العمران ﴿ قُرىً ظاهِرةً ﴾ لأعين الناظرين ﴿ وقدَّرنا فيها السَّيْرَ ﴾ فمن سار من قرية صباحاً وصل إلى أخرى وقت الظهيرة والقيلولة ، ومن سار بعد الظهر وصل إلى أخرى عند الغروب ﴿ سِيرُوا فيها لَيالِيَ وأياماً آمِنينَ ﴾ لا تخافون .

[١٩] ﴿ فقالوا ربَّنا باعِدْ بين أسفارِنا ﴾ فاستعدوا لضلالهم وكفرهم لأن تجعل أمكنتهم تعمل فيها المطيُّ والرواحل ، لتباعد ما بينها وبين ما يسيرون إليه ، وحصل ذلك بما بدَّلوا به من بلادهم الحسنة ﴿ وظَلَمُوا أنفسَهُم ﴾ حتى حلَّ بهم ما حل ﴿ فجعلناهُم أحاديثَ ﴾ يتحدث الناس بهم ويتعجبون من نبئهم ﴿ ومزَّقْناهُم كلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ أي فرَّقناهم كل تفريق ﴿ إنَّ في ذلكَ ﴾ فيما ذُكر من قصتهم ، وما حلَّ بهم من النقمة والعذاب ﴿ لآياتٍ ﴾ لعِبَراً عظيمة ﴿ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكورٍ ﴾ شأنه الصبر عن الشهوات ، والشكر على النِّعَم .

[٢٠] ﴿ ولقد صدَّقَ عليهِم إبليسُ ظَنَّهُ ﴾ وذلك إما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات ، أو ببني آدم حينما رأى ما ركب فيهم من الشهوة والغضب ﴿ فاتَّبَعوهُ إلاَّ فريقاً من المؤمنين ﴾ .

[٢١] ﴿ وما كانَ لَهُ عليهِم من سُلْطانٍ إلاَّ لنعلَمَ مَنْ يُؤمِنُ بالآخِرةِ ممَّنْ هو مِنْها في شَكٍّ ﴾ ما كان له عليهم من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء ، إلاّ لغرض صحيح وحكمة بيِّنة ، وذلك أنْ يتميَّزَ المؤمن بالآخرة من الشاكِّ فيها ﴿ وربُّكَ على كلِّ شيءٍ حفيظٌ ﴾ أي رقيب قائم على أحواله وأموره .

[٢٢] ﴿ قُلِ ﴾ للمشركين ، إظهاراً لبُطلان ما هم عليه ، وتبكيتاً لهم ﴿ ادْعُوا الذين زَعَمْتُم من دونِ اللَّهِ ﴾ أي زعمتموهم آلهة ﴿ لا يَمْلِكونَ مِثْقالَ ذرَّةٍ في السَّمٰواتِ ولا في الأرضِ ، وما لهم فيهما من شِرْكٍ ﴾ لا خلقاً ولا ملكاً ولا تصرُّفاً ﴿ وما لَهُ منهُم من ظَهيرٍ ﴾ من معين يعينه على تدبير خلقه .

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن
قُلُوبِهِمْ ۖ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ
﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ
وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل
لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ
﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

[٢٣] ﴿ ولا تنفعُ الشَّفاعةُ عندَه إلاَّ لمنْ أذِنَ لَهُ ﴾ من المستأهلين لمقام الشفاعة كالنبيين والملائكة ﴿ حتَّى إذا فُزِّعَ عن قُلوبِهم ﴾ كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم ، بكلمة يتكلم بها ربُّ العزة في إطلاق الإذن ﴿ قالُوا ﴾ سائلاً بعضهم بعضاً : ﴿ ماذا قالَ ربُّكُم قالوا الحَقَّ ﴾

أي : قال قولَ الحق ، وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى ﴿ وهو العليُّ الكبيرُ ﴾ ذو العلوّ والكبرياء ، ليس لملك ولا نبيّ أن يتكلم إلا بإذنه ، وأن يشفع إلا لمن ارتضى .

[٢٤] ﴿ قُلْ مَن يرزُقُكُم مِنَ السَّمٰواتِ والأرضِ ﴾ أمرٌ بتبكيت المشركين بحملهم على الإقرار بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ الذي تعترفون بأنه هو الخالق ، فحينئذ قامت الحجة عليهم منهم ﴿ وإنّا أو إيَّاكُم لعلى هُدًى أو في ضَلالٍ مُبينٍ ﴾ ونحوه قول الرجل لصاحبه : علم الله الصادق مني ومنك ، وإن أحدنا لكاذب .

[٢٥] ﴿ قُلْ لا تُسألون عمّا أجرَمْنا ولا نُسألُ عمّا تعمَلُون ﴾ قل لهؤلاء المشركين : لا تُسألون عما أجرمنا من جرم وركبنا من إثم ، ولا نُسأل نحن عما تعملون من عمل ، أي : لستم منا ولا نحن منكم .

[٢٦] ﴿ قُلْ : يجمعُ بيننا ربُّنا ﴾ أي يوم القيامة على صعيد واحد ﴿ ثُم يفتحُ بيننا بالحَقِّ ﴾ يقضي بالعدل ، لأن أحد فريقينا على هدىً والآخر على ضلال ، فيتبيَّن يومئذٍ المهتدي منَّا من الضالِّ ويجزي كلاً بعمله ﴿ وهو الفتَّاحُ العليمُ ﴾ الحاكم العادل العليم بالقضاء بين خلقه ، لأنه لا تخفى عليه خافية ، ولا يحتاج إلى شهود تعرِّفه المحق من المبطل .

[٢٧] ﴿ قُلْ أَرُونِيَ الذينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُركاءَ ﴾ أي جعلتموها لله أنداداً وصيرتموها له عدْلاً ﴿ كلاّ ﴾ ردع لهم عن المشاركة ، بعد إبطال المقايسة ﴿ بلْ هُوَ اللَّهُ العزيزُ الحكيمُ ﴾ الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة ، فأين شركاؤكم ، وهي أخسُّ الأشياء وأذلها ، من هذه الرتبة العالية .

[٢٨] ﴿ وما أرسَلْناكَ إلاّ كافَّةً للناسِ بشيراً ونذيراً ﴾ أرسلناك لجميع الخلائق من المكلَّفين ، تبشر من أطاعك بالجنة ، وتنذر من عصاك بالنار ﴿ ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يَعْلَمون ﴾ فيحملهم جهلهم على ما هم فيه من الغيِّ والضلال ، والتحقيق في معنى عموم إرساله وشمول بعثته ، هو مجيئه بشرع ينطبق على مصالح الناس وحاجاتهم أينما كانوا ، وأيّ زمان وجدوا ، مما لم يتفق في شرع قبله قط ، ولهذا ختمت النبوّات بنبوته ﷺ .

[٢٩] ﴿ ويقولونَ ﴾ على سبيل الاستهزاء ﴿ متى هذا الوعدُ إنْ كنتُم صادِقينَ ﴾ .

[٣٠] ﴿ قُلْ لَكُم مِيعادُ يومٍ لا تستأخِرُونَ عنْهُ ساعةً ولا تستَقْدِمونَ ﴾ .

[٣١] ﴿ وقالَ الذين كَفَروا لَنْ نُؤْمِنَ بهذا القُرْآنِ ولا بالذي بينَ يَدَيْهِ ﴾ وهو ما نزل قبل القرآن من كتبه تعالى ﴿ ولو تَرى إذِ الظَّالِمونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ ربِّهِم يَرْجِعُ بعضُهُم إلى بعضٍ القولَ ﴾ يتجاذبون أطراف المحادثة ويتراجعونها بينهم ﴿ يقولُ الذينَ اسْتُضْعِفوا ﴾ وهم الأتباع ﴿ للذين استَكْبَروا ﴾ وهم قادتهم وسادتهم ﴿ لَوْلا أنتُم لكُنّا مُؤْمِنين ﴾ .

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ
عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا
زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ
بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ
إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ
أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

[٣٢] ﴿ قالَ الذينَ استَكْبَروا للذينَ اسْتُضْعِفوا أَنَحْنُ صَدَدْناكُم عنِ الهُدى بعْدَ إذْ جاءَكُم بلْ كنتُم مُجْرِمينَ ﴾ نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنّا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان ، وخالفتم الأدلة والبراهين والحِجَج التي جاءت بها الرسل لشهوتكم واختياركم لذلك .

[٣٣] ﴿ وقالَ الذينَ اسْتُضْعِفوا للذينَ استَكْبَروا بَلْ مَكْرُ اللَّيلِ والنّهارِ ﴾ أي مكركم فيهما وإغراؤكم وتَمْنِيَتكم لنا ﴿ إذْ تأمُرُونَنا أنْ نَكْفُرَ باللَّهِ ونجعَلَ لهُ أنْداداً ﴾ أي نظراء وآلهة معه ﴿ وأسَرُّوا ﴾ أي الجميع من السادة والأتباع ﴿ النَّدامةَ لمّا رَأَوُا العذابَ وجعلنا الأغلالَ في أعناقِ الذينَ كَفَرُوا ﴾ وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم ﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إلاّ ما كانوا يعمَلُون ﴾ بأعمالهم كلٌّ بحسبه ، للقادة عذاب بحسبهم ، وللأتباع بحسبهم .

[٣٤] ﴿ وما أرسَلْنا في قريَةٍ مِن نَذيرٍ إلاّ قالَ مُتْرفوها إنّا بِما أُرْسِلْتُم بهِ كافِرُون ﴾ [عن قتادة قال : هم رؤوسهم وقادتهم في الشر ـ ابن جرير] .

[٣٥] ﴿ وقالوا نحنُ أكثَرُ أمْوالاً وأوْلاداً وما نحنُ بمُعذَّبين ﴾ زعماً أنه أكرمهم الله بذلك في الدنيا ، فلا يعذبهم في الآخرة على تقدير وقوعها ، وتوهُّماً بأنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ، ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم .

[٣٦] ﴿ قُلْ إنَّ ربّي يَبْسُطُ الرِّزقَ لمن يشاءُ ويقدرُ ﴾ يضيق عليه حسب ما اقتضته حكمته ومشيئته في عباده ، من يحب ومن لا يحب ، وهو أعلم بمقتضياته وشؤونه ، فلا يقاس على ذلك أمر الثواب والعذاب ، اللذين مناطهما الطاعة وعدمها ﴿ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعْلَمُون ﴾ فيزعمون أن مدار البسط الكرامة ، والتضييق الهوان ، ويجهلون أن مناط الفوز والقرب منه تعالى ، إنما هو الكمالات النفسية وذلك بصدق الإيمان وحسن الاتباع .

[٣٧] ﴿ وما أمْوالُكُم ولا أوْلادُكُم بالتي تقرِّبُكُم عندنا زُلْفى ﴾ بالمزيَّة التي تقرِّبكم قربة ﴿ إلاّ مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صالحاً ﴾ [قال ابن جرير: فإنه تقربهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه الى الله زلفى دون أهل الكفر بالله] ﴿ فأولئك لهُم جزاءُ الضِّعْفِ ﴾ أي الثواب المضاعف ﴿ بما عَمِلوا وهُم في الغُرُفاتِ آمِنونَ ﴾ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . [وأخرج ابن أبي حاتم رحمه الله عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن في الجنة لغرفاً ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها)، فقال أعرابي : لمن هي ؟ قال ﷺ : (لمن طيّب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام) ـ ابن كثير] .

[٣٨] ﴿ والذين يسْعَوْن في آياتِنا ﴾ بالصدّ عنها والطعن فيها ﴿ مُعاجِزين ﴾ قاصدين المُعاجزة والمغالبة والقهر ﴿ أولئك في العذابِ مُحْضَرُون ﴾ في عذاب جهنم مُحْضَرون يوم القيامة .

[٣٩] ﴿ قُلْ إنَّ ربِّي يَبْسُطُ الرِّزقَ لمن يشاءُ من عبادِهِ ويقدِرُ لَهُ وما أنفَقْتُم منْ شيْءٍ ﴾ [عن سعيد بن جبير قال : ما كان في غير إسراف ولا تقتير ـ ابن جرير] ﴿ فهوَ يُخْلِفُه ﴾ أي يعوِّضه ، فإن ينابيع خزائنه لا تنضب ﴿ وهو خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ أي أعلاهم ، لأنه خالق الرزق وخالق الأسباب التي ينتفع بها المرزوق بالرزق .

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ۚ
وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ
يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن
تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم
مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

[٤٠] ﴿ ويومَ يحشرُهم جميعاً ثم يقولُ للملائكةِ أهَؤُلاءِ إيَّاكُم كانوا يعبُدُون ﴾ .

[٤١] ﴿ قالوا سُبْحانَكَ أنتَ وليُّنا مِن دُونِهِم بَلْ كانوا يعبُدون الجِنَّ ، أكثرُهُم بِهِم مُؤْمِنون ﴾ هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفّار ، وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى مُنَزَّهين برءاء مما وُجِّه إليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير . وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف الأنداد عند مشركي العرب ، ولأن عبادتهم مبدأ الشرك وأصله لزعمهم أن الأوثان على صور الهياكل العلوية المقرَّبة ، فتكون شفعاء لهم ، والأكثر بمعنى الكل ، والثاني للجن .

[٤٢] ﴿ فاليومَ لا يملِكُ بعضُكُم لبعضٍ نفعاً ولا ضَرًّا ﴾ الأمر كله فيه لله ، وهذا من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزُّه والتبرُّؤ عمّا نَسَب إليهم الكفرة ﴿ ونقولُ للذين ظلَمُوا ﴾ وهم المشركون : ﴿ ذُوقُوا عذابَ النّارِ التي كُنْتُم بِها تُكَذِّبُون ﴾ .

ربع الحزب ٤٤

[٤٣] ﴿ وإذا تُتْلى عليهِم آياتُنا بيِّناتٍ قالوا ما هذا ﴾ يعنون رسولَ الله ﷺ ﴿ إلاّ رجُلٌ يُريدُ أنْ يصُدَّكُم عمّا كانَ يعبُدُ آباؤُكُم وقالوا ما هذا ﴾ القرآن الكريم ﴿ إلاّ إفْكٌ مُفْتَرىً ﴾ كذب مختلق ﴿ وقالَ الذينَ كفَرُوا لِلحَقِّ لما جاءَهُم إنْ هذا إلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .

[٤٤] ﴿ وما آتيْناهُم مِن كُتُبٍ يدرُسونَها ، وما أرسَلْنا إليهِم قبْلَكَ مِن نذيرٍ ﴾ وما أرسلَ إليهم نبياً قبل محمد ﷺ ، وقد كانوا يودُّون ذلك ويقولون : لو جاءنا نذير أو أُنزل علينا كتاب لكنّا أهدى من غيرنا ، فلمّا منَّ الله عليهم بذلك كذَّبوه وجحدوه وعاندوه .

[٤٥] ﴿ وكذَّبَ الذينَ مِن قبلِهِم ﴾ من الأمم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا ﴿ وما بَلَغوا مِعْشارَ ما آتيْناهُم ﴾ يعني أولئك ، من المال وبسطة الملك والعمران والمدنية ﴿ فكذَّبوا رُسُلي ، فكيفَ كان نَكيرِ ﴾ أي عقابي ونكالي وانتقامي .

[٤٦] ﴿ قُلْ إنّما أعِظُكُم بواحِدةٍ ﴾ أي بخصلة واحدة ، إن فعلتموها أصبتم الحقّ ﴿ أنْ تقوموا للَّهِ مَثْنىٰ وفُرادىٰ ﴾ أي : قياماً خالصاً لله بلا محاباة ولا مراءاة ، اثنين اثنين ، وواحداً واحداً ﴿ ثُم تتَفَكَّروا ﴾ في أمره ﷺ وما جاء به من الهدى والإصلاح وتهذيب الأخلاق ﴿ ما بصاحِبِكُم من جِنَّةٍ ﴾ أي جنون ، والتعبير عنه ﷺ بـ « صاحبهم » للإيماء أن حاله معروف مشهور بينهم لأنه نشأ بين أظهرهم معروفاً بقوة العقل ورزانة الحلم وسداد القول والفعل ﴿ إنْ هوَ إلاّ نذيرٌ لكُم بينَ يدَيْ عذابٍ شديدٍ ﴾ وهو عذاب الآخرة والمآل . [قال ابن جرير: ما محمد إلا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها] .

[٤٧] ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِن أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ أي : أيَّ شيء سألتكم من أجر على الرسالة فهو لكم ، والمراد نفي السؤال رأساً ، وقوله ﴿ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ جواب شرط مُقَدَّر ، أي : فإذا لم أسألكم فهو لكم ﴿ إنْ أجْرِيَ إلاّ على اللَّهِ وَهوَ على كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد ﴾ .

[٤٨] ﴿ قُلْ إنَّ ربِّي يقذِفُ بالحَقِّ ﴾ أي يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه ، أو يرمي به في أقطار الآفاق ، فيكون وَعْداً بإظهار الإسلام وإعلاء كلمة الحق ﴿ علاّمُ الغُيُوبِ ﴾ .

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ
بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

ترتيبها ٣٥ — آياتها ٤٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

[٤٩] ﴿ قُلْ جاءَ الحَقُّ ﴾ ظهر الحق ، وهو الإسلام ومحاسنه ﴿ وما يُبْدِئُ الباطِلُ وما يُعيدُ ﴾ كناية عن زهوق الباطل ومحو أثره .

[٥٠] ﴿ قُلْ إنْ ضَلَلْتُ ﴾ عن الطريق الحق ﴿ فإنَّما أضِلُّ على نفسي ﴾ لأن وبال ذلك عائد على ذاتي لا على غيري ﴿ وإنِ اهتدَيْتُ فبما يوحِي إليَّ ربِّي ﴾ من الرشاد والحق المبين ﴿ إنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ .

[٥١] ﴿ ولَوْ ترىٰ إذ فَزِعوا ﴾ أي هؤلاء المكذّبون عند الموت أو البعث أو ظهور الحق وسلطانه ﴿ فلا فَوْتَ ﴾ لهم ، بهرب أو التجاء ﴿ وأُخِذوا من مكانٍ قرِيبٍ ﴾ من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا ، أو من الموقف إلى النار إذا بعثوا .

[٥٢] ﴿ وقالوا آمَنّا بِهِ ﴾ أي بمحمد ﷺ أو القرآن ﴿ وأنَّىٰ لَهُمُ التَّناوُشُ من مكانٍ بعيدٍ ﴾ ومن أين لهم تناول الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم ، لأنهم صاروا إلى الدار الآخرة وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء ، أو لأنهم آمنوا بلسانهم ولم يدخل الإيمان قلوبهم . و«التناوش» و«التناول» أخوان إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب .

[٥٣] ﴿ وقَدْ كفَروا بِهِ من قَبْلُ ويقذِفونَ بالغَيْبِ من مكانٍ بعيدٍ ﴾ أي يرجمون بالظن فيتكلمون بما لم ينشأ عن تحقيق من أقوالهم الباطلة ، كقولهم : ساحر وشاعر ومجنون وما نحن بمبعوثين ، ونحو ذلك .

[٥٤] ﴿ وحِيلَ بينَهُم وبينَ ما يَشْتَهونَ ﴾ من نفع الإيمان يومئذ ، والنجاة به من النار ﴿ كما فُعِلَ بأشْياعِهِم من قَبْلُ ﴾ أي بأشباههم من كَفَرَة الأمم ﴿ إنَّهُم كانوا في شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾ من أرابه أوقعه في ريبة وتهمة ، فالهمزة للتعدية . وعن قتادة : إياكم والشك والريبة ، فإن من مات على شكٍّ بُعِثَ عليه ، ومن مات على يقين بُعِثَ عليه .

[سورة فاطر]

تسمى هذه السورة «فاطر» لذكر هذا الاسم الجليل في طليعتها ، وهذه السورة ختام السور المفتتحة بالحمد ، وهي مكية . وعدد آياتها ٤٥ آية .

[١] ﴿ الحمْدُ للَّهِ فاطِرِ السَّمٰواتِ والأرضِ ﴾ أي مبتدئها ومبدعها ﴿ جاعِلِ الملائكةِ رُسُلاً أُولِي أجنحةٍ مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ ﴾ أي ذوي أجنحة متعددة متفاوتة في العدد ، حسب تفاوت ما لهم من المراتب ، ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها ﴿ يَزِيدُ في الخَلْقِ ما يَشاءُ ﴾ أي يزيد في خلق الأجنحة وغيره ما يشاء ، مما تقتضيه حكمته ﴿ إنَّ اللَّهَ على كلِّ شيْءٍ قديرٌ ﴾ . [٢] ﴿ ما يفتَحِ اللَّهُ للنّاسِ منْ رحْمَةٍ ﴾ نعمة سماوية كانت أو أرضية ﴿ فلا مُمْسِكَ لها ﴾ أي لا أحد يقدر على إمساكها ﴿ وما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لهُ من بعدِهِ ﴾ من بعد إمساكه ﴿ وهو العزيزُ ﴾ الغالب على كل ما يشاء ﴿ الحكيمُ ﴾ في أمره وصنعه . [٣] ﴿ يا أيُّها النَّاسُ اذْكُروا نِعْمَةَ اللَّهِ عليْكُم ﴾ أي إنعامه لتستدلوا بها على وحدته في ألوهيته ، لأنه المنفرد بإرسالها وحده ، ولا يصح لمن انفرد بالإنعام أن يشرك معه غيره ﴿ هَلْ مِن خالقٍ غيرُ اللَّهِ يرزُقُكُم من السَّماءِ والأرضِ ﴾ أي المطر والنبات ﴿ لا إلهَ إلاّ هُوَ ، فأنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ أي : تُصْرَفون عن التوحيد الواجب إلى الشرك والكفر .

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
(٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ
كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ
فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ (٩) مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ
(١٠) وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١)

[٤] ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فقد كُذِّبَتْ رسلٌ من قبلِكَ ، وإلى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمورُ ﴾ فيجازي المكذِّب وشيعته بالخزي وظهور الحق عليه .

[٥] ﴿ يا أيُّها النّاسُ إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ إن ما وعد به من جزائه بالثواب إن صدقتم في الاتِّباع ، وبالعقاب ، إن عصيتم ﴿ فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدُّنْيا ﴾ بأن يذهلكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها ، عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ﴿ ولا يغُرَّنَّكُم باللَّهِ الغَرورُ ﴾ أي الشيطان ، وقرىء بالضم .

[٦] ﴿ إنَّ الشَّيْطانَ لكُم عدوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً ، إنما يدْعو حِزْبَهُ ليكونوا من أصْحابِ السَّعِيرِ ﴾ باتباع الهوى والركون إلى الدنيا .

[٧] ﴿ الذينَ كَفَروا لَهُم عذابٌ شَديدٌ ، والذينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ لَهُم مَغْفِرَةٌ وأجْرٌ كبيرٌ ﴾ .

[٨] ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لهُ سُوءُ عملِهِ فرآهُ حَسَناً ﴾ أي : فمن حُسِّن له عمله السيء بأن غلب هواه على عقله ، حتى انتكس رأيه فرأى الباطلَ حقاً والقبيحَ حسناً ، كمن لم يُزيَّن له ، بل هُدِيَ فعرف الحقَّ وميَّز الحسن من السيء ؟ ﴿ فإنَّ اللَّهَ يُضِلُّ من يشاءُ ويهدِي من يشاءُ ﴾ إلى الإيمان واتباع الحق ﴿ فلا تذهَبْ نفسُكَ عليهِم حَسَراتٍ ﴾ فلا تهلك نفسك حزناً على ضلالهم وعدم اتباعهم لك ﴿ إنَّ اللَّهَ عليمٌ بما يصْنَعون ﴾ فيجازيهم عليه .

[٩] ﴿ واللَّهُ الذي أرسَلَ الرِّياحَ فتُثيرُ سَحاباً فسُقْناهُ إلى بلَدٍ مَيِّتٍ فأحْيَيْنا بِهِ الأرْضَ بعدَ موْتِها ، كذلكَ النُّشُورُ ﴾ مثل إحياء الموات ، إحياء الأموات . وكثيراً ما يستدل تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها ، ليعتبر المرتاب في هذا . روى الإمام أحمد عن لقيط بن عامر أنه قال : يا رسول الله أكلنا يرى ربه عزّ وجلّ يوم القيامة وما آية ذلك في خلقه ؟ فقال رسول الله ﷺ (أليس كلكم ينظر إلى القمر مخلياً به؟) قلنا : بلى ، قال : (فالله أعظم) قال : قلت : يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : (أما مررت بوادٍ أهلك ممحلاً؟) قال : بلى ، قال : (ثم مررت به يهتز خضراً) قال : بلى ، قال : (فكذلك يحيي الله الموتى وذلك آيته في خلقه) .

[١٠] ﴿ مَنْ كانَ يُريدُ العِزَّةَ ﴾ أي الشرف والرفعة ﴿ فللَّهِ العِزَّةُ جميعاً ﴾ أي فليطلبها من عنده باتباع شريعته ، وموالاة أنبيائه ورسله ، والتأسِّي بهم في الصلاح والإصلاح ، والصبر والثبات ، واطِّراح كل ملامة رغبة في الحق وعملاً بالصدق ﴿ إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ وهو الداعي إلى الحق والإصلاح ، والمنبِّه على سبل الضلال والفساد ﴿ والعَمَلُ الصَّالِحُ يرفَعُهُ ﴾ يرفع الكلمُ العملَ الصالحَ أي : يكون العمل الصالح موجباً للرفع والقبول ﴿ والذينَ يَمْكُرون السيِّئاتِ ﴾ أي الأعمال السيئة المفسدة لصلاح الأمة وقيام عمرانها ﴿ لهُم عذابٌ شديدٌ ومَكْرُ أولئكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ أي يضمحلُّ لأن الحق يعلو ولا يُعْلى عليه .

[١١] ﴿ واللَّهُ خلقَكُم من تُرابٍ ثُم من نُطْفَةٍ ثُمَّ جعلَكُم أزْواجاً ﴾ أي ذُكراناً وإناثاً ﴿ وما تَحْمِلُ مِن أُنثى ولا تَضَعُ إلا بعِلْمِهِ ، وما يُعَمَّرُ من مُعَمَّرٍ ﴾ أي : وما يُمَدُّ في عمر أحد ﴿ ولا يُنْقَصُ من عُمُرِهِ إلاّ في كتابٍ ﴾ وهو علمه تعالى الذي سبق ﴿ إنَّ ذلكَ على اللَّهِ يَسيرٌ ﴾ أي الحفظ والزيادة والنقصان ، سهل ، لشمول علمه وعموم قدرته .

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
(١٤) ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ (١٥) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦)
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ
إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨)

[١٢] ﴿ وما يسْتَوِي البَحْرانِ ، هذا عَذْبٌ فُراتٌ ﴾ شديد العذوبة ﴿ سائِغٌ شَرابُه وهذا مِلْحٌ أُجاجٌ ﴾ قويُّ الملوحة ﴿ ومن كُلٍّ تأكُلون لَحْماً طَرِيّاً ﴾ يعني السمك ﴿ وتستخرِجون حِلْيَةً تلْبَسونَها ﴾ أي زينة تتحلَّوْن بها ﴿ وتَرى الفُلْكَ فيهِ مَواخِرَ ﴾ أي تمخر الماء وتشقُّه بجريها ﴿ لتبْتَغوا مِن فضْلِهِ ﴾ بالتنقل فيها ﴿ ولعلَّكُم تشكُرُونَ ﴾ .

[١٣] ﴿ يولِجُ اللَّيلَ في النَّهارِ ويولِجُ النَّهارَ في الليلِ ﴾ [عن قتادة : زيادة هذا في نقصان هذا، ونقصان هذا في زيادة هذا ـ ابن جرير] ﴿ وسخَّرَ الشَّمسَ والقمرَ كُلٌّ يجري لأجَلٍ مُسمًّى ﴾ يعني مدة دوره ، أو منتهاه ، أو يوم القيامة ﴿ ذلِكُمُ اللَّهُ ربُّكُم لَهُ المُلْكُ ، والذينَ تَدْعونَ مِن دونِهِ ما يَمْلِكُونَ من قِطْمِيرٍ ﴾ فأنَّى يستأهلون العبادة ، و«القطمير» لفافة النواة ، وهو مَثَلٌ في القِلَّة والحقارة .

[١٤] ﴿ إنْ تَدعُوهُم لا يسْمَعوا دُعاءَكُم ﴾ لأنهم جماد ﴿ ولو سَمِعُوا ﴾ على الفرض ﴿ ما اسْتَجابوا لَكُم ﴾ لعدم قدرتهم على النفع ﴿ ويومَ القِيامةِ يكفُرُون بِشِرْكِكُمْ ﴾ يقرُّون ببطلانه ، وأن لا أمْرَ لهم فيه ﴿ ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خبيرٍ ﴾ لا يخبرك بالأمر مخبر ، مثل خبير عظيم أخبرك به ، وهو الحق سبحانه ، فإنه الخبير بكنه الأمور دون سائر المخبرين .

[١٥] ﴿ يا أيُّها النَّاسُ أنتُمُ الفُقَراءُ إلى اللَّهِ ﴾ إلى رحمته وعنايته ولطفه وإمداده في كل لمحة ونفس ﴿ واللَّهُ هو الغنيُّ الحميدُ ﴾ المحمود لنعمه التي لا تُحْصى .

[١٦] ﴿ إن يشأْ يُذْهِبْكُم ويأْتِ بخَلْقٍ جَديدٍ ﴾ [يطيعونه ويأتمرون لأمره وينتهون عما نهاهم عنه ـ ابن جرير] . [١٧] ﴿ وما ذلك على اللَّهِ بعزيزٍ ﴾ بممتنع ، وهذا غضب عليهم ، لاتخاذهم له أنداداً ، وكفرهم بآياته ، ومعاصيهم .

[١٨] ﴿ ولا تَزِرُ وازرةٌ ﴾ لا تحمل نفس آثمة ﴿ وِزْرَ أُخْرى ﴾ أي إثم نفس أخرى ، بل إنَّما تحمل وزرَها الذي اقترفته ، لا تؤخذ نفس بذنب نفس ﴿ وإنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ ﴾ أي نفس أثقلتها الأوزار ﴿ إلى حِمْلِها ﴾ إلى حمل بعض أوزارها ليخفف عنها ﴿ لا يُحْمَلْ منهُ شيْءٌ ﴾ لم تجب ولم تُغَثْ بحمل شيء ﴿ ولَوْ كان ﴾ المدعو المفهوم من الدعوة ﴿ ذا قُربى ﴾ ذا قرابة من الداعي ، من أبٍ أو ولدٍ أو أخٍ ، وهذا قطع لأطماع انتفاعهم بقرابتهم وغنائهم عنهم ، وأنه لا تملك نفس لنفس شيئاً ، وأن كل امرىء بما كسب رهين [قال عكرمة : هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول : يا رب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني . وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له : يا مؤمن إن لي عندك يداً قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا ، وقد احتجت إليك اليوم . فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه ، حتى يرده إلى منزل دون منزله ، وهو في النار . وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول : يا بني أي والد كنت لك . فيثني خيراً ، فيقول له : يا بني إني قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى . فيقول له ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ، ولكني أتخوف مثل ما تتخوف ، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً . ومثل هذا يكون بين الزوج وزوجه ، كل مشغول بنفسه ـ ابن كثير] ﴿ إنَّما تُنْذِرُ الذين يخشَوْن ربَّهُم بالغَيْبِ ﴾ [عن قتادة : أي يخشون النار ـ ابن جرير] ﴿ وأقاموا الصَّلاةَ ومن تزكَّى ﴾ أي تطهَّر من أوضار الأوزار ﴿ فإنَّما يتزكَّى لنفسِهِ ، وإلى اللَّهِ المصيرُ ﴾ [وهو مجاز جميعكم بما قدم من خير أو شر على ما أهل منه ـ ابن جرير] .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ
﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ
أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ
أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ
الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا
أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

[١٩] ﴿ وما يستوي الأعمى والبصيرُ ﴾ مَثَلٌ للكافر والمؤمن .

[٢٠] ﴿ ولا الظُّلُماتُ ولا النورُ ﴾ مثلٌ للحق والباطل .

[٢١] ﴿ ولا الظِّلُّ ولا الحَرورُ ﴾ مثل للثواب والعقاب ، و« الحرور » الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار .

[٢٢] ﴿ وما يستوِي الأحياءُ ولا الأمواتُ ﴾ تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ، أي : ما يستوي أحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله ومعرفة تنزيله ، وأموات القلوب لغلبة الكفر عليها حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه ، ولا تعرف الهدى من الضلال ﴿ إنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ من يشاءُ ﴾ فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته ﴿ وما أنتَ بمُسمِعٍ مَن في القُبورِ ﴾ كما لا يقدر أن ينتفع بمواعظ الله وبيان حججه ، من كان ميت القلب عن معرفة الله وفهم كتابه وواضح حججه .

[٢٣] ﴿ إنْ أنتَ إلاَّ نَذيرٌ ﴾ ما عليك : إلا أن تبلّغ وتنذر ، فإن كان المنْذَرُ ممن يسمع الإنذار نفع ، وإن كان من المصرِّين فلا عليك .

[٢٤] ﴿ إنَّا أرسَلْناكَ بالحَقِّ بشيراً ونَذيراً ، وإنْ من أُمَّةٍ إلاّ خلا فيها نَذيرٌ ﴾ أي وما من أمة من الأمم الدائنة بملّة ، إلا مضى فيها نذير من قبلك ينذرهم على كفرهم بالله ، ويزيح عنهم العلل .

[٢٥] ﴿ وإنْ يُكذِّبوكَ فقد كذَّبَ الذين من قَبْلِهِم ﴾ وإن يكذِّبوك ولم يستجيبوا لك فلا تبال بهم وتأسّ بمن كُذِّب من الرسل السالفة ﴿ جاءَتْهُم رُسُلُهُم بالبَيِّناتِ ﴾ فقد جاؤوهم بالآيات والخوارق المحسوسة على صحّة نبوّتهم ﴿ وبالزُّبُرِ ﴾ وبالصحف المرشدة لهم إلى مسالك الفلاح والنجاح ﴿ وبالكِتابِ المُنيرِ ﴾ لمن تدبّره وتأمّله أنه الحق الناطق بالصواب والصدق .

[٢٦] ﴿ ثمَّ أخذْتُ الذين كَفَروا ، فكيفَ كانَ نَكيرِ ﴾ سؤال إنكاري بالعقوبة ، وفيه مزيد تشديد وتهويل لها .

[٢٧] ﴿ ألَمْ تَرَ أنَّ اللَّهَ أنْزلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فأخرَجْنا بِهِ ثمراتٍ مختَلِفاً ألْوانُها ، ومن الجبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وحُمْرٌ مختلِفٌ ألوانُها وغرابيب سُودٌ ﴾ « جُدَد » بضم الجيم وفتح الدال جمع « جدة » بالضم ، وهي الطريقة من « جدَّه » إذا قطعه ، أي من الجبال ذوي جدَد ، أي طرائق بيض وحمر . و« غرابيب » جمع « غربيب » وهو الأسود المتناهي في السواد ، يقال : أسود غربيب .

[٢٨] ﴿ ومِنَ النَّاسِ والدَّوابِّ والأنْعامِ مختلِفٌ ألوانُه كذلك ﴾ أي اختلافاً كاختلاف الثمرات والجبال ﴿ إنَّما يَخْشىٰ اللَّهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ ﴾ تعيين من يخشاه عزَّ وجلَّ من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم ، وتباين مراتبهم ، والمعنى : إنما يخشاه تعالى بالغيب ، العالمون به عزَّ وجلَّ ، وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشيِّ والعلم بشؤونه كما قال ﷺ : (أنا أخشاكُم للَّهِ وأتقاكُم لَهُ) أخرجه البخاري ﴿ إنَّ اللَّهَ عزيزٌ ﴾ غالب على كل شيء بعظمته ﴿ غفورٌ ﴾ لمن تاب وأناب وعمِل صالحاً .

[٢٩] ﴿ إنَّ الذين يتلُونَ كتابَ اللَّهِ ﴾ يداومون على تلاوته وتدبُّره للأخذ بما فيه ﴿ وأقامُوا الصَّلاة وأنفَقوا ممّا رزقناهُم سِرّاً وعلانيةً يرجون تجارةً لنْ تبورَ ﴾ والتجارة استعارة لتحصيل الثواب بالطاعة ، والبوار بمعنى الكساد والهلاك .

[٣٠] ﴿ لِيوفِّيَهُم أُجورَهم ويَزيدَهُم من فضلِهِ ، إنَّهُ غفورٌ شكورٌ ﴾ لأعمالهم ، والشكر مجاز عن الإثابة والجزاء بالإحسان .

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ
الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم
مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ
عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ
فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ
أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ
فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ
غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

[٣١] ﴿ والذي أوْحَيْنا إلَيْكَ مِنَ الكِتابِ ﴾ القرآن ﴿ هوَ الحَقُّ مصدِّقاً لما بين يدَيْهِ ﴾ تقدمه من الكتب ﴿ إنَّ اللَّهَ بعبادِهِ لَخبيرٌ بصيرٌ ﴾ عالم بالبواطن والظواهر .

[٣٢] ﴿ ثم أورثْنا الكِتابَ الذين اصْطَفَيْنا مِن عِبادِنا ﴾ ثم بعد أخذ الذين كفروا ، أورثنا الكتاب ـ الذي هو أعظم فضل وعناية ورحمة ـ المصطفين من الموحِّدين ﴿ فمنهُم ظالِمٌ لنفسِهِ ﴾ بالإثم والعصيان ﴿ ومنهُم مقْتَصِدٌ ﴾ في العلم ، ليس من المجرمين ولا من السابقين ﴿ ومنهُم سابِقٌ بالخَيْراتِ بإذْنِ اللَّهِ ﴾ أي : بإرادته ﴿ ذلك هوَ الفَضْلُ الكبيرُ ﴾ [قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ قال : هم أمة محمد ﷺ ، ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله ، فظالمهم يغفر له ، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً ، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب . وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال ذات يوم : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) قال ابن عباس رضي الله عنهما : السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ . وكذا روي عن غير واحد من السلف : أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين على ما فيه من عوج وتقصير . وقال آخرون بل الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة ولا من المصطفين الوارثين للكتاب .

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ قال : هو الكافر . وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ﴾ قال : هم أصحاب المشأمة . وقال الحسن وقتادة هو المنافق . ثم قد قال ابن عباس والحسن وقتادة : وهذه الأقسام الثلاثة كالأقسام المذكورة في أول سورة الواقعة وآخرها . والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة ، وهذا اختيار ابن جرير ، كما هو ظاهر الآية ، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً ـ ابن كثير] .

[٣٣] ﴿ جناتُ عَدْنٍ يدخُلونَها يُحَلَّوْنَ فيها من أساورَ من ذَهَبٍ ولُؤْلُؤاً ولباسُهُم فيها حَريرٌ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وقالوا الحمدُ للَّهِ الذي أذهَبَ عنّا الحَزَنَ ، إنَّ ربَّنا لَغفورٌ ﴾ للذنوب ﴿ شكورٌ ﴾ .

[٣٥] ﴿ الذي أحَلَّنا دارَ المُقامَةِ من فضلِهِ ﴾ أي الإقامة ﴿ لا يَمَسُّنا فيها نَصَبٌ ﴾ تعب ﴿ ولا يَمَسُّنا فيها لُغُوبٌ ﴾ أي كَلال أو [إعياء] .

[٣٦] ﴿ والذينَ كَفَروا لهُم نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضىٰ عليهِم فيَموتوا ولا يُخَفَّفُ عنهُم من عذابِها ﴾ أي : لا يقضى عليهم بالموت فيستريحوا من العذاب ولا يخفف عنهم ﴿ كذلك نَجزي كلَّ كَفورٍ ﴾ .

[٣٧] ﴿ وهم يصْطَرِخونَ فيها ﴾ أي يستغيثون بشدة وعويل يقولون ﴿ ربَّنا أَخْرِجْنا ﴾ منها وأعدنا إلى الحياة الدنيا مرّة أخرى ﴿ نعمَلْ صالِحاً غيْرَ الذي كُنَّا نعمَلُ ﴾ فيقال لهم ﴿ أوَلَمْ نُعَمِّرْكُم ، ما يتذَكَّرُ فيهِ مَن تذَكَّرَ ، وجاءَكُم النَّذيرُ فذوقوا ، فما للظَّالِمينَ مِن نَصيرٍ ﴾ أوما عشتم في الدنيا أعماراً ينتفع فيها من يتذكر ويتبصّر؟

[٣٨] ﴿ إنَّ اللَّهَ عالِمُ غَيْبِ السَّمٰواتِ والأرضِ ، إنَّهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ ﴾ بما في القلوب .

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا
يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ
بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن
جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ
مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ
وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا
﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

[٣٩] ﴿ هوَ الذي جعلَكُم خلائفَ في الأرضِ ﴾ أي مستخْلَفِين فيها [عن قتادة قال: أمة بعد أمة، وقرناً بعد قرن ـ ابن جرير] أباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة ﴿ فمَنْ كفَرَ فعليْهِ كُفْرُهُ ﴾ أي: وبال كفره ﴿ ولا يَزيدُ الكافِرينَ كُفْرُهُم عندَ ربِّهِم إلاّ مَقْتاً ﴾ أي بغضاً شديداً ﴿ ولا يزيدُ الكافِرينَ كُفْرُهُم إلاّ خَساراً ﴾ ﴿خلائف﴾: جمع خليفة [أي يخلف بعضكم بعضاً ـ تفسير الجلالين].

[٤٠] ﴿ قُلْ ﴾ تبكيتاً لهم، ﴿ أرأيْتُم شُركاءَكُمُ الذينَ تدْعونَ مِن دونِ اللّهِ أرُوني ماذا خَلَقوا من الأرضِ، أمْ لَهُم شِرْكٌ في السَّمٰواتِ ﴾ أي: شركة في خلقها ﴿ أمْ آتيْناهُم كِتاباً فَهُم على بيِّنَةٍ منْهُ ﴾ أي: حجة وبرهان، بأنه أذن لهم في الإشراك ﴿ بَلْ إنْ يَعِدُ الظّالِمونَ بعضُهُم بعضاً إلاّ غُروراً ﴾ في قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

[٤١] ﴿ إنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّمٰواتِ والأرضَ أنْ تَزُولا، ولَئِنْ زالَتا إنْ أمْسَكَهُما ﴾ أي: ما أمسكهما ﴿ مِن أحَدٍ مِن بعدِهِ، إنَّهُ كانَ حَليماً ﴾ في تأخير العقاب ﴿ غَفوراً ﴾ [وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) ـ ابن كثير].

[٤٢] ﴿ وأقْسَموا باللّهِ جَهْدَ أيْمانِهِم ﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿ لَئِنْ جاءَهُم نَذيرٌ ﴾ رسول ﴿ ليَكُونُنَّ أهْدىٰ مِن إحدىٰ الأُمَمِ فلَمّا جاءَهُم نذيرٌ ﴾ محمد ﷺ ﴿ ما زادَهُم إلاّ نُفوراً ﴾.

[٤٣] ﴿ اسْتِكْباراً في الأرضِ ﴾ عن الإيمان ﴿ ومَكْرَ ﴾ العمل ﴿ السَّيِّءِ ﴾ من الشرك وغيره ﴿ ولا يَحيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلاّ بأهلِهِ فهَلْ يَنظُرُون إلاّ سُنَّةَ الأوَّلينَ ﴾ يعني إنزال العذاب بهم كما أنزل على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم ﴿ فلنْ تَجِدَ لسُنَّةِ اللّهِ تبْديلاً، ولنْ تجِدَ لسُنَّةِ اللّهِ تحْويلاً ﴾ [قال محمد بن كعب القرظي: ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به: من مكر، أو بغي، أو نكث، وتصديقها في كتاب الله تعالى: ﴿ ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ﴾ ـ ابن كثير].

[٤٤] ﴿ أوَلَمْ يَسيروا في الأرضِ فينْظُروا كيفَ كانَ عاقِبَةُ الذينَ مِن قبلِهِم وكانوا أشَدَّ منهُم قُوَّةً ﴾ [عن قتادة قال: يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم ـ ابن جرير] ﴿ وما كانَ اللّهُ ليُعْجِزَهُ مِن شيْءٍ في السَّمٰواتِ ولا في الأرضِ، إنَّهُ كانَ عليماً قَديراً ﴾. [قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة، المكذبون محمداً فيسبقونا هرباً في الأرض، إذا نحن أردنا إهلاكهم، لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السموات ولا في الأرض، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض... إن الله كان عليماً بخلقه وما هو كائن ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة، ومن هو عن ضلالته راجع إلى الهدى تائب، قدير على الانتقام ممن شاء منهم وتوفيق من أراد منهم للإيمان].

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ
ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يٰسٓ

ترتيبها ٣٦ — آياتها ٨٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يٰسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

[٤٥] ﴿ ولو يُؤاخِذُ اللّهُ الناسَ بما كَسَبوا ﴾ أي بما اقترفوا من معاصيهم ﴿ ما ترَكَ على ظَهْرِها مِن دابَّةٍ ﴾ أي من نسمة تدب لشؤم معاصيهم، والضمير للأرض لسبق ذكرها [عن قتادة قال: إلا ما حمل نوح في السفينة ـ ابن جرير] ﴿ ولكنْ يُؤخِّرُهُم إلى أجَلٍ مُسمًّى ﴾ أي يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده ﴿ فإذا جاءَ أجلُهُم فإنَّ اللّهَ كان بِعبادِهِ بَصيراً ﴾ فإذا جاء أجل عقابهم فإن الله كان بعباده بصيراً بمن يستحق أن يُعاقَب، وبمن يستوجب الكرامة.

[سورة يس]

هي مكية واستثنى منها بعضهم قوله تعالى ﴿ إنا نحن نُحْيي الموتى ونكتُبُ ما قدّموا وآثارهم ﴾ وعدد آياتها ثلاث وثمانون آية.

[١] ﴿ يس ﴾ تقدّم الكلام في مثل هذه الفواتح مراراً، وحاصله أنها إما مسرودة على نمط التعديد، أو اسم للسورة.

[٢] ﴿ والقُرْآنِ الحكيمِ ﴾ أي ذي الحكمة أو الناطق بالحكمة.

[٣] ﴿ إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلين ﴾ الخطاب لمحمد ﷺ.

[٤] ﴿ على صِراطٍ مُسْتَقيمٍ ﴾ وهو الموصل إلى المطلوب بدون لغوب. [٥] ﴿ تنْزيلَ العزيزِ الرَّحيمِ ﴾.

[٦] ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُم ﴾ لا برسول ولا كتاب وهم: قريش ﴿ فهُم غافِلون ﴾ عن أمر حق الخالق والمخلوق بالكفر والفساد ونكران البعث والمَعاد.

[٧] ﴿ لقد حَقَّ القَوْلُ على أكثرِهِم ﴾ أي استأهلوا لأن ينزل بهم العذاب وينتقم منهم أشد الانتقام ﴿ فهُم لا يُؤْمِنونَ ﴾ لا يريدون أن يؤمنوا ويهتدوا، كفراً وكبراً وعناداً وبغياً في الأرض بغير الحق.

[٨] ﴿ إنَّا جعلْنا في أعناقِهِم أغْلالاً فهيَ إلى الأذْقانِ ﴾ أي للّحى ﴿ فهُم مُقْمَحونَ ﴾ أي ناصبوا رؤوسهم، غاضّوا أبصارهم.

[٩] ﴿ وجعَلْنا من بينِ أيديهِم سدّاً ومِن خلفِهِم سدّاً فأغشَيْناهُم فَهُم لا يُبْصِرُونَ ﴾ لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له، وكالحاصلين بين سدَّيْن، لا يبصرون ما قدّامهم ولا ما خلفهم، في أن لا تأمل لهم ولا تبصر، وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله.

[١٠] ﴿ وسَواءٌ عليْهِم أأنْذَرْتَهُم ﴾ أخوّفتهم بالقرآن ﴿ أمْ لَمْ تُنْذِرْهُم لا يُؤْمِنون ﴾ لا يريدون أن يؤمنوا.

[١١] ﴿ إنَّما تُنْذِرُ ﴾ الإنذارَ المترتب عليه النفع ﴿ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ أي القرآن بالتأمل فيه والعمل به ﴿ وخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بالغيبِ ﴾ أي عمل الصالحات لوجهه، وإن كان لا يراه ﴿ فبشِّرْه بمغْفِرَةٍ ﴾ لذنوبه في الدنيا ﴿ وأجْرٍ كَريمٍ ﴾ أي ثوابٍ حسنٍ في الجنة.

[١٢] ﴿ إنّا نَحْنُ نُحيي المَوْتىٰ ﴾ للبعث ﴿ ونكتُبُ ما قَدَّموا ﴾ نحفظ عليهم ما أسلفوا من الخير والشر ﴿ وآثارَهُم ﴾ ما تركوه من سنَّة صالحة فعُمِل بها بعد موتهم، أو سنَّة سيئة فعُمِل بها بعدَهم [عن جابر قال: أراد بنو سلمة أن يتحوّلوا إلى قرب المسجد، قال: والبقاع خالية، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال (يا بني سلمة دياركم إنها تَكْتُبُ آثارَكم) قال: فأقاموا وقالوا: ما يسرنا أنّا كنا تحوّلنا ـ ابن جرير] ﴿ وكُلَّ شيْءٍ أحْصَيْناه في إمامٍ مُبينٍ ﴾ في اللوح المحفوظ، أو العلم الأزليّ.

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ
إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ
ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن
لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى
فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

[١٣] ﴿ واضرِبْ لَهُم مَثَلاً ﴾ أي مثّل لأهل مكة مَثَلاً ﴿ أصحابَ القَرْيَةِ ﴾ اذكر لهم قصة عجيبة ، قصة أصحاب القرية [ذكر أنها أنطاكية] ﴿ إذْ جاءَها المُرْسَلونَ ﴾ أي الدعاة إلى الحق ورفض عبادة الأوثان .
[قيل كانوا رسل عيسى ابن مريم ، وعيسى الذي أرسلهم إليهم ، وقيل بل كانوا رسلاً أرسلهم الله إليهم - ابن جرير] .

[١٤] ﴿ إذْ أرْسَلْنا إليهِمُ اثنَيْنِ فكذَّبوهُما فعزَّزْنا بثالثٍ ﴾ أي فقوينا هما برسالة ثالث ﴿ فقالوا إنّا إليكُم مُرسَلون ﴾ .

[١٥] ﴿ قالوا ما أنتُم إلا بشَرٌ مثْلُنا وما أنزَلَ الرَّحْمنُ من شيْءٍ ، إن أنتُم إلاّ تكْذِبون ﴾ .

[١٦] ﴿ قالوا ربُّنا يعلَمُ إنّا إليكُم لمُرْسَلونَ ﴾ .

[١٧] ﴿ وما علينا إلاّ البَلاغُ المُبينُ ﴾ أي التبليغ عن الله ظاهراً بيِّناً لا سترة فيه ، وقد خرجنا من عهدته .

[١٨] ﴿ قالوا إنَّا تطيَّرنا بِكُم ﴾ أي تشاءمنا منكم ، فكان إذا حدث في البلد ما يسيء من حريق أو بلاء نسبوه إليهم ، وذلك أنهم كَرِهوا دينَهم ونفرت منه نفوسهم ﴿ لئِنْ لمْ تنْتَهُوا ﴾ عن دعوتكم إلى التوحيد ﴿ لنرجُمَنَّكُم وليمَسَّنَّكُم مِنَّا عذابٌ أليمٌ ﴾ .

[١٩] ﴿ قالوا ﴾ أي الرسل : ﴿ طائِرُكُم معَكُم ﴾ سبب شؤمكم معكم ، وهو الكفر والمعاصي ﴿ أإنْ ذُكِّرْتُم ﴾ أي وُعظتم بما فيه سعادتكم ﴿ بلْ أنتُم قومٌ مُسرِفونَ ﴾ في الشؤم والعدوان .

[٢٠] ﴿ وجاءَ من أقْصى المدينَةِ رجُلٌ يسْعَى ﴾ يسرع في المشي ، حيث سمع بالرسل [عن قتادة قال : لما انتهى إليهم ، يعني إلى الرسل قال : هل تسألون على هذا من أجر؟ قالوا : لا ، فقال عند ذلك ﴿يا قوم اتبعوا﴾ الآية ـ ابن جرير] ﴿ قالَ يا قومِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِين ﴾ بالإيمان بالله وحده .

[٢١] ﴿ اتَّبِعوا مَن لا يسألُكُم أجْراً ﴾ لا يطلب مالاً على الإيمان ﴿ وهُم مُهْتَدُونَ ﴾ في أنفسهم بالكمالات والأخلاق الكريمة والآداب الشريفة ، فيجدر الاقتداء بهم .

[٢٢] ﴿ وما لِيَ لا أعبُدُ الذي فطَرَني ﴾ أي خلقني ﴿ وإليهِ تُرْجَعونَ ﴾ بعد الموت .

[٢٣] ﴿ أأتَّخِذُ مِن دونِهِ آلِهَةً ﴾ فأضرع إليها وأعبدها ، وهي في المهانة والحقارة بحيث ﴿ إن يُرِدْنِ الرَّحمنُ بضُرٍّ لا تُغْنِ عنِّي شفاعتُهُم شيئاً ولا يُنْقِذونِ ﴾ من ذلك الضرِّ بالنصر والمظاهرة ، وفيه تحميق لقومه لهم ، لأن ما يتخذ ويصنعه المخلوق ، كيف يُعبَد ؟

[٢٤] ﴿ إنِّي إذاً لَفِي ضَلالٍ مُبينٍ ﴾ .[٢٥] ﴿ إنِّي آمَنْتُ بربِّكُم فاسمَعونِ ﴾ فاسمعوا إيماني واشهدوا به . [قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما : فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ، ولم يكن له أحد يمنع عنه . وقال قتادة : جعلوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، فلم يزالوا به حتى أقعصوه ، وهو يقول كذلك . فقتلوه رحمه الله ـ ابن كثير] .

[٢٦] ﴿ قيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ ﴾ أي ثواباً على صدق إيمانك وفوزك بسببه بالشهادة ﴿ قالَ يا ليتَ قوْمي يعْلَمون ﴾ .

[٢٧] ﴿ بما غَفَر لي ربِّي وجعَلَني من المُكْرَمِينَ ﴾ ليقبلوا على ما أقبلت عليه ، ويضحُّوا لأجله النفسَ والنفيس .

وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ
﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ
﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ
ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

الحزب ٢٣ الجزء ٢٣

[٢٨] ﴿ وما أنْزَلْنا على قومِهِ من بعدِهِ ﴾ أي من بعد موته بالشهادة ﴿ من جُنْدٍ من السَّماءِ ﴾ لإهلاكهم ﴿ وما كُنّا مُنزِلِينَ ﴾ إشارة إلى هلاكهم بعده سريعاً على أسهل وجه ، فإنه لم يحتج إلى إرسال جند يهلكهم .

[٢٩] ﴿ إنْ كانتْ إلاّ صيْحَةً واحِدةً ﴾ ما كانت العقوبة إلا صيحة واحدة من السماء هلكوا بها ﴿ فإذا هُم خامِدون ﴾ ميِّتون كالنار الخامدة .

[٣٠] ﴿ يا حَسْرَةً على العِبادِ ما يأتِيهِم مِن رَسولٍ إلاّ كانوا بِهِ يستَهْزِئُونَ ﴾ المراد شدَّة خسرانهم حتى استحقوا أن يتحسَّرَ عليهم .

[٣١] ﴿ ألَمْ يَرَوْا كم أهلَكْنا قبلَهُم مِنَ القُرونِ ﴾ من الأمم الخالية ﴿ أنَّهُم إليهِم لا يَرجِعُون ﴾ أي كيف لم يكن لهم إلى هذه الدنيا كرّة ولا رجعة .

[٣٢] ﴿ وإنْ كُلٌّ ﴾ من هؤلاء المتفرِّقين ﴿ لَمَّا جميعٌ لدَيْنا مُحْضَرونَ ﴾ إلا جميعهم محضرون للحساب والجزاء ، وإنما أخبر عن « كل » بجميع ، ومعناهما واحد .

[٣٣] ﴿ وآيَةٌ لهُمُ ﴾ وعبرة لأهل مكّة ﴿ الأرْضُ المَيْتَةُ أحْيَيْناها ﴾ بالنبات لتدل على إحياء الموتى ﴿ وأخرَجْنا منها حبّاً فمِنْهُ يأكُلُونَ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وجَعلْنا فيها جَنّاتٍ من نَخيلٍ وأعْنابٍ وفجَّرنا فيها مِنَ العُيُونِ ﴾ .

[٣٥] ﴿ ليأكُلوا من ثَمَرِهِ وما عمِلَتْهُ أيْدِيهِم ﴾ وليأكلوا مِمّا عمِلته أيديهم ، وهوَ ما يُتَّخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما . وجوَّز أن تكون « ما » نافية ، والمعنى : أن الثمر بخلق الله لا بفعلهم ﴿ أفَلا يَشْكُرون ﴾ خالقَ هذه النِّعم الجسام بعبادته وحده ، وهو إنكار لعدم قيامهم بواجب الشكر .

[٣٦] ﴿ سُبْحانَ الذي خلَقَ الأزْواجَ كُلَّها ﴾ أي الأصناف كلّها ﴿ مِمّا تُنْبِتُ الأرْضُ ﴾ مما ذُكِر وغيره ﴿ ومِن أنفُسِهِم ﴾ يعني الذكرَ والأنثى ﴿ ومِمّا لا يعْلَمون ﴾ من الأصناف والأنواع الموجودة في البر والبحر .

[٣٧] ﴿ وآيَةٌ لهُمُ الليلُ ﴾ بيان لقدرته تعالى في الزمان إثر ما بيَّنها في المكان ﴿ نَسْلَخُ منه النَّهارَ ﴾ « السلخ » هو كشط الجلد وإزالته عن الحيوان المسلوخ . وفيه إشارة إلى أن النهار طارىء على الليل ، كما أن المسلوخ منه قبل المسلوخ ، واستعير هنا لإزالة الضوء ﴿ فإذا هُم مُظْلِمونَ ﴾ داخلون في الظلام . [٣٨] ﴿ والشَّمْسُ تَجْري لمُسْتَقَرٍّ لها ﴾ لحدٍّ لها مؤقت ينتهي إليه دورها اليومي أو السنويّ ﴿ ذلكَ تقْديرُ العزيزِ العليمِ ﴾ المحيط علماً بكل معلوم . [٣٩] ﴿ والقمَرَ قدَّرناهُ منازِلَ ﴾ صيَّرنا له منازل ينزل كل ليلة في واحد منها ﴿ حتى عادَ كالعُرْجُونِ القديمِ ﴾ حتى إذا كان في آخر منازله ، دقَّ واستقوس وصار كالعِذق المقوَّس اليابس إذا حال عليه الحوْلُ . فالعرجون هو الشمروخ ، وهو العنقود الذي عليه الرُّطَب ، ويسمى العِذق بكسر العين ، والقديم العتيق ، وإذا قدم انحنى واصفرّ . [٤٠] ﴿ لا الشَّمسُ يَنْبَغي لها أنْ تُدرِكَ القَمَرَ ﴾ أي تجتمع معه في وقت واحد ، وتداخله في سلطانه فتطمس نورَه ﴿ ولا الليلُ سابِقُ النَّهارِ ﴾ لا يسبقه بأن يتقدَّم على وقته فيدخل قبل مضيِّه ، أو المراد بالليل والنهار آيتاهما ، أي : ولا القمر سابق الشمس فيكون عكساً للأوَّل ، والمعنى على هذا أن كلَّ واحد منهما لا يدخل على الآخر في سلطانه فيطمس نورَه ، بل هما متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى ﴿ وكلٌّ في فَلَكٍ يسْبَحونَ ﴾ كلٌّ مما ذُكِر يجرون في مدار عظيم كالسَّابح في الماء .

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

[٤١] ﴿ وآيةٌ لهم أنّا حملْنا ذُرِّيّتهم في الفُلْكِ المَشْحونِ ﴾ حملنا أولادهم الذين يرسلونهم في تجاراتهم ، وذكر « المشحون » أقوى في الامتنان بسلامتهم فيه ، أو لأنه أبعد عن الخطر . وقيل : المراد سفينة نوح عليه السلام .

[٤٢] ﴿ وخلقْنا لهم مِن مِثْلِهِ ﴾ أي مثل الفُلْك ﴿ ما يَرْكَبُونَ ﴾ من الإبل فإنها سفائن البرّ لكثرة ما تحمل حتى شاع إطلاق « السفينة » عليها .

[٤٣] ﴿ وإنْ نَشَأْ نُغرِقْهُم فلا صَريخَ لهُم ﴾ لا مغيث لهم ، أو لا مستغيث منهم ، أو لا استغاثة ﴿ ولا هُم يُنْقَذُونَ ﴾ لا ينجون من الموت به .

[٤٤] ﴿ إلاّ رحمةً مِنّا ومَتاعاً إلى حِينٍ ﴾ لكن رَحِمْناهم ومتَّعناهم إلى زمن قُدِّر لهم يموتون فيه بعد النجاة من موت الغرق .

[٤٥] ﴿ وإذا قِيلَ لهُمُ اتَّقوا ما بين أيديكُم ﴾ من الوقائع الخالية من الأمم المكذِّبة للرسل ﴿وما خلْفَكُم﴾ من العذاب المُعَدِّ في الآخرة ، أو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، أو عكسه ، أو ما تقدَّم من ذنوبكم وما تأخَّر ﴿ لعلَّكُم تُرْحَمُونَ ﴾ باتقائكم وشكركم .

سكتة لطيفة على اللام

[٤٦] ﴿ وما تأْتِيهِم من آيَةٍ من آياتِ ربِّهِم ﴾ الدالة على صدق الرسل ﴿ إلاَّ كانوا عنها مُعْرِضِينَ ﴾ بالتكذيب والصدِّ عن الإيمان بها .

[٤٧] ﴿ وإذا قِيلَ لَهُم أنْفِقوا ممَّا رزقَكُمُ اللَّهُ ﴾ أي تصدَّقوا على الفقراء من مال الله الذي آتاكم ﴿ قالَ الذين كفَروا للذين آمَنوا أنُطْعِمُ مَن لَوْ يَشاءُ اللَّهُ أطعَمَهُ إنْ أنتُم إلاّ في ضَلالٍ مُبينٍ ﴾ حيث أمرتمونا بما يخالف مشيئة الله ، وقولهم هذا إما عن تهكم أو عن اعتقاد .

[٤٨] ﴿ ويَقُولونَ مَتى هذا الوَعدُ إنْ كُنتُم صادِقِينَ ﴾ يعنون وعْد البعث .

[٤٩] ﴿ ما يَنْظُرونَ إلاّ صيحَةً واحِدةً تأخُذُهُم وهُم يَخِصِّمُونَ ﴾ أي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم ، أي أنها تبغتهم وهم في أمنهم وغفلتهم عنها . و« يخِصِّمون » أصله « يختصمون » سكنت التاء وأدغمت ، ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنيْن .

[٥٠] ﴿ فلا يَسْتَطيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ أي أن يوصوا في شيء من أمورهم توصيةً ﴿ ولا إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعونَ ﴾ لا يقدرون على الرجوع إلى أهليهم ، ليرَوْا حالَهم ، بل يموتون حيث تفجؤهم الصيحةُ .

[٥١] ﴿ ونُفِخَ في الصُّورِ ﴾ للبعث ﴿ فإذا هُم مِنَ الأجْداثِ ﴾ القبور ﴿ إلى ربِّهِم يَنْسِلُونَ ﴾ يعْدون مسرعين [قال ابن زيد : هذا مبتدأ يوم القيامة ، وقرأ ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ حتى بلغ ﴿إلى ربهم ينسلون﴾ ـ ابن جرير] .

[٥٢] ﴿ قالوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا﴾ أي من رقادنا ، فيقال لهم : ﴿هذا ما وَعَدَ الرَّحمنُ ، وصَدَقَ المُرْسَلُونَ﴾ المخبِرون عن ذلك الوعد .

[٥٣] ﴿ إنْ كانَتْ إلاّ صَيْحَةً واحِدةً فإذا هُم جميعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ ﴾ بمجرَّد تلك الصيحة ، وفي كل ذلك تهوين أمر البعث والحشر .

[٥٤] ﴿ فاليَوْمَ لا تُظْلَمُ نفسٌ شيئاً ولا تُجْزَوْنَ إلاّ ما كنتُم تعْمَلونَ ﴾ .

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ
أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ
أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟
ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

[٥٥] ﴿ إنَّ أصْحابَ الجَنَّةِ اليومَ في شُغُلٍ فاكِهُونَ ﴾ متنعمون متلذذون . وفي تنكير « شُغُلٍ » تعظيمُ ما هم فيه وتفخيمه .

[٥٦] ﴿ هُم وأزواجُهُم في ظِلالٍ ﴾ في ظلال الأشجار ، أو في مأمن من الحَرور ﴿ على الأرائِكِ ﴾ أي السُّرر المزيّنة ﴿ مُتَّكِئُونَ ﴾ .

ربع الحزب ٤٥

[٥٧] ﴿ لَهُم فيها فاكِهَةٌ ولهُم ما يَدَّعُونَ ﴾ لهم ما يطلبون .

[٥٨] ﴿ سلامٌ قَوْلاً مِن رَبٍّ رَحيمٍ ﴾ ولهم سلام يقال لهم قولاً كائناً منه تعالى ، والمعنى أنه تعالى يسلّم عليهم تعظيماً لهم .

[٥٩] ﴿ وامْتازُوا اليومَ أيُّها المُجْرِمونَ ﴾ امتازوا عن المؤمنين في موقفهم .

[٦٠] ﴿ ألَمْ أعْهَدْ إليكُم يا بَني آدمَ أنْ لا تعْبُدوا الشَّيْطانَ ، إنَّهُ لكُم عدُوٌّ مُبينٌ ﴾ تقريع منه سبحانه للكفرة ، يقال لهم إلزاماً للحجة ، وعهده تعالى إليهم هو ميثاق الفطرة ، أو ما نصبه لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته وحده ونبذ عبادة غيره .

[٦١] ﴿ وأنِ اعبُدُوني ، هذا صِراطٌ مُسْتَقيمٌ ﴾ وأن أفردوني بالعبادة ، فإنه السبيل السويُّ .

[٦٢] ﴿ ولقد أضَلَّ ﴾ الشيطانُ وأغوى بالشِّرْك ﴿ منكُم جِبِلاً كثيراً ﴾ خلْقاً كثيراً قبلكم ، فحاق بهم سُوء العذاب ﴿ أفَلَمْ تكونوا تعْقِلُونَ ﴾ إنكار لأن يكونوا من ذوي الأفهام والعقول .

[٦٣] ﴿هذه جهنَّمُ التي كُنْتُم تُوعَدون ﴾ .

[٦٤] ﴿ اصْلَوْها اليومَ بما كنتُم تكْفُرُونَ ﴾ ذوقوا حرَّها اليوم بكفركم في الدنيا .

[٦٥] ﴿ اليومَ نختِمُ على أفْواهِهِم وتُكَلِّمُنا أيدِيهِم وتشْهَدُ أرجُلُهُم بما كانوا يَكْسِبونَ ﴾ عندما يجحدون ما فعلوه في الدنيا ، يختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحَهم فتشهد عليهم ، وإنه في قدرة الله يسير .

[٦٦] ﴿ ولَوْ نشاءُ لطَمَسْنا على أعيُنِهِم فاستَبَقُوا الصِّراطَ فأنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ أي لو شاء تعالى لمسح أعينَهم ، فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المسلوك لهم لم يقدروا لعماهم .

[٦٧] ﴿ ولَوْ نشاءُ لمَسَخْناهُم ﴾ بتغيير صورهم وإبطال قواهم ﴿ على مكانَتِهِم ﴾ أي مكانهم ﴿ فما استطاعوا مُضِيّاً ولا يَرْجِعونَ ﴾ لا يقدرون على مفارقة مكانهم . [٦٨] ﴿ ومَنْ نُعَمِّرْهُ ﴾ نُطِلْ عمره ﴿ نُنَكِّسْهُ في الخَلْقِ ﴾ بتناقص قواه وضعف بنيته حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوِّه من العلم ﴿ أفَلا يَعْقِلونَ ﴾ أن من يقدِر على ذلك ، يقدر على الطمس والمسخ وأن يفعل ما يشاء .

[٦٩] ﴿ وما علَّمْناهُ الشِّعْرَ﴾ هذا رد لقولهم أنه ﷺ شاعر أتى بشعر ﴿ وما يَنْبَغي لَهُ ﴾ وما يصح لمقامه ، لأن منزلة النبوَّة والرسالة تتسامى عن الشعر وقرضه ، لما يُرمى به الشعراء من الكذب ﴿ إنْ هُوَ﴾ أي القرآن الذي يتلوه ﴿ إلا ذِكْرٌ﴾ عظة وإرشاد منه تعالى ﴿ وقُرْآنٌ مُبينٌ ﴾ كتاب سماوي بيِّن أمره وحقائقه ، فلا مناسبة بينه وبين الشِّعْر بوجه من الوجوه .

[٧٠] ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كان حيّاً ﴾ عاقلاً متأملاً ، لأن الغافل كالميْت ﴿ ويَحِقَّ القَوْلُ ﴾ وتجب كلمة العذاب ﴿ على الكافِرينَ ﴾ المُعْرِضين عن اتباعه .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا
مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا
مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا
خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ
ترتيبها ٣٧ — آياتها ١٨٢

[٧١] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خلقْنا لهُم مِمّا عملَتْ أيدينا ﴾ مما تولينا نحن خلْقَه ، لم يقدر على إحداثه غيرُنا ﴿ أنْعاماً فهُم لَها مالِكُونَ ﴾ متصرِّفون فيها تصرُّف الملاّك ، أو ضابطون قاهرون لها .

[٧٢] ﴿ وذلَّلْناها لَهُم ﴾ صيَّرناها منقادة غير وحشية ﴿ فمِنْها رَكُوبُهُم ﴾ مركوبهم ﴿ ومنها يأْكُلُونَ ﴾ ينتفعون بأكل لحمها .

[٧٣] ﴿ ولهُم فِيها منافِعُ ﴾ من الجلود والأصواف والأوبار ﴿ ومشارِبُ ﴾ من ألبانها ﴿ أفَلا يَشْكُرونَ ﴾ فيعبدوا المُنْعِم بأصناف هذه النِّعَم الجسيمة .

[٧٤] ﴿ واتَّخَذوا من دونِ اللَّهِ آلِهَةً لعلَّهُم يُنْصَرونَ ﴾ ينصرونهم فيما أصابهم من الكوارث .

[٧٥] ﴿ لا يَستَطِيعون نصْرَهُم ، وهُم لَهُم ﴾ أي لآلهتهم ﴿ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴾ مُعَدُّون لخدمتهم والذبِّ عنهم ، فمن أين لهم أن ينصروهم وهم على تلك الحال من العجز والضعف ؟ بل الأمر بالعكس . وقيل المعنى : مُحْضَرون على أثرهم في النار .

[٧٦] ﴿ فلا يَحْزُنْكَ قولُهُم ﴾ في الله تعالى بالإلحاد والشرك ، أو في حقك بالتكذيب والإيذاء ﴿ إنّا نعلَمُ ما يُسِرُّونَ ما يُعْلِنون ﴾ فنجازيهم عليه .

[٧٧] ﴿ أوَلَمْ يَرَ الإنسانُ أنّا خلَقْناه من نُطْفَةٍ فإذا هو خَصيمٌ مُبينٌ ﴾ أي جَدِل بالباطل بيِّن الجدال ، وهذه تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة إلى إنكارهم الحشرَ . [قال بعضهم : عني به أُبيّ بن خلف، وقال آخرون : بل عني به : العاص بن وائل السهمي، وقال آخرون؛ بل عني به عبد الله بن أُبيّ ـ وأي كان منهم فقد ـ أتى رسول الله ﷺ بعظم حائل، ففته بين يديه، فقال : يا محمد أيبعث الله هذا حياً بعدما أرمَّ؟ قال (نعم يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم) ـ ابن جرير] .

[٧٨] ﴿ وضَرَبَ لنا مَثَلاً ﴾ في استبعاد البعث وإنكاره ﴿ ونسِيَ خَلْقَهُ ﴾ أي خلْقَنا إيَّاه ﴿ قال مَن يُحْيِي العِظامَ وهِي رَمِيمٌ ﴾ بالية أشد البلى ، بعيدة عن الحياة غاية البُعْد .

[٧٩] ﴿ قُلْ يُحيِيها الذي أنْشأَها أوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ فلا تقاس قدرة الخالق على قدرة المخلوقين ، وإنما تقاس إعادته على إبدائه ﴿ وهو بكُلِّ خَلْقٍ عَليمٌ ﴾ فلا يمتنع عليه جمع الأجزاء بعد تفرُّقها لعلمه بأصولها وفصولها ومواقعها ، وطريق ضمّها إلى بعضها .

[٨٠] ﴿ الذي جعلَ لكُم مِنَ الشَّجَرِ الأخضرِ ناراً فإذا أنتُم مِنْهُ تُوقِدون ﴾ . [عن قتادة قال : الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه] .

[٨١] ﴿ أوَلَيْسَ الذي خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ ﴾ مع كبر جرمهما ﴿ بقادِرٍ على أن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ في الصغر والضعف ثانية بعدما خلقهم أولاً؟ ﴿ بلى ﴾ هو القادر ﴿ وهو الخَلّاقُ ﴾ الكثير الخلق مرّة بعد أخرى ﴿ العَليمُ ﴾ الواسع المعلومات .

[٨٢] ﴿ إنَّما أمْرُهُ ﴾ أي شأنه الأعلى ، أو قوله النافذ ﴿ إذا أرادَ شيئاً ﴾ إذا تعلَّقت إرادته بإيجاد شيء ﴿ أنْ يقولَ لهُ كُنْ ، فَيَكُونُ ﴾ فيوجد عن أمره .

[٨٣] ﴿ فسُبْحانَ الذي بيدِهِ مَلَكُوتُ كلِّ شيْءٍ ﴾ الملك والملكوت واحد في المعنى ، كرحمة ورحموت ﴿ وإلَيْهِ تُرْجَعونَ ﴾ بعد الموت ، فيجازيكم بأعمالكم .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

[سورة الصافات]

سميت بالصافات لاشتمالها على آية فيها صفات الملائكة تنفي إلهيتهم من الجهات الموهمة لها فيهم ، فينتفي بذلك إلهية ما دونهم ، فيدل على توحيد الله ، وهو من أعظم مقاصد القرآن . وهي مكية اتفاقاً . وعدد آياتها اثنتان وثمانون ومائة آية .

[١] ﴿ والصّافّاتِ صفّاً ﴾ المراد بالصافات الملائكة . وقيل : الصافات الطير . [٢] ﴿ فالزّاجِراتِ زَجْراً ﴾ الزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله .

[٣] ﴿ فالتّالِياتِ ذِكْراً ﴾ كلُّ من تلا كتاب الله .

[٤] ﴿ إنَّ إلهَكُم لَواحِدٌ ﴾ جواب للقَسَم . جاء بهذه الصيغة لتأكيد التوحيد .

[٥] ﴿ ربُّ السَّمٰواتِ والأرضِ وما بينَهُما ، ورَبُّ المَشارِقِ ﴾ فإن وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته ، والمراد بالمشارق مشارق الشمس .

[٦] ﴿ إنّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا ﴾ الجهة العليا القربى من كرة الأرض ﴿ بِزينةٍ ﴾ عجيبة بديعة ﴿ الكواكِبِ ﴾ بالجرّ بدل من « زينة » والمراد التزيين في رأي العين .

[٧] ﴿ وحِفْظاً من كُلِّ شيْطانٍ مارِدٍ ﴾ خارج عن الطاعة .

[٨] ﴿ لا يَسَّمَّعُونَ إلى المَلأ الأعْلى ﴾ لا يقدرون أن يسمعوا كلام الملائكة ، أو لئلا يسمعوا ﴿ ويُقْذَفُونَ ﴾ يُرْمَوْن ﴿ من كلِّ جانِبٍ ﴾ من جميع جوانب السماء ، إذا قصدوا الصعود إليها .

[٩] ﴿ دُحُوراً ﴾ أي للدحور ، وهو الطرد ﴿ ولهُم عذابٌ واصِبٌ ﴾ شديد غير منقطع . [١٠] ﴿ إلاّ من خَطِفَ الخَطْفَةَ ﴾ أي اختلس الكلمة ﴿ فأتْبَعَهُ شِهابٌ ﴾ لحقه شعلةٌ نارية تنقضُّ من السماء ﴿ ثاقِبٌ ﴾ مضيءٌ ، كأنه يثقب الجوَّ بضوئه . والمعنى أن الشياطين التي هي مخلوقات لا ندرك تركيبها ، وليس لنا أن ننكرها تتعرض للهلاك بانقضاض أجزاء من أجرام سماوية عليها . [١١] ﴿ فاستَفْتِهِم ﴾ فاستخبر مشركي مكة ﴿ أهُم أشَدُّ خَلْقاً ﴾ أهم أقوى خلقة وأمتن بنية ﴿ أمْ مَنْ خَلَقْنا ﴾ من السّمٰوات والأرض والجبال ؟ ﴿ إنّا خلَقْناهم من طِينٍ لازِبٍ ﴾ لزج ضعيف لا قوة فيه . [١٢] ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ من إنكارهم للبعث بعد اضطرارهم للاعتراف بما يحققه ﴿ ويسْخَرُونَ ﴾ من تقرير أمر البعث والاحتجاج عليه . [١٣] ﴿ وإذا ذُكِّرُوا ﴾ وُعِظوا وخُوِّفوا من المخالفة ﴿ لا يَذْكُرونَ ﴾ لا يخافون ولا يتَّعظون . [١٤] ﴿ وإذا رأوْا آيةً ﴾ برهانا من آيات الكائنات في أنفسهم أو في الآفاق ﴿ يستَسْخِرُونَ ﴾ يبالغون في السخرية . [١٥] ﴿ وقالوا إنْ هٰذا ﴾ أي ادعاء ما ذكر، والاستدلال عليه ما هو ﴿ إلاّ سِحْرٌ مُبينٌ ﴾ . [١٦] ﴿ أإذا مِتْنا وكُنّا تُراباً وعِظاماً أإنّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ . [١٧] ﴿ أوَ آباؤُنا الأوَّلُون ﴾ . [١٨] ﴿ قُلْ ﴾ تبكيتاً لهم : ﴿ نَعَمْ ﴾ تُبْعَثون ﴿ وأنْتُم داخِرُونَ ﴾ ذليلون ، لا جدل منكم يدفعه ولا قدرة . [١٩] ﴿ فإنَّما هي ﴾ البَعثة ﴿ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ ﴾ صيحة واحدة ﴿ فإذا هُم يَنْظُرُونَ ﴾ قيام من مراقدهم يبصرون ، أو ينتظرون ما يُفعَل بهم . [٢٠] ﴿ وقالوا يا وَيلنا هذا يومُ الدِّينِ ﴾ يوم الجزاء . [٢١] ﴿ هذا يومُ الفَصْلِ الذي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبونَ ﴾ تنكرون قدومه . [٢٢] ﴿ احْشُرُوا الذين ظَلَمُوا ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي والسعي بالفساد ﴿ وأزْواجَهُم ﴾ وأشباههم من الفَجَرة ، أو نساءهم الكافرات ﴿ وما كانوا يَعْبُدُونَ ﴾ أي احشروهم معاً ، هم وما كانوا يعبدون . [٢٣] ﴿ من دونِ اللَّهِ ﴾ من الأصنام وغيرها ﴿ فاهْدُوهُم إلى صِراطِ الجَحِيمِ ﴾ فعرِّفوهم طريقها ليسلكوها ، والتعبير بالهداية والصراط للتهكم بهم . [٢٤] ﴿ وقِفُوهُم ﴾ احبسوهم في الموقف ﴿ إنَّهُم مَسْؤُولُونَ ﴾ عن عقائدهم وأعمالهم .

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ
لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ
﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ
﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ
الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

[٢٥] ﴿ ما لكُم لا تَناصَرُونَ ﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً ، وقد كان شأنكم التعاضد في الحياة الأولى ، وهو توبيخ لهم وتقريع .

[٢٦] ﴿ بَلْ هُمُ اليوم مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ منقادون مخذولون .

[٢٧] ﴿ وأقْبَلَ بعضُهُم على بعْضٍ يتساءَلُونَ ﴾ أي : يتخاصمون .

[٢٨] ﴿ قالوا إنَّكُم كُنتُم تأتونَنا عن اليَمِينِ ﴾ أي عن القهر والغَلَبة ، وقيل عن الحلف والقسم ، وقيل عن جهة الخير وناحية الحق من « اليمين » أي توهمونا وتخدعونا أنَّ ما أنتم عليه أمر ميمون فيه الخير والفوز فأين مصداقه وقد نزل ما نزل ؟ .

[٢٩] ﴿ قالوا بَلْ لم تكونوا مُؤْمِنين ﴾ أي بل أنتم أبيتم الإيمان واخترتم الكفر .

[٣٠] ﴿ وما كانَ لنا عليكُم من سُلطانٍ ﴾ تسلط لسلبكم به اختياركم ﴿ بل كنتُم قوماً طاغِينَ ﴾ أي اخترتم الطغيان .

[٣١] ﴿ فحَقَّ علَيْنا قولُ رَبِّنا إنَّا لَذائِقُونَ ﴾ يعني وعد الله بذوق عذابه .

[٣٢] ﴿ فأغْوَيْناكُم إنّا كُنَّا غاوِينَ ﴾ دعوناكم إلى الغي لتكونوا مثلنا فيه .

[٣٣] ﴿ فإنَّهُم يومئذٍ في العَذَابِ مُشترِكونَ ﴾ الأتباع والمتبوعون .

[٣٤] ﴿ إنّا كَذلكَ نفعلُ بالمُجْرِمِينَ ﴾ أي : بالمشركين .

[٣٥] ﴿ إنَّهم كانوا إذا قِيلَ لهُم لا إلهَ إلاّ اللَّهُ يستَكْبِرونَ ﴾ عن الاستجابة للداعي إليها .

[٣٦] ﴿ ويقولون أإنّا لَتارِكو آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مجْنونٍ ﴾ أي لقول من يقول بالمقدِّمات الخيالية عن الجنون .

[٣٧] ﴿ بَلْ جاءَ بالحَقِّ وصدَّقَ المرسَلِينَ ﴾ الذين هم أعقل الأمم وأحكم الحكماء ، فمتى يتفقون على قول مصدره الجنون ؟ .

[٣٨] ﴿ إنَّكُم ﴾ بافترائكم ﴿ لَذائقو العذابِ الأليمِ ﴾ . [٣٩] ﴿ وما تُجْزَوْن إلاّ ما كنتُم تعْمَلُون ﴾ .

[٤٠] ﴿ إلا عبادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ ﴾ أي المؤمنين . [٤١] ﴿ أولئك لهُم رِزْقٌ معْلومٌ ﴾ في الجنة . [٤٢] ﴿ فواكِهُ وهُم مُكْرَمُونَ ﴾ منعمون .

[٤٣] ﴿ في جَنّاتِ النَّعِيمِ ﴾ . [٤٤] ﴿ على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ ﴾ في الصف متراءين ، لا يحجب بعضهم عن بعض ، ولا يتفاضلون في المقاعد .

[٤٥] ﴿ يُطافُ عليهم بكأسٍ من مَعِينٍ ﴾ أي شراب معين ، جارٍ كالنهر لا ينقطع . [٤٦] ﴿ بيضاءَ لَذَّةٍ للشَّارِبِينَ ﴾ .

[٤٧] ﴿ لا فِيها غَوْلٌ ﴾ ما يغتال العقل ، ولا فساد من فساد خمر الدنيا ﴿ ولا هُم عنها يُنْزَفُونَ ﴾ أي تذهب عقولهم .

[٤٨] ﴿ وعندَهُم قاصِراتُ الطَّرْفِ ﴾ على أزواجهن أو مبيِّضاته تشبيهاً بالثوب المقصور ، وهو المحوَّر ﴿ عِينٌ ﴾ كبار الأعين .

[٤٩] ﴿ كأنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنونٌ ﴾ بيض نعام في الصفاء ، مستور لم يركب عليه غبار ، وهذا على عادة العرب في تشبيه النساء بها ، وخُصَّت ببيض النعام لصفائه وكوْنه أحسن منظراً من سائره ، ولأنها تبيض في الفَلاة وتبعد بيضها عن أن يُمَسَّ ، ولذا قالت العرب للنساء «بيضات الخدور» .

[٥٠] ﴿ فأقبَلَ بعضُهُم على بعضٍ يتساءَلُون ﴾ . [٥١] ﴿ قال قائِلٌ منهُم ﴾ في المحادثة : ﴿ إنِّي كانَ لِي قَرِينٌ ﴾ جليس في الدنيا .

يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ
الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي
لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

[٥٢] ﴿ يقولُ أإنَّك لَمِنَ المُصَدِّقِينَ ﴾ أي : بيوم الدين .

[٥٣] ﴿ أإذا مِتْنا وكُنّا تُراباً وعِظاماً أإنا لَمَدِينُون ﴾ لمبعوثون فمجزيُّون .

[٥٤] ﴿ قال ﴾ ذلك القائل : ﴿ هَلْ أنتُم مُطَّلِعونَ ﴾ إلى أهل النار من كوى الجنة ومطالِّها ، لأريكم ذلك القرين .

[٥٥] ﴿ فاطَّلَعَ فرآهُ في سَواءِ الجَحِيمِ ﴾ أي وسطه .

[٥٦] ﴿ قال تَاللَّهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴾ لتهلكني بالإغواء .

[٥٧] ﴿ ولَوْلا نِعمَةُ رَبِّي ﴾ بالهداية واللطف بي ﴿ لكنْتُ مِنَ المُحضَرِينَ ﴾ معك في النار .

[٥٨] ﴿ أفَما نَحنُ بمَيِّتِينَ ﴾ .

[٥٩] ﴿ إلاّ موتَتَنا الأُولى وما نحنُ بمُعذَّبِينَ ﴾ من تتمة كلامه لقرينه ، تقريعاً له ، أو معاودة إلى محادثة جلسائه ، تحدُّثاً بنعمة الله تعالى .

[٦٠] ﴿ إنَّ هذا لَهُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ .

[٦١] ﴿ لِمِثْلِ هذا فلْيَعْمَلِ العامِلونَ ﴾ لنيل مثله فليجدَّ المجدُّون .

[٦٢] ﴿ أذلك خيرٌ نُزُلاً أمْ شجرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ هي شجرة كريهة المنظر والطعم .

[٦٣] ﴿ إنّا جعلناها فتنَةً ﴾ محنة وعذاباً ﴿ للظَّالِمِينَ ﴾ .

[٦٤] ﴿ إنَّها شجرةٌ تخرُجُ في أصْلِ الجَحِيمِ ﴾ .

[٦٥] ﴿ طَلْعُها كأنَّهُ رُؤوسُ الشَّياطِينِ ﴾ مثلما يتخيل ويتوهم من قبح رؤوس الشياطين ، فهي قبيحة الأصل والثمر والمنظر والملمس . [٦٦] ﴿ فإنَّهم لآكِلُونَ منها ﴾ من طلعها ﴿ فمالِئُونَ منها البُطُونَ ﴾ لغلبة الجوع أو الإكراه على أكلها .

[٦٧] ﴿ ثُمَّ إنَّ لهُم عليها لَشَوْباً من حَمِيم ﴾ أي لشراباً كالصَّديد أو الغسَّاق ، ممزوجاً من ماء متناهٍ في الحرارة يُقطِّع الأمعاء .

[٦٨] ﴿ ثُمَّ إنَّ مرْجِعَهُم ﴾ مصيرهم ﴿ لَإلى الجَحِيمِ ﴾ لا مفر لهم منها ولا محيص كيفما تحوَّلوا .

[٦٩] ﴿ إنَّهم أَلْفَوْا آباءَهُم ضَالِّينَ ﴾ .

[٧٠] ﴿ فهُم على آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال ، و« الإهراع » الإسراع الشديد كأنهم يزعجون على الإسراع على آثارهم . وفيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلك من غير نظر ولا بحث ، بل مجرد تقليد وترك اتباع دليل .

[٧١] ﴿ ولقَدْ ضَلَّ قبلَهُم أكثَرُ الأوَّلِينَ ﴾ .

[٧٢] ﴿ ولقَدْ أرسَلْنا فيهم مُنْذِرِينَ ﴾ أنبياء حذَّروهم العواقب .

[٧٣] ﴿ فانْظُرْ كيفَ كانَ عاقِبَةُ المُنْذَرِينَ ﴾ الذين أُنذروا وخُوِّفوا فقد أُهْلِكوا جميعاً .

[٧٤] ﴿ إلاّ عِبادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ ﴾ الذين أخلصوا دينهم لله ، أو الذين أخلصهم تعالى لدينه ، فإنه تعالى نصرهم وجعل العاقبة لهم .

[٧٥] ﴿ ولقدْ نادانا نُوحٌ ﴾ بقوله : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ ﴿ فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ ﴾ لأنه لا يجيب المضطر غيرُه سبحانه .

[٧٦] ﴿ ونجَّيْناهُ وأهلَهُ من الكَرْبِ العَظِيمِ ﴾ من الغرق والطوفان ، والمراد بأهله من آمن معه .

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ
يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

[٧٧] ﴿وجعلْنا ذرِّيَّتَـهُ هُمُ البَاقِينَ﴾ في الأرض بعد هلاك قومه الكافرين .

[٧٨] ﴿وتركْنا عليهِ في الآخِرِينَ﴾ أبقينا عليه في الأمم بعده ثناء حسناً .

[٧٩] ﴿سلامٌ على نوحٍ في العالَمِينَ﴾ أي أن يسلموا عليه يوم القيامة .

[٨٠] ﴿إنَّا كذلكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾ تعليل لما أثيب بالتكرمة بأنه مجازاة على إحسانه ، وهو مجاهدته في إعلاء كلمة الله والدعوة الى الحق ليلاً نهاراً ، سراً وجهاراً .

[٨١] ﴿إنَّهُ من عِبَادِنَا المُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين .

[٨٢] ﴿ثم أغْرَقْنا الآخَرِينَ﴾ من كفّار قومه .

[٨٣] ﴿وإنَّ من شِيعتِهِ لإبراهيمَ﴾ إنه ممن شايعه وتابعه في الإيمان والدعوة القويَّة إلى التوحيد .

[٨٤] ﴿إذْ جاءَ ربَّهُ بقلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أقبل إلى توحيده بقلب خالص من الشوائب باقٍ على الفطرة ، سليم عن النقائص والآفات .

[٨٥] ﴿إذْ قال لأبيهِ وقومِهِ ماذا تَعْبُدُونَ﴾ من دون الله .

[٨٦] ﴿أإفكاً آلهةً دونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ أتريدون بطريق الكذب آلهة دون الله ؟

[٨٧] ﴿فما ظَنُّكُم برَبِّ العالَمِينَ﴾ بمن هو الحقيق بالعبادة ، لكونه ربّاً للعالمين حتى تركتم عبادته وأشركتم به غيره ، أو المعنى : فما ظنُّكم به ؟ ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره ؟

[٨٨] ﴿فنظَرَ نظْرَةً في النُّجُومِ﴾ ليريهم على أنه يستدل بها على شيء لأنهم كانوا منجِّمين . [٨٩] ﴿فقال : إنِّي سَقِيمٌ﴾ أي مريض لا يمكنني الخروج معكم إلى معبدكم .

[٩٠] ﴿فتَوَلَّوْا عنْهُ مُدبِرِينَ﴾ إلى معبدهم . [٩١] ﴿فَرَاغَ إلى آلِهَتِهِم﴾ ذهب إليها في خفية ﴿فقالَ﴾ للأصنام استهزاء : ﴿ألا تأْكُلُون﴾ .

[٩٢] ﴿ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ﴾ بإيجاب ولا سلب . [٩٣] ﴿فَراغَ عليهِم﴾ هجم عليهم ﴿ضَرْباً باليَمِينِ﴾ التي هي أقوى الباطشتين ـ اليدين ـ ، فكسرها . [٩٤] ﴿فأقبلوا إليهِ﴾ إلى إبراهيم بعدما رجعوا ـ أي قوم إبراهيم ـ ﴿يَزِفُّونَ﴾ يسرعون لمعاتبته على ما صدر منه .

[٩٥] ﴿قالَ أتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ﴾ من الأصنام . [٩٦] ﴿واللَّهُ خلَقَكُم وما تعمَلُونَ﴾ من الأصنام المنوّعة الأشكال ، المختلفة المقادير .

[٩٧] ﴿قالوا ابْنُوا لَهُ﴾ لإحراقه ﴿بُنْياناً فأَلْقُوهُ في الجَحِيمِ﴾ يقصدون النار التي أوقدوها .

[٩٨] ﴿فأرادوا بِهِ كَيْداً فجعَلْناهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾ الأذلّين بإبطال كيدهم ، جعل النار عليه برداً وسلاماً .

[٩٩] ﴿وقال إنِّي ذاهِبٌ إلى رَبِّي﴾ مهاجر إلى بلد أعبد فيه ربي ، وأعصم فيه ديني ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى ما فيه صلاح ديني ، أو إلى مقصدي .

[١٠٠] ﴿رَبِّ هَبْ لي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي ولداً صالحاً يعينني على الدعوة والطاعة . [١٠١] ﴿فبَشَّرْناهُ بغُلامٍ حَلِيمٍ﴾ متسع الصدر ، حسن الصبر والإغضاء في كل أمر ، والحلم رأس الصلاح وأصل الفضائل . [١٠٢] ﴿فلمّا بَلَغَ معَهُ السَّعْيَ﴾ أي السنَّ التي يقدر فيها على السعي والعمل ﴿قال يا بُنَيَّ إنِّي أرَى في المَنامِ أنِّي أذْبَحُكَ فانظُرْ ماذا تَرى﴾ إني أُمِرتُ في المنام بذبحك ، ورؤيا الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة ﴿قال يا أبَتِ افعَلْ ما تُؤْمَرُ﴾ ما يأمرك الله به ، فإن كان ذاك أمراً من لدنه فأمضِه ﴿ستَجِدُني إنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على الذبح ، أو على قضاء الله .

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ
صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى
ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ
ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

[١٠٣] ﴿فلَمَّا أسْلَما﴾ أي استسلما وانقادا لأمره تعالى بدون إبطاء ، واستل إبراهيم السكين ﴿وتَلَّهُ للجَبِينِ﴾ صرعه على شقِّه ، فوقع جبينه على الأرض وهو أحد جانبي الجبهة ، و تلَّهُ أصل معناه : رماه على التلِّ ، وهو التراب المجتمع كَتَرَّبَهُ ، ثم عمّ لكل صرعٍ .

[١٠٤] ﴿وناديْناهُ أنْ يا إبراهيمُ﴾ .

[١٠٥] ﴿قد صدَّقْتَ الرُّؤْيا﴾ أي : لا تذبحه وقد قمت بمصداقها في بذل الوسع وأُوتيت أجرَ الامتثال والصبر والثبات ﴿إنّا كَذلك نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾ باللطف والعناية والنداء والوحي والفرج بعد الشِّدّة .

[١٠٦] ﴿إنَّ هذا لهُوَ البَلاءُ المُبِينُ﴾ الاختبار البيِّن الذي يتميز فيه المخلص من غيره .

[١٠٧] ﴿وفَدَيْناهُ بذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ رزقناه ما يذبح بدلاً عنه وفداء له . وقد روي أنه عليه السلام لما نودي حانت منه التفاتة إلى ما حوله فأبصرَ كبشاً قد انتشب قرناه في شجرة ، فتمَّ به المرئيُّ في المنام المقصود به القربان لله .

[١٠٨] ﴿وتركْنا عليهِ في الآخِرِين﴾ الضمير يعود على إبراهيم .

[١٠٩] ﴿سَلامٌ على إبراهيمَ﴾ مثل ما تركنا على نوح .

[١١٠] ﴿كذلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾ .

[١١١] ﴿إنَّه من عبادِنا المُؤْمِنِين﴾ .

[١١٢] ﴿وبشَّرْناهُ بإسْحٰقَ نَبِيّاً من الصَّالِحِينَ﴾ .

[١١٣] ﴿وبارَكْنا عليهِ﴾ على إبراهيم ﴿وعلى إسْحٰقَ﴾ بتكثير الذرية وتسلسل النبوّة فيهم ، وجعلهم ملوكاً ، وإيتائهم ما لم يؤتَ أحدٌ ﴿ومِنْ ذُرِّيَّتِهِما مُحْسِنٌ﴾ في عمله ﴿وظالِمٌ لنفْسِهِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر الظلم .

[١١٤] ﴿ولقد مَنَنَّا على مُوسى وهارُونَ﴾ بالنبوّة والرسالة والاصطفاء على عالَمَيْ زمانهما .

[١١٥] ﴿ونجَّيْناهُما وقَوْمَهُما من الكَرْبِ العظيمِ﴾ وهو قهر فرعون لهم بذبح الأولاد ، ونهاية الاستعباد .

[١١٦] ﴿ونصَرْناهُم فكانوا هُمُ الغالِبِينَ﴾ مع ضعفهم وقوة فرعون وقومه .

[١١٧] ﴿وآتَيْناهُما الكِتابَ المُسْتَبِينَ﴾ البليغ في بيانه للأحكام والتشريعات والآداب . [١١٨] ﴿وَهَدَيْناهُما الصِّراطَ المُسْتقيمَ﴾ في باب الاعتقاد والمعاملات الموصل رعايته والسلوك عليه إلى السعادة . [١١٩] ﴿وتَرَكْنا عليهِما في الآخِرِينَ﴾ . [١٢٠] ﴿سلامٌ على موسى وهارُونَ﴾ .

[١٢١] ﴿إنَّا كذلك نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾ . [١٢٢] ﴿إنَّهما من عِبادِنا المُؤْمِنِينَ﴾ .

[١٢٣] ﴿وإنَّ إلياسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾ وهو من أنبياء بني إسرائيل من بعد زمن سليمان .

[١٢٤] ﴿إذْ قال لقَوْمِهِ ألا تَتَّقُونَ﴾ عذابَ الله ونقمته .

[١٢٥] ﴿أتَدْعُونَ بَعْلاً﴾ أتعبدونه أو تطلبون الخير منه؟ وهو صنم من أصنام الفينيقيين أقاموا له ولغيره من الأوثان معابد ومذابح وكهنة ، يعظِّمون من شأنهم ويقيمون لهم المآدب والأعياد الحافلة ، ويقدِّمون لهم ضحايا بشرية ﴿وتَذَرُونَ أحسنَ الخالِقِينَ﴾ وتتركون عبادَته .

[١٢٦] ﴿اللَّهَ ربَّكُم وربَّ آبائِكُم الأَوَّلِينَ﴾ .

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا
لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا
فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ
كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ
وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

[١٢٧] ﴿ فكذّبوهُ فإنّهم لمُحضَرونَ ﴾ في العذاب .

[١٢٨] ﴿ إلّا عبادَ اللّهِ المُخلَصينَ ﴾ الـذين آمنوا بـه واتّبعوه .

[١٢٩] ﴿ وتركْنا عليْهِ في الآخِرينَ ﴾ .

[١٣٠] ﴿ سَلامٌ على إلْ ياسِينَ ﴾ بكسر الهمزة وسكون اللام مـوصولة بـ ياسين وقرىء آل ياسين بإضـافة آل ـ بمعنى أهل ـ إليـه . وكله من التصرُّف في العَلم الأصليِّ الذي هو إيليا على قاعدة العرب في الأعلام العجمية ، إذا أرادت أن تلطفهـا في الاستعمال ، وتخففهـا على الألسنة . [١٣١] ﴿ إنّا كـذلكَ نَجْزي المُحْسِنينَ ﴾ .

[١٣٢] ﴿ إنَّـهُ من عِبادِنا المُؤْمِنينَ ﴾ .

[١٣٣] ﴿ وإنَّ لُوطاً لَـمِنَ المُرْسَلينَ ﴾ للدعاء إلى الله والنهي عن الفواحش .

[١٣٤] ﴿ إذْ نجَّيْناهُ وأهلَـهُ أجْمَعينَ ﴾ من عذاب قـومه المنذَرين . [١٣٥] ﴿ إلّا عَجُـوزاً ﴾ وهي امرأته ، فإنها وإن خرجت عن مكان عذابهم كانت ﴿ في الغابِرينَ ﴾ في حكم البـاقين في العذاب لكونها على دينهم .

[١٣٦] ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنا ﴾ أهلكنا ﴿ الآخَرينَ ﴾ .

[١٣٧] ﴿ وإنَّـكُم ﴾ يـا أهل مكـة ﴿ لتَمُرُّونَ عليهِم مُصبِحينَ ﴾ .

[١٣٨] ﴿ وبالليلِ ﴾ فترون دائماً علامات مـؤاخذتهم ﴿ أفَـلا تعْقِلُـونَ ﴾ .[١٣٩] ﴿ وإنَّ يُـــونُسَ لمن المُـرْسَلينَ ﴾ إلى أهل نينوى للتوحيد والزجر عن ارتكاب المآثم . [١٤٠] ﴿ إذْ أبَـقَ ﴾ بغير إذن ربـه عن قـومـه المرسَل إليهـم ، والأُبوق : الفرار ﴿ إلى الفُلْكِ المَشْحُونِ ﴾ أي السفينة المملوءة ليركب فيها من بلد إلى آخـر ، فهبَّت ريح شديدة كادت تغرقهم ، فاقترعـوا ليعلموا بسبب مَن أصابهم هـذا البلاء ، فـوقعت على يونس فألْقَـوْه في البحر . [١٤١] ﴿ فساهَمَ ﴾ أي قارع ﴿ فكانَ مِنَ المُـدْحَضِينَ ﴾ المغلوبين بالقرعـة ، وأصله الزلق عن الظفر . [١٤٢] ﴿ فالتـقَمَهُ الحُوتُ ﴾ أي ابتلعه ﴿ وهو مُلِيمٌ ﴾ آتٍ بما يُلام عليـه من السفر بغير أمـر ربه .

[١٤٣] ﴿ فلَوْلا أنَّـهُ كان مِنَ المُسَبِّحِينَ ﴾ الذاكرين الله بالتسبيح والإنابة والتوبة في بطن الحوت . [١٤٤] ﴿ لَـلَبِثَ في بطْنِهِ إلى يومِ يُبعَثُونَ ﴾ لكان بطنه قبراً له إلى يوم القيامة ، لكن رحمناه بتسبيحه . [١٤٥] ﴿ فـنَـبَـذْناهُ بالعَراءِ ﴾ حملنا الحوت على طرحه باليبس من الشطِّ ﴿ وهو سَقِيمٌ ﴾ مما ناله من هذا المحبس الذي يأخذ بالخناق . [١٤٦] ﴿ وأنْـبَـتْنا عليهِ شجرَةً من يَقْطِينٍ ﴾ لتقيه من الذباب والشمس . [١٤٧] ﴿ وأرسَلْناهُ ﴾ بعد ذلك ، بأن أمرناه ثانية بالذهاب ﴿ إلى مائةِ ألفٍ أو يَزيدُونَ ﴾ وهم قومه المرسَل إليهم ، الذين أبق عن الذهاب إليهم أوّلاً . [١٤٨] ﴿ فآمَنُوا فمتَّعْناهُم إلى حِينٍ ﴾ إلى حين انقضاء آجالهم بالعيش الهنيِّ والمقام الأمين ، ببركة الإيمان والعمل الصالح . [١٤٩] ﴿ فاسْـتَـفْتِهِم ﴾ فاسْألْ قريشاً المنذَرين بأنباء الرسل وقومهم ﴿ ألِرَبِّكَ البَـناتُ ولَهُمُ البَـنُونَ ﴾ سلهم عن وجه القسمـة الضِيزى التي قسمـوها ، جعلوا لله الإنـاث ولأنفسهم الذكـور في قولهم : الملائكة بنات الله ، مع كراهتهم الشديدة لهنَّ ووأدهنَّ واستنكافهم عن ذكرهن . [١٥٠] ﴿ أمْ خَلَقْنا الملائكةَ إناثاً وهم شاهِدون ﴾ حاضرون ، حتى فاهوا بتلك العظيمة . [١٥١] ﴿ ألا إنَّهم مِن إفْكِهِم لَيَـقُولُونَ ﴾ . [١٥٢] ﴿ وَلَدَ اللَّهُ ﴾ أي صدر عنـه الولد ، مع أن الولادة من خـواصِّ الأجسام القابلة للفساد ﴿ وإنَّهُم لَـكاذِبُونَ ﴾ في مقالتهم . [١٥٣] ﴿ أصْطَفى البَناتِ ﴾ أي اختار الإناث ﴿ على البَنِينَ ﴾ على الذكور .

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ
﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا
لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ صٓ

ترتيبها ٣٨ — آياتها ٨٨

[١٥٤] ﴿ ما لَـكُمْ ﴾ أي : أيُّ شيء عرض لعقـولكم ﴿ كيف تَحْكُمُونَ ﴾ بنسبـة النـاقص إلى المقـام الأعلى وتخيُّركم الكـامل . [١٥٥] ﴿ أفَلا تـذَكَّرُونَ ﴾ فهـو سبحـانه منـزَّه عن ذلك . [١٥٦] ﴿ أمْ لكُم سُلْطـانٌ مُبِينٌ ﴾ أي حجة واضحة وبرهان قاطع .

[١٥٧] ﴿ فأْتُوا بكِتابِكُم ﴾ المسطور فيه ذلك عن وحي سماوي ﴿ إنْ كُنْـتُم صادِقِين ﴾ في دعواكم .

[١٥٨] ﴿ وجَعَلُوا بينـهُ وبيْنَ الجِنَّة نَسَباً ﴾ قال مجاهد : قال المشركون : الملائكة بنات الله تعالى . قال أبو بكر : فمَن أمهـاتهن ؟ قـالـوا : بنـات سروات الجن ﴿ ولقد علِمَتِ الجِنَّـةُ إنَّـهُم لَمُحضَرُونَ ﴾ في النار يوم القيامة ، لكون الجِنَّة كالجن ، عَلَماً في الأغلب للفرقة الفاسقة عن أمر ربها من عالم الشياطين .

[١٥٩] ﴿ سُبْحـانَ اللّـهِ عمّا يَصِفُـونَ ﴾ من الـولـد والنسب . [١٦٠] ﴿ إلّا عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ ﴾ استثناء من المحضَرين . [١٦١] ﴿ فإنَّكُم وما تَعْبُدونَ ﴾ عوْد إلى خطـابهم . [١٦٢] ﴿ مـا أنتُم عليـهِ بفاتِـنِين ﴾ بمفسدين أحداً بالإغواء . [١٦٣] ﴿ إلّا من هو صالِ الجَحِيم ﴾ إلا ضالٍّ مثلكم ، مستوجب للنار .

[١٦٤] ﴿ ومـا مِنّـا إلّا لَهُ مَقـامٌ مَعْلـومٌ ﴾ في العبودية وتسخيره فيما يريده تعالى منـه ، لا يتعدّى فيه طوْره ولا يجاوز منه قدرَه . [١٦٥] ﴿ وإنّا لنحنُ الصَّافُّونَ ﴾ في أداء الطاعة ومنازل الخدمة التي نُؤْمَر بها .

[١٦٦] ﴿ وإنّـا لنحنُ المُسَبِّحُـونَ ﴾ المنزِّهـون اللّهَ عما يصفه بـه الملحدون ، أو المصلُّـون له خشـوعاً لعظمتـه وتواضعاً لجلاله . [١٦٧] ﴿ وإنْ كانوا لَيَـقُولُونَ ﴾ أي : مشركو قريش . [١٦٨] ﴿ لَوْ أنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الأوَّلِينَ ﴾ أي كتاباً من الكتب التي نزلت عليهم . [١٦٩] ﴿ لكُنّا عبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ ﴾ لأخلصنا العبادة له . [١٧٠] ﴿ فكَفَروا بِهِ فسَوْفَ يعْلَمونَ ﴾ عاقبة كفرهم .

[١٧١] ﴿ ولقَد سَبَـقَتْ كَلِمَتُنا لعِبادِنا المُـرْسَلِينَ ﴾ وعْدُنا الأزليُّ لهم . [١٧٢] ﴿ إنَّـهُم لَـهُمُ المَـنْصُورُونَ ﴾ .

[١٧٣] ﴿ وإنَّ جُنْدَنا ﴾ هم الرسل ومن آمن معهم ﴿ لَـهُمُ الغالِبُون ﴾ الظاهرون على أعدائهم ، والمالكون لنواصيهم .

[١٧٤] ﴿ فَـتَوَلَّ عنـهُمْ حتى حِينٍ ﴾ أعرِضْ عنهم إعراض الصفوح الحليم عمَّن ينال منه الظاهرون على أعدائهم ، والمالكون لنواصيهم .

[١٧٥] ﴿ وأبْصِرْهُمْ ﴾ بصِّرهم وعرِّفهم عاقبة البغي والكفر ، فإن لم يبصروا الآن ﴿ فسوفَ يُـبْصِرُونَ ﴾ ما قضينا له من التأييد والنصرة .

[١٧٦] ﴿ أفبِعَذابِنا يستَعْجِلونَ ﴾ قبل حلول أجلـه ؟ وإنه لآتٍ . [١٧٧] ﴿ فإذا نَـزَلَ بساحَتِـهِم ﴾ بقربهم وفِنائهم ﴿ فَساءَ صَباحُ المُـنْذَرِينَ ﴾ فبئس الصباحُ صبـاحَ من أنذَرْتُهم بالـرسل فلم يؤمنوا ، لأنـه يوم هلاكهم ودمـارهم ، وكانت عادة مغـاويرهم أن يغيروا صباحـاً ، فسمِّيت الغارة « صباحاً » وإن وقعت في وقت آخر . [١٧٨] ﴿ وتـوَلَّ عنهُم حتَّى حِينٍ ﴾ إلى المدة التي أمهلوا فيها . [١٧٩] ﴿ وأبْصِرْ فسوفَ يُـبْصِرُونَ ﴾ أي : يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به من الذكر من صنوف المسرَّة وأنواع المساءة . وقيل : أريد بأحدهما عذاب الدنيا ، وبالآخر عذاب الآخرة .

[١٨٠] ﴿ سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ ﴾ ربّ المَنعة والقدرة والغلَبة ﴿ عَمّا يَصِفُونَ ﴾ من الشريك والولد ونحوهما .

[١٨١] ﴿ وسَلامٌ على المُرسَلِينَ ﴾ أي سلام وأمان وتحية على المرسَلين المبلِّغينَ رسالات ربهم . [١٨٢] ﴿ والحَمْدُ للّهِ ربِّ العالَـمِينَ ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
أَجَعَلَ الْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى الْمِلَّةِ الْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا اخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ
عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾
أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم
مُّلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى الْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾
جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا
مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

[سورة صٓ]

مكية . وعدد آياتها ثمان وثمانون آية .

[١] ﴿ صٓ ﴾ اسم للسورة على القول المتجه عندنا فيه وفي نظائره وقيل : قَسَمٌ رمزيّ ﴿ والقرآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ أي الشرف الدال على حقيقته وصدقه ، أو التذكير . والجواب محذوف لدلالة السياق عليه ، أي : إنه لَحَقٌّ .

[٢] ﴿ بلِ الذينَ كفَروا في عِزَّةٍ ﴾ في كِبْرٍ ﴿ وشِقاقٍ ﴾ عداوة للحق والإذعان له .

[٣] ﴿ كمْ أهلَكْنا من قَبلِهِم من قَرْنٍ ﴾ لكِبْرهم عن الحق ومعاداتهم لأهله ، والقرْن : الأمة ﴿ فنادَوْا ﴾ فدَعوْا واستغاثوا ﴿ ولاتَ حِينَ مَناصٍ ﴾ وليس الوقت وقتَ فرار ومهرب ومنجاة .

[٤] ﴿ وعَجِبوا أنْ جاءَهُم مُنْذِرٌ ﴾ رسولٌ ﴿ منهُم ﴾ من أنفسِهم ، يعني النبي محمداً ﷺ ﴿ وقال الكافِرون هذا ساحِرٌ كذَّابٌ ﴾ .

[٥] ﴿ أجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً واحِداً إنَّ هـذا لشيْءٌ عُجابٌ ﴾ أي بليغ في العجب ، وذلك لتمكن تقليد آبائهم في نفوسهم ، ورسوخه في أعماق قلوبهم .

[٦] ﴿ وانطَلَقَ المَلأُ منهُم ﴾ أي الأشراف من قريش يحضُّون بعضهم على التمسك بالوثنية ، قائلين : ﴿ أنِ امْشُوا ﴾ في طريق آبائكم ﴿ واصْبِروا على آلِهَتِكُم ﴾ على عبادتها مهما سمعتم من تسفيه أحلامنا وتفنيد مزاعمنا ﴿ إنَّ هذا لشيْءٌ يُرادُ ﴾ يريده محمد ﷺ من غير صارف يلويه ، ولا عاطف يثنيه ، أو المعنى : إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد منا وما لنا إلا الاعتصام عليه بالصبر . [٧] ﴿ ما سمِعْنا بهذا في المِلَّةِ الآخِرةِ ﴾ ملَّة النصارى ، لأنهم مثلِّثة غير موحِّدة ، أو في ملَّة قريش التي أدركنا عليها آباءنا ﴿ إنْ هذا إلاَّ اخْتِلاقٌ ﴾ ما هذا التوحيد إلا فرية محضة . [٨] ﴿ أأُنزِلَ عليهِ الذِّكرُ من بيننا ﴾ مع أن فينا من هو أثرى منه وأعلى رياسة ﴿ بلْ هُم في شَكٍّ من ذِكري ﴾ إنكارهم للذكر ليس عن علم ، بل هم في شك منه ﴿ بلْ لمَّا يذوقوا عَذابِ ﴾ على الإنكار ، فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك وصدَّقوا ، وتصديقهم لا ينفعهم حينئذ لأنهم صدَّقوا مضطرِّين . [٩] ﴿ أمْ عِندهُم خزائِنُ رحمةِ ربِّكَ العزيزِ الوَهّابِ ﴾ حتى يتخيَّروا للنبوَّة ما تهوى أنفسُهم .

[١٠] ﴿ أمْ لهُمْ مُلْكُ السَّمٰواتِ والأرضِ وما بينهما فليَرْتَقُوا في الأسْبابِ ﴾ فليصعدوا في المراقي التي توصلهم إلى السماء ، وليتحكموا بما شاؤوا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية إن قدروا . [١١] ﴿ جُنْدٌ ما ﴾ هم جند حقير ﴿ هنالك ﴾ إشارة إلى حيث وضعوا أنفسهم فيه من الانتداب لمثل هذا القول ، فهو مجاز . وجوِّز أن يكون حقيقة للإشارة إلى مكان قولهم وهو مكَّة ﴿ مَهْزومٌ من الأحزابِ ﴾ الذين يتحزَّبون على الأنبياء قبلك ، وأولئك قد قُهِروا وأُهلكوا ، وكذا هؤلاء . [١٢] ﴿ كذَّبتْ قبلَهُم ﴾ أي قبل قريش ﴿ قومُ نُوحٍ وعادٌ ﴾ وهم قوم هود ﴿ وفِرْعَوْنُ ذُو الأوْتادِ ﴾ أي الملك الثابت . [١٣] ﴿ وثمودُ ﴾ وهم قوم صالح ﴿ وقومُ لُوطٍ وأصْحابُ الأيْكَةِ ﴾ أي الغيضة ، وهم قوم شعيب ﴿ أولئك الأحْزابُ ﴾ الكفَّار المتحزِّبون على رُسُلِهم ، الذين جُعِل الجند المهزوم منهم . [١٤] ﴿ إنْ كلٌّ إلاّ كذَّبَ الرُّسُلَ فحقَّ عِقابِ ﴾ فوجبت عليهم عقوبتي . [١٥] ﴿ وما ينظُرُ هؤُلاءِ ﴾ أي أهل مكة ﴿ إلاّ صيْحةً واحِدةً ﴾ إلا أخْذة واحدة بعذاب بئيس ﴿ ما لَها مِن فَواق ﴾ ما لها من توقُّفٍ مقدار فواق ، وهو ما بين الحلبتين .

[١٦] ﴿ وقالوا : ربَّنا عجِّلْ لنا قِطَّنا ﴾ أي نصيبنا من العذاب الذي وعدته ﴿ قبْلَ يوْمِ الحِسابِ ﴾ يوم الجزاء . وقولهم على سبيل الاستهزاء والسخرية .

اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِىِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ
مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ الْحِكْمَةَ
وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟
الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ
خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً
وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ
مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ
﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

[١٧] ﴿ اصْبِرْ على ما يقولون ﴾ فقد وُعِدتَ بالنصر والظفر والمُلْك والتأييد ﴿ واذكُرْ عبدَنا داوُدَ ذا الأيْدِ ﴾ ذا الاجتهاد في أداء الأمانة والتشدد في القيام بالدعوة ومجانبة إظهار الضعف والوهَن ﴿ إنَّهُ أوَّابٌ ﴾ رجّاع إليه تعالى بالإنابة والخشية والعبادة والصيام .

[١٨] ﴿ إنّا سخَّرْنا الجبالَ معَهُ يُسبِّحْنَ ﴾ تبعاً لتسبيحه ﴿ بالعَشِيِّ والإشْراقِ ﴾ [قال ابن عباس : لقد قرأت ما بين اللوحتين ، ما عرفت صلاة الضحى إلاّ الآن ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ وكنت أقول : أين صلاة الإشراق؟ - ابن جرير] .

[١٩] ﴿ والطَّيْرَ محشورةً ﴾ مجموعة عنده يسبِّحن معه ﴿ كلٌّ لَهُ ﴾ لله تعالى ﴿ أوَّابٌ ﴾ مطيع منقاد ، يرجع بتسبيحه وتقديسه إليه .

[٢٠] ﴿ وشدَدْنا مُلْكَهُ ﴾ قوَّيناه بوفرة العدَد والعُدَد ونفوذ السلطة وإمداده بالتأييد والنصر ﴿ وآتَيْناهُ الحِكْمَةَ ﴾ النبوَّة أو الكلام المحكم المتضمِّن للمواعظ والأمثال والحضِّ على الآداب ومكارم الأخلاق ﴿ وفصْلَ الخِطابِ ﴾ فصل الخصام بتمييز الحق من الباطل ، ورفع الشُّبَه وإقامة الدلائل [عن شريح قال : ﴿فصل الخطاب﴾ الشاهدان على المدعي واليمين على من أنكر - ابن جرير] .

[٢١] ﴿ وهَلْ أتاكَ نَبأُ الخصْمِ إذْ تَسَوَّروا المِحْرابَ ﴾ ولجوه . والمحراب : مقدم كل بيت وأشرفه .

[٢٢] ﴿ إذ دَخَلوا على داوُدَ ففزِعَ منهُم ﴾ لدخولهما عليه من غير الباب الذي كان المدخل عليه ﴿ قالوا لا تَخَفْ ﴾ منّا ، فلسنا فاتكين ، وإنما نحن ﴿ خصْمانِ ﴾ شخصان متخاصمان تحاكمنا إليك ﴿ بغى بعضُنا على بعْضٍ ﴾ أي تعدّى ﴿ فاحْكُمْ بيننا بالحَقِّ ﴾ بما يطابق أمْر الله ﴿ ولا تُشْطِطْ ﴾ ولا تبعد عن الحق أو تجاوزه ﴿ واهدِنا إلى سَواءِ الصِّراطِ ﴾ بحيث لا تميل عن الحق أصلاً . [٢٣] ﴿ إنَّ هذا أخي ، له تِسْعٌ وتِسْعونَ نعجَةً ﴾ وهي الأنثى من الضأن ﴿ ولِيَ نعجَةٌ واحِدَةٌ ﴾ فلم ينظر إلى غناه عنها ، وافتقاري إليها ، بل أراد التغلّب عليَّ ﴿ فقال أكْفِلْنيها ﴾ بمعنى اجعلني كافلها كما أكفل ما تحت يدي ، أو بمعنى اجعلها نصيبي ﴿ وعَزَّني في الخِطابِ ﴾ غلبني في المكالمة . [٢٤] ﴿ قالَ ﴾ داود : ﴿ لقد ظلمَكَ بسُؤالِ نعجَتِكَ ﴾ بطلب نعجتك التي أنت أحوج إليها ليضمَّها ﴿ إلى نِعاجِه ﴾ مع استغنائه عنها ﴿ وإنَّ كثيراً من الخُلَطاءِ ﴾ الإخوان والأصدقاء المتخالطين في شؤونهم ﴿ لَيَبْغي بعضُهُم على بعْضٍ ﴾ بغي الأعداء مع أن من واجب حقهم النصفة على الأقل ، وأن يقوموا بفضيلة الإيثار ﴿ إلاّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ ﴾ فإنهم لا يبغون ﴿ وقليلٌ ما هُم ﴾ وهم قليل . وما مزيدة للإبهام والتعجيب من قلتهم ﴿ وظنَّ داوُدُ أنَّما فتَنَّاهُ ﴾ ابتليناه بتلك الحكومة ﴿ فاستغْفَرَ ربَّهُ وخرَّ راكِعاً وأنابَ ﴾ .

[٢٥] ﴿ فغفَرْنا لَهُ ذلكَ ﴾ أي ما استغفر منه ﴿ وإنَّ لَهُ عِنْدَنا لزُلْفى ﴾ لقرباً ﴿ وحُسْنَ مآبٍ ﴾ مرجعاً حسناً وكرامة ، في الآخرة .

[٢٦] ﴿ يا داوُدُ إنَّا جعلناكَ خليفةً في الأرْضِ فاحْكُمْ بيْنَ النّاسِ بالحَقِّ ولا تتَّبِعِ الهَوَى ﴾ أي هوى النفس من الميل إلى مال أو جاه أو قريب أو صاحب ﴿ فيُضِلَّكَ عَنْ سَبيلِ اللَّهِ إنَّ الذين يَضِلُّونَ عن سبيلِ اللَّهِ لهُم عذابٌ شديدٌ بما نَسُوا يومَ الحِسابِ ﴾ بسبب نسيانهم ، وهو ضلالهم عن السبيل [عن عكرمة قال : هذا من التقديم والتأخير، يقول : لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا] .

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ
﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟
ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ
﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ
أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ
لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ
كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا
عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ
بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

[٢٧] ﴿ وما خَلَقْنا السَّماءَ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما باطِلاً ﴾ مبطلين عابثين ﴿ ذلِكَ ظَنُّ الذينَ كفَرُوا ﴾ ولذا أنكروا البعث والجزاء على الأعمال ، وأخذوا يصدُّون عن سبيل الله ويبغون في الأرض الفساد ﴿ فَوَيْلٌ للذينَ كفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ .

[٢٨] ﴿ أَمْ نجعَلُ الذينَ آمَنُوا وعمِلُوا الصَّالِحاتِ كالمُفْسِدينَ في الأَرْضِ أَمْ نجعَلُ المُتَّقِينَ كالفُجَّارِ ﴾ الذين يخالفون أوامر الله ولا يبالون بعداوته ، أي : لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله .

[٢٩] ﴿ كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ ﴾ كثير الخير ﴿ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ ﴾ لينظروا في ألفاظه وترتيبها ولوازمها ، فيستخرجون منها علوماً بطريق الاستدلال ﴿ ولِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبابِ ﴾ .

[٣٠] ﴿ وَوَهَبْنا لداوُدَ سُلَيْمانَ ، نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ كثير الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة والإنابة .

[٣١] ﴿ إِذْ عُرِضَ عليهِ بالعَشِيِّ الصَّافِناتُ ﴾ من الخيل ، جمع صافن وهو الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رِجْلٍ ﴿ الجِيادُ ﴾ جمع جواد وهو الذي يسرع في جريه ، أو بمعنى الحسان ، جمع جيِّد .

[٣٢] ﴿ فقالَ : إِنِّي أحببْتُ حُبَّ الخَيْرِ عن ذكرِ رَبِّي ﴾ أي آثرته عليه . والخير : المال . والمال : الخيل التي شغلته ، أو سمى الخيل خيراً كأنها نفس الخير لتعلُّق الخير بها ﴿ حتَّى تَوارَتْ بالحِجابِ ﴾ أي غربت الشمس .

[٣٣] ﴿ رُدُّوها عَلَيَّ ﴾ يعني الصافنات ﴿ فطَفِقَ مسْحاً بالسُّوقِ والأَعْناقِ ﴾ فجعل يمسح مسحاً بالسيف بسوقها وأعناقها .

[٣٤] ﴿ ولقَدْ فتَنَّا سُليمانَ ﴾ أي ابتليناه ﴿ وأَلْقَيْنا على كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ جسماً مجسداً ، الله أعلم به ، وإنما أوثر الجسد عليه ، إجلالاً لسليمان عليه السلام ، وكان ذلك امتحاناً لسليمان وأمراً عرض وزال ﴿ ثُمَّ أنابَ ﴾ إلى ربه بالتوبة والاستغفار .

[٣٥] ﴿ قالَ ربِّ اغفِرْ لي وهَبْ لي مُلْكاً لا ينبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدي ﴾ أي غيري ، هبة فضل وإيثار وامتنان ﴿ إِنَّكَ أنتَ الوَهّابُ ﴾ .

[٣٦] ﴿ فسخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ ﴾ فذللناها لطاعته إجابة لدعوته ﴿ تجرِي بأَمْرِهِ رُخاءً ﴾ لينة سهلة ، مع شدَّة وقوَّة ، ولذا وصفت في الآية الأخرى بـ عاصفة ﴿ حيثُ أصابَ ﴾ حيث أراد . [٣٧] ﴿ والشَّياطِينَ ﴾ عطف على الريح ﴿ كُلَّ بَنَّاءٍ وغَوَّاصٍ ﴾ في قعر البحر .

[٣٨] ﴿ وآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ في الأَصْفادِ ﴾ أي مسلسلين في الأغلال لا يبعثهم إلى عمل .

[٣٩] ﴿ هذا عَطاؤُنا فامْنُنْ ﴾ على من شئت من المقرَّنين وغيرهم ﴿ أَوْ أَمْسِكْ ﴾ أو امنع ﴿ بغيرِ حِسابٍ ﴾ غير مُحاسب على المنِّ والإمساك .

[٤٠] ﴿ وإِنَّ لهُ عِنْدَنا لَزُلْفَى ﴾ لقربى في الدرجات ﴿ وحُسْنَ مَآبٍ ﴾ مرجع في الآخرة . [٤١] ﴿ واذْكُرْ ﴾ في باب الابتلاء وحسن عاقبة الصبر عليه ﴿ عبدَنا ﴾ الكامل في التحقق بالعبودية ﴿ أيوبَ إذ نادى ربَّه ﴾ دعاه وابتهل إليه قائلاً : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ﴾ أصابني ﴿ الشَّيْطانُ بنُصْبٍ ﴾ بمشقَّة ﴿ وعذابٍ ﴾ ألم شديد . [٤٢] ﴿ اركُضْ برِجْلِكَ ﴾ فاستجبنا له وقلنا : اركض برجلك ، اعدُ بها وامشِ ، فقد برأتَ وشفيتَ ﴿ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وشَرابٌ ﴾ ماء تغتسل به وتشرب منه ، والإشارة إلى عين أو نهر أو نحوهما .

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ
نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ
إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ
وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ
﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ
ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ
لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾
هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

[٤٣] ﴿ ووَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ ﴾ بأن جمعناهم عليه بعد تفرُّقهم ﴿ ومِثْلَهُم معَهُم رحمَةً منّا ﴾ ترحّماً منا عليه بهذا الإضعاف والمباركة ﴿ وذِكْرى لأُولِي الأَلْبابِ ﴾ وتذكيراً لهم لينتظروا الفرج بالصبر والنوال بصدق الاتكال .

[٤٤] ﴿ وخُذْ بيدِكَ ضِغْثاً ﴾ حزمة صغيرة ، وهذا ما يدل على أنه تقدم يمين منه عليه السلام ليجلدن امرأته مائة جلدة ﴿ فاضْرِبْ بهِ ولا تحنَثْ ، إنَّا وجدْناهُ صابِراً ﴾ في كل ما ابتليناه به ﴿ نِعْمَ العبدُ إنَّهُ أوَّابٌ ﴾ كثير الرجوع إلى الله تعالى ، بالإنابة والابتهال والعبادة .

[٤٥] ﴿ واذكُرْ عبادَنا إبراهيمَ وإسْحٰقَ ويعقوبَ أُولي الأَيْدِي والأَبْصارِ ﴾ ذوي القوَّة في العبادة ، والأفكار في معرفة الله تعالى . و﴿ الأيدي ﴾ مجاز عن القوَّة ، و﴿ الأبصار ﴾ جمع بصر بمعنى بصيرة ، وهو مجاز أيضاً .

نصف الحزب ٤٦

[٤٦] ﴿ إنّا أَخْلَصْناهُم ﴾ صفَّيناهم من شوب صفات النفوس وكدورة حظوظها ﴿ بخالِصَةٍ ذِكْرى الدَّارِ ﴾ الباقية والمقرِّ الأصليِّ ، أي استخلصناهم لوجهنا بسبب تذكُّرهم لعالم القدس ، وإعراضهم عن معدن الرجس .

[٤٧] ﴿ وإنَّهُم عِنْدَنا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ ﴾ المختارين من أبناء جنسهم لقربنا ﴿ الأَخْيارِ ﴾ المنزّهين عن شوائب الشرور .

[٤٨] ﴿ واذْكُرْ إسماعيلَ واليَسَعَ وذا الكِفْلِ ، وكلٌّ مِنَ الأَخْيارِ ﴾ بالنبوَّة والرسالة للهداية والإصلاح ، و« اليَسع » خليفة إلياس [إلى أهل بعلبك] .

[٤٩] ﴿ هذا ذِكْرٌ ﴾ شرف لهم ، لأن الشرف يلزمه الشهرة والذكر بين الناس ﴿ وإنَّ للمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ .

[٥٠] ﴿ جنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ إقامة وخلود ﴿ مُفَتَّحَةً لهُمُ الأبوابُ ﴾ متى جاؤوها يرونها في انتظارهم . [٥١] ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيها ﴾ على الأرائك ﴿ يَدْعُونَ فيها بفاكِهَةٍ كثيرَةٍ وشَرابٍ ﴾ مهما طلبوا وجدوا . [٥٢] ﴿ وعِندَهُم قاصِراتُ الطَّرْفِ ﴾ يمنعن طرف الأزواج أن تنظر للغير ، لشدة الحسن ﴿ أَتْرابٌ ﴾ متساوية في السن والرتب ، لا عجوز بينهن . [٥٣] ﴿ هذا ما تُوعَدُونَ لِيومِ الحِسابِ ﴾ لوقت جزائه . [٥٤] ﴿ إنَّ هذا لَرِزْقُنا ما لَهُ من نَفادٍ ﴾ من انقطاع . [٥٥] ﴿ هذا ﴾ باب في وصف الجنة وأهلها ، أو الأمر هذا ﴿ وإنَّ للطّاغِينَ لَشَرَّ مآبٍ ﴾ . [٥٦] ﴿ جهنَّمَ يصْلَوْنها فبِئْسَ المِهادُ ﴾ أي الفراش . [٥٧] ﴿ هذا فلْيَذوقوهُ حَمِيمٌ وغَسَّاقٌ ﴾ وهو ما يغسق من صديد أهل النار ، أي يسيل . [٥٨] ﴿ وآخَرُ ﴾ أي : ومذوق ، أو عذاب آخر ﴿ مِن شكلِهِ ﴾ مثل هذا المذوق أو العذاب في الشدّة والهوان ﴿ أزواجٌ ﴾ أي أجناس وأصناف . [٥٩] ﴿ هذا فَوْجٌ مقتَحِمٌ معَكُم ﴾ هذا جمع كثيف من أتباعكم وأشباهكم ، أهل طبائع السوء والرذائل المختلفة ، مقتحم معكم في مضائق المذلة ومداخل الهوان ، و الاقتحام : ركوب الشدَّة والدخول فيها ﴿ لا مَرْحَباً بِهِم ﴾ دعاء من الرؤساء على أتباعهم ، أو صفة لـ فوج ، أو حال ﴿ إنَّهُم صالُوا النَّارِ ﴾ داخلوها بأعمالهم مثلنا .

[٦٠] ﴿ قالوا ﴾ أي الأتباع للرؤساء : ﴿ بل أنتُم لا مَرْحَباً بِكُم ﴾ بل أنتم أحق بها قلتم لتضاعف عذابكم بضلالكم وإضلالكم ﴿ أنتُم قدَّمْتُمُوهُ لَنا ﴾ قدّمتم العذابَ بإضلالنا وإغوائنا ﴿ فبِئْسَ القَرارُ ﴾ فبئس المستقرّ جهنم .

[٦١] ﴿ قالوا ﴾ الأتباع أيضاً : ﴿ ربَّنا مَنْ قَدَّمَ لنا هذا فزِدْهُ عذاباً ضِعْفاً في النَّارِ ﴾ .

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ
سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ
إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ
مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ
الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

[٦٢] ﴿ وقالوا ﴾ الطاغون أو الأتباع : ﴿ ما لَنا لا نرى رِجالاً كُنَّا نعُدُّهُم من الأشْرارِ ﴾ يعنون فقراءَ المسلمين الذين يستر‌ذلونهم ويسخرون بهم .

[٦٣] ﴿ أتَّخَذْناهُم سِخْرِيّاً ﴾ قرىء بهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم ﴿ أمْ زاغَتْ عنهُمُ الأبصارُ ﴾ مالت عنهم كِبْراً ، وتنحَّت عنهم أَنَفَةً . والمعنى : أي الفعلين فعلنا بهم ؟ السخرية منهم ، أم الإزراء لهم على بعض إنكار الأمرين على أنفسهم تحسراً وندامة .

[٦٤] ﴿ إنَّ ذلكَ ﴾ الذي حكي عنهم ﴿ لَحَقٌّ تخاصُمُ أهْلِ النّارِ ﴾ لَواقِع وثابت . شبَّه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب ، بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك .

[٦٥] ﴿ قُلْ : إنَّما أنا مُنْذِرٌ ﴾ أي رسول مُخَوِّف ﴿ وما مِن إلهٍ إلاّ اللّهُ الواحدُ ﴾ بلا ولد ولا شريك ﴿ القَهّارُ ﴾ الغالب على خلقه .

[٦٦] ﴿ ربُّ السَّمٰواتِ والأرضِ وما بينَهُما ﴾ من الخلْق والعجائب ﴿ العزيزُ ﴾ الذي لا يغلب إذا عاقب العصاة ﴿ الغفّارُ ﴾ لمن تاب وأناب .

[٦٧] ﴿ قُلْ هوَ ﴾ الذي أنذرتكم به من التوحيد ومن البعثة به ﴿ نَبأٌ عَظِيمٌ ﴾ .

[٦٨] ﴿ أنتُم عنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ لتمادي غفلتكم .

[٦٩] ﴿ ما كانَ لِيَ مِن عِلْمٍ بالملإِ الأعْلى إذْ يختَصِمُونَ ﴾ معنى الآية نفي الغيب عنه ﷺ ورد اقتراحهم عليه أن يخبرهم بما يحدث في الملأ الأعلى من التخاصم .

[٧٠] ﴿ إنْ يُوحَى إليَّ إلاَّ أنَّما أنا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ . [٧١] ﴿ إذْ قالَ ربُّكَ للملائكةِ إنِّي خالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ ﴾ .

[٧٢] ﴿ فإذا سَوَّيْتُهُ ونفخْتُ فيهِ منْ رُوحِي فقَعُوا لَهُ ساجِدينَ ﴾ فخرّوا له ساجدين تعظيماً وتكريماً . [٧٣] ﴿ فسجَدَ الملائكَةُ كلُّهُم أجْمَعُونَ ﴾ .

[٧٤] ﴿ إلاّ إبْلِيسَ استَكْبَرَ ﴾ تعظّم ﴿ وكانَ منَ الكافِرينَ ﴾ باستكباره أمرَ الله تعالى ، واستكباره عن طاعته .

[٧٥] ﴿ قالَ يا إبْلِيسُ ما منعكَ أن تسجُدَ لما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ أي بنفسي من غير توسُّط ، كأب أو أم ﴿ أستكْبَرْتَ ﴾ أعَرَض لك التكبُّر والاستنكاف ﴿ أمْ كُنْتَ مِنَ العالِينَ ﴾ عليه زائداً في المرتبة ؟ .

[٧٦] ﴿ قال أنا خَيْرٌ مِنْهُ خلقتَنِي مِنْ نارٍ وخلقْتَهُ من طِينٍ ﴾ يعني أن الروح الحيوانيَّ الناريّ أشرف من المادة الكثيفة البدنية .

[٧٧] ﴿ قال فاخْرُجْ مِنها ﴾ من الجنة أو السماء ﴿ فإنَّكَ رجِيمٌ ﴾ مطرود من الرحمة ومحل الكرامة .

[٧٨] ﴿ وإنَّ عليْكَ لعنتِي إلى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ الرجيم واللعين مَنْ بَعُد عن الحضرة القدسية المنزَّهة عن المواد الرجسية بالانغماس في الغواشي الطبيعية .

[٧٩] ﴿ قال ربِّ فأنْظِرْنِي ﴾ فأمهلني ﴿ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ . [٨٠] ﴿ قال فإنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ ﴾ .

[٨١] ﴿ إلى يَوْمِ الوقتِ المَعْلُومِ ﴾ أي : المعلوم عند الله . [٨٢] ﴿ قال فبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُم أجْمَعِينَ ﴾ .

[٨٣] ﴿ إلاّ عِبادَكَ منهُمُ المُخْلَصِينَ ﴾ وهم الذين أخلصهم الله لنفسه من أهل العناية عن ثوب الكدورات النفسية وحُجُب الأنانية ، وصفَّى فطرتهم عن خلط ظلمة النشأة البشريَّة .

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

[٨٤] ﴿ قالَ فالحَقُّ والحَقَّ أقولُ ﴾ جملة معترضة للتأكيد ، أي : ولا أقول إلا الحق [عن مجاهد : يقول الله : أنا الحق والحق أقول ـ ابن جرير] .

[٨٥] ﴿ لأمْلأنَّ جهنَّمَ مِنْكَ وممن تَبِعَكَ منهُم أجْمَعِينَ ﴾ أي تبعك في التعزز والاستكبار والإباء عن الحقِّ والمحاجَّة في الباطل .

[٨٦] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد : ﴿ ما أسألُكُم عليهِ مِنْ أجْرٍ ﴾ على القرآن والوحي . أي : لا غرض لي في ذلك ﴿ وما أنا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ ﴾ المتصنِّعين الذين يتحلَّوْن بما ليسوا من أهله ، وما عرفتموني قط متصنِّعاً ولا مدعياً ما ليس عندي ، حتى أنتحل النبوَّة وأدَّعي القرآن .

عن عبد الله بن مسعود قال : يا أيُّها الناس من علم شيئاً فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم ، فإنَّ من العلم أن يقول الرجلُ لما لا يعلم الله أعلم ، فإنّ الله عزَّ وجل قال لنبيِّكم (ﷺ) ﴿قل ما أسألكم . . الآية﴾ .

[٨٧] ﴿ إنْ هوَ إلاَّ ذِكْرٌ للعالَمِينَ ﴾ عظة وتذكير لهم .

[٨٨] ﴿ ولتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بعْدَ حِينٍ ﴾ عند ظهور الإسلام وانتشاره ودخول الناس فيه أفواجاً ، وهذا من أجلّ معجزات القرآن لأنه من الغيوب التي ظهر مصداقها .

[سورة الزُّمَر]

سميت بالزمر لاشتمالها على الآية التي ذكر فيها زمر الفريقين ، المشيرة إلى تفصيل الجزاء وإلزام الحجة وبطلان المعذرة . وهي مكية ، واستثنى بعضهم الآيات ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ ، وعدد آياتها خمس وسبعون آية . وعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في كل ليلة : بني إسرائيل والزمر . أخرجه النسائي .

[١] ﴿ تنزيلُ الكِتابِ مِنَ اللّهِ العزيزِ الحكيم ﴾ هذا تنزيل ، أو تنزيله كائن من الله .

[٢] ﴿ إنَّا أنزَلْنا إليكَ الكِتابَ بالحَقِّ فاعبُدِ اللهَ مخلِصاً لهُ الدِّينَ ﴾ أي : عن شوب الشرك والرياء ، بإمحاض التوحيد وتصفية السرّ.

[٣] ﴿ ألاَ للّهِ الدِّينُ الخالِصُ ﴾ الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة لانفراده بالألوهية ﴿ والذينَ اتَّخَذُوا مِنْ دونِهِ أولِياءَ ﴾ بالمحبة والتقرب والتوسل بهم إليه تعالى ﴿ ما نعبُدُهُم إلاَّ ليُقَرِّبُونا إلى اللّهِ زُلْفى ﴾ يقولون ذلك احتجاجاً على ضلالهم [عن مجاهد قال : قريش تقوله للأوثان ومَنْ قبلهم يقوله للملائكة ولعيسى ابن مريم ولعزير ـ ابن جرير] ﴿ إنَّ اللّهَ يحكُمُ بينَهُم في ما هُم فيهِ يختَلِفُونَ ﴾ عند حشر معبوداتهم معهم ، فيقرن كلاً منهم مع من يتولاَّه من عابد ومعبود ، ويدخل المبطل النارَ مع المبطلين ، كما يدخل المحق الجنَّة مع المحقِّين ﴿ إنَّ اللّهَ لا يَهدِي مَنْ هوَ كاذِبٌ كفّارٌ ﴾ لا يوصله إلى النجاة ومقرِّ الأبرار .

[٤] ﴿ لَوْ أرادَ اللّهُ أنْ يتَّخِذَ ولَداً لاصطَفى ممّا يخلُقُ ما يشاءُ ، سبحانَهُ هُوَ اللّهُ الواحِدُ القهّارُ ﴾ نزَّهه عن المماثلة والمجانسة واصطفاء الولد لكون الوحدة لازمة لذاته ، وقهر بوحدانيته لغيره ، فلا تماثل في الوجود فكيف في الوجوب ؟ .

[٥] ﴿ خلَقَ السَّمٰواتِ والأرضَ بالحَقِّ يكوِّرُ اللَّيلَ على النَّهارِ ، ويكوِّرُ النَّهارَ على اللَّيلِ ﴾ بإذهاب أحدهما وتغشية الآخر مكانَه ، كأنما ألبسه ولفَّ عليه ﴿ وسخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ كلٌّ يجرِي لأجلٍ مُسمًّى ﴾ وهو منتهى دوره ، أو منقطع حركته ﴿ ألاَ هُوَ العزيزُ الغفّارُ ﴾ .

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ
خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ
لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾
۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ
نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا
لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ
ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ
وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

[٦] ﴿ خلقكم من نفسٍ واحدةٍ ﴾ هي آدم عليه السلام ﴿ ثم جعلَ منها ﴾ من نفسها ونوعها ﴿ زوجَها ، وأنزلَ لكم مِنَ الأنعامِ ثمانيةَ أزواجٍ ﴾ ذكراً وأنثى ، من الإبل والبقر والضأن والمعز ﴿ يخلُقُكم في بُطونِ أمَّهاتِكم خَلْقاً مِن بعدِ خَلْقٍ ﴾ متقلِّبين في أطوار الخلقة ﴿ في ظُلُماتٍ ثلاثٍ ﴾ يعني البطن والرحم والمَشيمة ﴿ ذلكُمُ ﴾ الخالق المكوِّر المصرِّف بقدرته المسخِّر بسلطانه ، المنشىء للكثرة من نفس واحدة ، المنزل للنِّعَم بنعمته ﴿ اللَّهُ ربُّكم ، لَهُ المُلْكُ ، لا إلهَ إلاَّ هُوَ فأنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره .

[٧] ﴿ إنْ تكفُرُوا فإنّ اللَّهَ غنيٌّ عَنْكُم ﴾ أي عن إيمانكم ﴿ ولا يَرْضى لعبادِهِ الكُفْرَ ﴾ لأنه سبب هلاكهم ﴿ وإنْ تشكُرُوا يرْضَهُ لَكُم ﴾ وإن تستعملوا ما أنعم به عليكم فيما خلق له ، يقبله منكم ، لأنه دينه ، ويثيبكم ثواباً حسناً لطاعتكم ﴿ ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ﴾ لا تحمل حاملة حمل غيرها من الذنوب ، أو لا تُؤخذ نفس بذنب أخرى ، بل كلٌّ مأخوذ بذنبه ﴿ ثُمَّ إلى ربِّكُم مرْجِعُكُم ﴾ بعد الموت ﴿ فيُنَبِّئُكُم بما كنتُم تعمَلُونَ ، إنَّهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي بما في القلوب من الخير والشر .

[٨] ﴿ وإذا مَسَّ ﴾ أي أصاب ﴿ الإنسانَ ضُرٌّ ﴾ شدَّة وبلاء ﴿ دعا ربَّهُ مُنيباً إلَيْهِ ﴾ ابتهل إليه برفع الشدَّة والبلاء عنه ، مقبلاً إليه بالدعاء والتضرُّع ﴿ ثُمّ إذا خوَّلَهُ ﴾ أعطاه ﴿ نِعْمَةً منهُ نسِيَ ما كانَ يدعُو إلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴾ نسيَ الضُّرَّ الذي كان يدعو الله أن يكشفه من قبل النعمة . وقيل : نسي ربَّه الذي كان يتضرَّع إليه ﴿ وجعلَ للَّهِ أنْداداً لِيُضِلَّ عن سبيلِهِ ﴾ ليصد الناس عن دينه وطاعته ﴿ قُلْ تمتَّعْ بكُفْرِكَ ﴾ أي عِشْ به ﴿ قليلاً ﴾ يسيراً في الدنيا ﴿ إنَّكَ من أصْحابِ النّارِ ﴾ . [٩] ﴿ أمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وقائِماً ﴾ متعبِّداً في ساعات يقطعها في السجود والقيام . قال ابن عباس : ﴿ آناء الليل ﴾ جوف الليل . وقال الحسن : ساعات أوله ووسطه وآخره ﴿ يحذَرُ الآخِرَةَ ﴾ يحذر عقابها ﴿ ويرْجُو رحمَةَ ربِّهِ ﴾ أي جنته ورضوانه . أهذا أفضل أم ذاك الكافر الجاحد الناسي لربه ؟ ﴿ قُلْ هَلْ يستَوِي الذينَ يعْلَمُونَ ﴾ توحيده وأمره ونهيه في الثواب والطاعة ﴿ والذين لا يعلَمُون ﴾ أي لا يستويان ﴿ إنَّما يتذَكَّرُ ﴾ يتعظ بهذا الذكر ﴿ أُولُوا الألْبابِ ﴾ العقول الصافية البعيدة عن التخيُّل والوهم ، لتحققها بالعلم الراسخ الذي يتأثر به الظاهر ، وأما المشوبة بالوهم فلا تتذكر ولا تتحقق بهذا العلم ولا تعيه[قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء : نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه . وقال مقاتل : نزلت في عمَّار بن ياسر رضي الله عنه ـ النيسابوري] . [١٠] ﴿ قُلْ يا عِبادِ الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا ربَّكُم ، لِلذينَ أحْسَنُوا في هذهِ الدُّنْيا حسَنَةٌ ﴾ للذين أحسنوا بالطاعات في الدنيا ، مثوبة حسنة في الآخرة ﴿ وأرضُ اللَّهِ واسِعَةٌ ﴾ بلاده كثيرة ، فمن تعسَّر عليه التوفُّر على الإحسان في وطنه ، فليهاجر إلى حيث يتمكن منه ﴿ إنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ ﴾ على مشاقِّ الطاعة من احتمال البلاء ، ومهاجرة الأوطان لها ﴿ أجرَهُم بغيرِ حِسابٍ ﴾ بغير مكيال ، تمثيل للكثرة . [وقال الأوزاعي رحمه الله : ليس يوزن لهم ولا يكال ، إنما يغرف لهم غرفاً . وقال ابن جريج رحمه الله : بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط ، ولكن يزادون على ذلك . وقال السديّ رحمه الله : يعني في الجنة ـ ابن كثير] .

قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

[١١] ﴿ قُلْ : إنِّي أُمِرْتُ أنْ أعبُدَ اللَّهَ مخلِصاً لهُ الدِّينَ ﴾ عن الالتفات إلى غيره .

[١٢] ﴿ وأُمِرْتُ لأنْ أكونَ أوَّلَ المُسلِمينَ ﴾ وأمرت بذلك لأجل أن أكون مقدَّمهم في الدنيا والآخرة ، لأن إخلاصه ﷺ أتمُّ من إخلاص كل مخلص .

[١٣] ﴿ قُلْ إنِّي أخافُ إن عصَيْتُ ربِّي ﴾ بترك الإخلاص له ﴿ عذابَ يومٍ عظيمٍ ﴾ [قال ابن جرير: يعني عذاب يوم القيامة ، ذلك هو اليوم الذي يعظم هوله].

[١٤] ﴿ قُلِ اللَّهَ أعبُدُ ﴾ أخصُّه بالعبادة ﴿ مُخلِصاً لهُ دِيني ﴾ لا أشرك معه شيئاً .

[١٥] ﴿ فاعبُدُوا ما شئتُم مِنْ دُونِهِ ، قُل إنَّ الخاسِرينَ الذينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم وأهْلِيهِم يومَ القِيامَةِ ﴾ أي أهلكوا أنفسهم بالضلال ، وأهليهم بالإضلال ، أو خسروا أنفسهم بالهلاك وأهليهم به أيضاً ، إن كانوا مثلهم ، أو بفقدهم فقداً لا اجتماع بعده ، إن كانوا من أهل الجنّة ﴿ ألا ذلك هُوَ الخُسْرانُ المُبِينُ ﴾ .

[١٦] ﴿ لهُمْ مِنْ فوْقِهِم ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ ومِنْ تحتِهِم ظُلَلٌ ﴾ أي أطباق من النار ﴿ ذلك ﴾ العذاب المُتوَعَّد به ﴿ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عبادَهُ ، يا عبادِ فاتَّقُونِ ﴾ بعدم التعرُّض لما يوجب السخط . قال الزمخشري : وهذه عظة من الله تعالى ، ونصيحة بالغة .

[١٧] ﴿ والذينَ اجْتَنَبوا الطَّاغُوتَ أنْ يعبُدُوها ﴾ يعني الأوثان . وفعلوت للمبالغة ﴿ وأنَابُوا إلى اللَّهِ لَهُمُ البُشْرى ﴾ بالثواب ﴿ فَبَشِّرْ عِبادِ ﴾ [قال ابن زيد : نزلت في ثلاثة أنفار كانوا في الجاهلية يقولون : لا إله إلا الله وهم زيد بن عمرو وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي ـ النيسابوري] .

[١٨] ﴿ الذينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أحْسَنَهُ ﴾ إيثاراً للأفضل واهتماماً بالأكمل ﴿ أولئِكَ الذينَ هداهُمُ اللَّهُ وأولئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبابِ ﴾ [قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه آمن بالنبي ﷺ وصدقه ، فجاء عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقّاص رضي الله عنهم فسألوه ، فأخبرهم بإيمانه فآمنوا ، ونزلت فيهم : ﴿ فبشر عباد* الذين يستمعون القول ﴾ قال : يريد من أبي بكر رضي الله عنه ﴿ فيتبعون أحسنه﴾ـ النيسابوري] .

[١٩] ﴿ أفمَنْ حَقَّ عليهِ كلمةُ العذابِ ، أفأنْتَ تُنقِذُ مَنْ في النَّارِ ﴾ أي لا يمكن إنقاذه أصلاً .

[٢٠] ﴿ لكِنِ الذينَ اتَّقَوْا ربَّهُم لهُم غُرَفٌ من فوْقِها غُرَفٌ مبنيَّةٌ تجري مِن تحتِها الأنْهارُ وعْدَ اللَّهِ ، لا يُخْلِفُ اللَّهُ المِيعادَ ﴾ . [قال ابن جرير: لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه لهم في الجنة غرف من فوقها غرف مبنية علاليّ بعضها فوق بعض تجري من تحت أشجار جناتها الأنهار، يقول جل ثناؤه: وعدنا هذه الغرف التي من فوقها غرف مبنية في الجنة هؤلاء المتقين، والله لا يخلفهم وعده ولكنه يوفي بوعده].

[٢١] ﴿ ألَمْ تَرَ أنَّ اللَّهَ أنزلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فسَلَكَهُ ينابيعَ في الأرضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً ألوانُهُ ثم يَهيجُ ﴾ يتم جفافه ﴿ فتراهُ مُصْفَرّاً ثمَّ يجعلُهُ حُطاماً ﴾ أي فُتاتاً ﴿ إنَّ في ذلك لَذِكْرى لأُولِي الأَلْبابِ ﴾ تذكيراً وتنبيهاً على أنه لا بد من صانع حكيم ، وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير ، لا عن تعطيل وإهمال .

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ
ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

[٢٢] ﴿ أفمَنْ شرحَ اللَّهُ صدرَهُ للإسْلامِ ﴾ وسَّعه لقبول دينه وشرعه بلطفه وعنايته وإمداده سبحانه ﴿ فهُوَ على نُورٍ منْ ربِّهِ ﴾ أي : على بيِّنة ومعرفة واهتداء إلى الحق ﴿ فويْلٌ للقاسِيَةِ قلوبُهُم من ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي : قسوة القلب سبب لعدم الذكر ﴿ أولئك في ضَلالٍ مُبينٍ ﴾ عن طريق الحق .

[٢٣] ﴿ اللَّهُ نزَّل أحسنَ الحَديثِ كتاباً متشابهاً ﴾ يُشبه بعضه بعضاً ، في الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق ووجوه الإعجاز ﴿ مَثانِيَ ﴾ جمع مُثنّى بمعنى مردَّد ومكرر ، لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه ﴿ تقشَعِرُّ منهُ جلودُ الذينَ يخْشَوْنَ ربَّهُم ﴾ تمثيل لإفراط خشيتهم ، أو حقيقة لتأثُّرهم عند سماع آياته وحكمه ووعيده ، بما يرد على قلوبهم منها ﴿ ثمَّ تَلِينُ جلودُهُم وقُلُوبُهُمْ إلى ذكرِ اللَّهِ ﴾ بالانقياد والطاعة والسَّكينَة لأمره ﴿ ذلك ﴾ الكتاب ، أو الكائن من الخشية والرجاء ﴿ هُدَى اللَّهِ يهدِي بِهِ من يَشاءُ ، ومن يُضْلِلِ اللَّهُ ﴾ من زاغ قلبه ﴿ فما لَهُ من هَادٍ ﴾ .

[٢٤] ﴿ أفَمَنْ يتَّقِي بوجْهِهِ سُوءَ العذابِ يومَ القِيامَةِ ﴾ خبر مَنْ محذوف ، أي : كمن آمن ؟ ﴿ وقِيلَ للظَّالِمِينَ ذُوقُوا ما كنتُم تكسِبُونَ ﴾ وبالَه .

[٢٥] ﴿ كذَّبَ الذينَ مِنْ قبلِهِم فأتاهُمُ العَذابُ مِن حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴾ أي لا يحتسبون أن الشر يأتيهم منه .

[٢٦] ﴿ فأذَاقَهُمُ اللَّهُ الخِزْيَ في الحَياةِ الدُّنْيا ﴾ أي الذل والصَّغار ﴿ ولَعذابُ الآخِرَةِ أكبَرُ لَوْ كانوا يعلَمُون ﴾ .

[٢٧] ﴿ ولقَدْ ضربْنا للنَّاسِ في هذا القُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ بيَّنَّا لهم في هذا القرآن ، الذي هو دليل في نفسه من إعجازه ، من كل مَثَل يُحتاج إليه ﴿ لعلَّهُم يتذكَّرُونَ ﴾ به ما يهمهم من أمور دينهم ، وما يصلحهم من شؤون سعادتهم ، فيفسِّروا المعقول بالمحسوس .

[٢٨] ﴿ قُرْآناً عربيّاً غيرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ مستقيماً بريئاً من التناقض والاختلاف ﴿ لعلَّهُم يَتَّقُونَ ﴾ العذابَ والخزيَ يوم الجزاء ، بالانتقاء من الأفعال القبيحة والأخلاق الرديئة والاعتقادات الفاسدة ، ومن أجلِّ تلك الأمثال ، ما مثل به ليُتقى من أعظم المخوِّفات ، وهو الشِّرْك .

[٢٩] ﴿ ضرَبَ اللَّهُ مَثَلاً ﴾ أي للمشرك والموحِّد رجُلَيْن مملوكيْن ﴿ رَجُلاً فيه شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ ﴾ سيِّئُو الأخلاق ، يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المختلفة ، لا يزال متحيِّراً متوزِّع القلب ، لا يدري أيهم يرضي بخدمته ﴿ ورجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ ﴾ خلص ملكه له ، لا يتَّجه إلا إلى جهته ، ولا يسير إلا لخدمته ، فهمُّه واحد وقلبه مجتمع ﴿ هل يستَوِيان مثلاً ﴾ أي صفة وحالاً ، كلاّ ، وهكذا حال من يثبت آلهة شتّى ، لا يزال متحيراً خائفاً لا يدري أيهم يعبد ، وعلى ربوبية أيهم يعتمد ﴿ الحمدُ لِلَّهِ ﴾ تنبيه للموحِّدين على أن ما لهم من المزيَّة بتوفيقه تعالى ﴿ بَلْ أكثرُهُم لا يعلَمُونَ ﴾ بيان أن أكثر الناس ، وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره ، فيبقون في ورطة الشرك والضلال . [٣٠] ﴿ إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُم مَيِّتُونَ ﴾ تمهيد لما يعقبه من الاختصام بينهم يوم القيامة . قيل : كانوا يتربصون برسول الله ﷺ موتَه . [٣١] ﴿ ثُمَّ إنَّكُم يومَ القِيامةِ عندَ ربِّكُم ﴾ عند مالك أموركم ﴿ تختَصِمُونَ ﴾ فتحتج أنت عليهم بأنك بلَّغتهم ما أرسلت به ، واجتهدت في الدعوة إلى الحق وهم قد لجُّوا في المكابرة والعناد .

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ
إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى
جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ
أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ
ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

[٣٢] ﴿ فمَنْ أظلَمُ ممَّن كذَبَ على اللَّهِ ﴾ أي افترى عليه بنسبة الشريك والولد ﴿ وكذَّبَ بالصِّدْقِ ﴾ بالأمر الذي هو عين الحق ﴿ إذْ جاءَهُ ﴾ أي حضر عنده دليله وبرهانه ، فرفضه وردَّه على قائله ﴿ أليْسَ في جهنَّمَ مثْوىً للكافِرينَ ﴾ أي لهؤلاء الذين افتروْا على الله سبحانه ، وسارعوا إلى التكذيب بالحق ؟

[٣٣] ﴿ والذي جاءَ بالصِّدْقِ وصدَّقَ بِهِ ﴾ أي جاء بدليل التوحيد وآمن به فلم يعتد بشبهة تقابله ، يعني النبي ﷺ ومن تبعه ﴿ أولئكَ هُمُ المتَّقُونَ ﴾ الموصوفون بالتقوى التي هي أجلُّ الرغائب ، ولذا كان جزاؤهم أن يقيهم اللَّهُ ما يكرهون . [قال مجاهد وقتادة رحمهما الله : ﴿ الذي جاء بالصدق ﴾ هو الرسول ﷺ . وقال السديّ رحمه الله : هو جبريل عليه السلام ﴿ وصدق به ﴾ يعني محمداً ﷺ . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : من جاء بلا إله إلا الله ﴿ وصدّق به ﴾ يعني رسول الله ﷺ . وقيل : أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون : هذا ما أعطيتمونا فعملنا فيه بما أمرتمونا . وهذا القول يشمل كل المؤمنين ـ ابن كثير] .

[٣٤] ﴿ لهُمْ ما يَشاؤُونَ عندَ ربِّهِم ، ذلكَ جزاءُ المُحْسِنِين ﴾ الذين أحسنوا أعمالهم وأصلحوها .

[٣٥] ﴿ ليُكَفِّرَ اللَّهُ عنهُم أسوأَ الذي عَمِلُوا ﴾ [قال ابن جرير: في الدنيا من الأعمال، فيما بينهم وبين ربهم، بما كان منهم فيها من توبة وإنابة مما اجترحوا من السيئات فيها] ﴿ ويَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بأحسَنِ الذي كانوا يعمَلُونَ ﴾ [أي : بأحسن الذي كانوا يقومون به] .

[٣٦] ﴿ أليْسَ اللَّهُ بكافٍ عبْدَهُ ﴾ أي نبيه ﷺ أن يعصمه من كل سوء ، ويدفع عنه كلَّ بلاء في مواطن الخوف ﴿ ويخوِّفُونَكَ بالذينَ منْ دُونِهِ ﴾ يعني الأوثان التي عبدوها من دونه تعالى . وهذه تسلية له ﷺ عما قالت له قريش : إنا نخاف أن تخبلك آلهتُنا ويصيبك مضرَّتُها لعيْبك إياها ﴿ ومن يُضْلِلِ اللَّهُ ﴾ ومن غفل عن كفايته تعالى وعصمته له ﷺ ، وخوَّفه بما لا ينفع ولا يضر أصلاً ﴿ فما لهُ مِنْ هادٍ ﴾ .

[٣٧] ﴿ ومَنْ يَهْدِ اللَّهُ فما لهُ من مُضِلٍّ ﴾ يصرفه عن مقصده ، أو يصيبه بسوء يخلُّ بسلوكه ، إذ لا رادَّ لفضله ولا معقِّب لحكمه ﴿ أليْسَ اللَّهُ بعزيزٍ ذي انتِقامٍ ﴾ أي ينتقم من أعدائه لأوليائه .

[٣٨] ﴿ ولئِنْ سألتَهُم مَنْ خلَقَ السَّمٰواتِ والأرْضَ ليقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ لما تقرر في الفطر والعقول من استيقان ذلك ولوضوح الدليل عليه ﴿ قُلْ ﴾ تبكيتاً لهم : ﴿ أفرأيْتُم ما تدْعُونَ مِنْ دونِ اللَّهِ إنْ أرادنيَ اللَّهُ بضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أوْ أرادَنِي برحمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رحمَتِهِ ﴾ أي نفعه وخيره ، كلاّ ، فإنها لا تضرُّ ولا تنفع ﴿ قُلْ حسْبِيَ اللَّهُ عليْهِ يتوكَّلُ المُتَوَكِّلُونَ ﴾ في جميع أمورهم ، لا على غيره .

[٣٩] ﴿ قُلْ يا قومِ اعمَلُوا على مكانَتِكُم ﴾ على حالتكم التي أنتم عليها ، من العداوة ومناصبة الحق ﴿ إنِّي عامِلٌ ﴾ على مكانتي ﴿ فسَوْفَ تعلَمُونَ ﴾ .

[٤٠] ﴿ مَنْ يأتِيهِ عذابٌ يُخْزِيهِ ويَحِلُّ عليهِ عذابٌ مُقيمٌ ﴾ دائم ، وقد أخزاهم الله يوم بدْر .

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى
لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ
وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ
قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ
إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ
قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ
فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

[٤١] ﴿ إنّا أنزلْنا عليكَ الكِتابَ للناسِ بالحَقِّ ﴾ لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه وافتقارهم إلى بيان مراشدهم ﴿ فمَنِ اهْتَدى ﴾ بدلائله ﴿ فلِنفْسِهِ ومن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ عليها ، وما أنتَ عليهم بوَكِيلٍ ﴾ أي لتجبرهم على الهدى ، إذْ ما عليك إلا البلاغ .

[٤٢] ﴿ اللَّه يتوَفَّى الأنفُسَ حينَ مَوْتِها ﴾ حين مفارقتها لأبدانها ، بإبطال تصرُّفها فيها بالكلِّيَّة ﴿ والتي لَمْ تَمُتْ في مَنامِها ﴾ ويتوفى التي لم يحن موتها في منامها ، بإبطال تصرُّفها بالحواس الظاهرة ﴿ فيُمْسِكُ التي قضى عليها المَوْتَ ﴾ فلا يردُّها إلى بدنها إلى يوم القيامة ﴿ ويرسِلُ الأُخرى إلى أجلٍ مُسَمًّى ﴾ وهو نوم آخر أو موت في وقت محدد ، [وفيه دلالة على أن الأنفس تجتمع في الملأ الأعلى ، كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدري ما خلفه عليه ، ثم ليقل : باسمك وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) وقال بعض السلف : يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا فتتعارف ما شاء الله تعالى ان تتعارف ــ ابن كثير] . ﴿ إنَّ في ذلك ﴾ فيما ذكر من التوفي على الوجهين ﴿ لآياتٍ لقومٍ يتفكَّرُونَ ﴾ في كيفية تعلُّقها بالأبدان ، وتوفيها عنها .

[٤٣] ﴿ أم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعاءَ قلْ أَوَلَوْ كانُوا لا يملِكُونَ شيئاً ولا يعقِلُون ﴾ قال ابن كثير إن هذه الآية ذم [للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله ، وهم الأصنام والأنداد التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان ، وهي لا تملك شيئاً من الأمر ، وليس لها عقل تعقل به ، ولا سمع تسمع به ، ولا بصر تبصر به ، بل هي جمادات أسوأ حالاً من الحيوانات بكثير] .

[٤٤] ﴿ قُلْ للَّهِ الشَّفاعةُ جميعاً ﴾ هو مالكها لا يستطيع أحد شفاعةً ما إلا أن يكون المشفوع له مرتضى والشفيع مأذوناً له ، وكلاهما مفقود ههنا ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ والأرضِ ، ثم إليهِ تُرجَعُونَ ﴾ .

[٤٥] ﴿ وإذا ذُكِرَ اللَّهُ وحدَهُ اشمأزَّتْ قلوبُ الذينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ ﴾ والاشمئزاز: أن يمتلىء غمّاً حتى ينقبض أديم وجهه ﴿ وإذا ذُكِرَ الذين من دُونِهِ ﴾ أي فرادى ، أو مع ذكر الله تعالى ﴿ إذا هُمْ يستَبْشِرُونَ ﴾ الاستبشار: أن يمتلىء قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه .

[٤٦] ﴿ قلِ اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّمٰواتِ والأرضِ عالِمَ الغيْبِ والشهادةِ أنتَ تحكُمُ بين عبادِكَ فِيما كانُوا فيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ أي : التجىء إلى الله تعالى بالدعاء بأسمائه الحسنى وقل : أنت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم .

[٤٧] ﴿ ولوْ أنَّ للذينَ ظلَمُوا ما في الأرضِ جميعاً ومثلَهُ معَهُ لافْتَدَوْا بِهِ منْ سوءِ العَذابِ يومَ القِيامَةِ ﴾ ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهبا ﴿ وبدا لهُم مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يكونُوا يحْتَسِبُونَ ﴾ أي وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم ، قاله ابن كثير .

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ
وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ
وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن
رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

[٤٨] ﴿ وبدا لهُم سيِّئاتُ ما كسَبُوا وحاقَ بِهِمْ ما كانوا بِهِ يستهزِئُونَ ﴾ أي نزل بهم جزاؤه .

[٤٩] ﴿ فإذا مسَّ الإنْسانَ ضُرٌّ دَعانا ثم إذا خوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنّا قال إنّما أُوتيتُهُ على عِلْمٍ ﴾ مني بوجوه الكسب والتحصيل ﴿ بلْ هِيَ فِتنَةٌ ﴾ أي ابتلاء له ، أيشكر تلك النعمة ، فيصرفها فيما خُلقت له فيسعد ، أو يكفرها فيشقى ﴿ ولكنَّ أكثرَهُم لا يعلَمُونَ ﴾ .

[٥٠] ﴿ قدْ قالَها الذينَ من قبْلِهِم ﴾ كما قال قارون ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ ﴿ فما أغنى عنهُم ما كانوا يكْسِبُون ﴾ فما دفع عنهم ما كسبوه بذلك العلم من متاع الدنيا .

[٥١] ﴿ فأصابَهُم سيِّئاتُ ما كسَبُوا والذين ظلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ ﴾ أي من المخاطبين ﴿ سيُصِيبُهُم سيِّئاتُ ما كسَبُوا ﴾ أي كما أصاب أولئك ﴿ وما هُم بمُعْجِزِينَ ﴾ .

ربع الحزب ٤٧

[٥٢] ﴿ أوَلَمْ يعلَمُوا أنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لمن يَشاءُ ويقدِرُ إنَّ في ذلك لآياتٍ لقوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ بأنَّ الكل منه سبحانه ، ومن آياته في ذلك أنه تعالى قويٌّ بذاته ، له تقوية من يشاء وتضعيف من يشاء .

[٥٣] ﴿ قُلْ يا عبادِيَ الذينَ أسْرَفُوا على أنفُسِهِم ﴾ أي جَنَوْا عليها بالإسراف في المعاصي والكفر ﴿ لا تقْنَطُوا ﴾ قرىء بفتح النون وكسرها ﴿ مِنْ رحمَةِ اللَّهِ ﴾ لا تيأسوا من مغفرته بفعل سبب يمحو أثر الإسراف ﴿ إنّ اللَّهَ يغْفِرُ الذُّنُوبَ جميعاً ﴾ لمن تاب وآمن ، فإن الإسلام يَجُبُّ ما قبله ﴿ إنَّهُ هوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وقد روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ، ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم ، والذي نفس محمد بيده لو لم تخطئوا لجاء الله بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله ، فيغفر لهم) ذكره ابن كثير. [قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت في أهل مكة قالوا : يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له ! فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلهاً آخر ، وقتلنا النفس التي حرم الله ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال ابن عمر رضي الله عنهما : نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا ، فكنا نقول : لا يقبل الله من هؤلاء صَرفاً ولا عَدلاً أبداً . قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب وعذبوا به . فنزلت هذه الآيات . وكان عمر رضي الله عنه كاتباً فكتبها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وأولئك النفر فأسلموا وهاجروا رضي الله عنهم ـ النيسابوري] . .

[٥٤] ﴿ وأنِيبُوا إلى ربِّكُم ﴾ توبوا إليه ﴿ وأسْلِمُوا لَهُ ﴾ واستسلموا وانقادوا له ، وذلك بعبادته وحده وطاعته وحده بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ﴿ مِنْ قَبْلِ أن يأتِيَكُمُ العذابُ ثمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ .

[٥٥] ﴿ واتَّبِعُوا أحْسَنَ ما أُنزِلَ إليكم من ربِّكُم من قبْلِ أن يأتِيَكُمُ العذابُ بغتَةً وأنتُم لا تَشعُرُونَ ﴾ .

[٥٦] ﴿ أنْ تقولَ نفْسٌ يا حَسْرتَى على ما فرَّطْتُ ﴾ أي قصَّرت ﴿ في جَنْبِ اللَّهِ ﴾ في جانب أمره ونهيه ، إذ لم أتبع أحسن ما أنزل ﴿ وإنْ كنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ المستهزئين بمن يتبع الأحسن .

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾
أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ
مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا
وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ
خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا
ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ
فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ
وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ
مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

[٥٧] ﴿ أو تقولَ لوْ أنَّ اللَّهَ هداني ﴾ للإسلام ﴿ لَكُنْتُ من المُتَّقِين ﴾ من هذا الكفر ، أي تقول هذا النوع من التحسُّر والتعلل بما لا يجدي .

[٥٨] ﴿ أوْ تقولَ حين ترى العذابَ لو أنَّ لِي كَرَّةً ﴾ أي رجعة إلى الدنيا ﴿ فأكُونَ من المُحْسِنِينَ ﴾ في الإيمان والعمل الصالح .

[٥٩] ﴿ بلَى قدْ جاءَتْكَ آياتِي فكذَّبْتَ بِها واستكْبَرْتَ وكنتَ من الكَافِرِينَ ﴾ .

[٦٠] ﴿ ويومَ القِيامةِ ترى ﴾ يا محمد هؤلاء ﴿ الذينَ كَذَبوا على اللَّهِ ﴾ بنسبة ما يستحيل عليه من الولد والشريك ، وتجويز ما يمتنع عليه من رضاه بما هم عليه ، وأمره لهم ، وغير ذلك من إفكهم ﴿ وجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ ﴾ لما ينالهم من الشِّدَّة التي تغير ألوانهم ، فالسواد حقيقي ، أو لما يلحقهم من الكآبة ، فالسواد مجاز بالاستعارة ﴿ أليسَ في جهنَّمَ مثْوىً للمُتَكَبِّرِينَ ﴾ عن الإيمان والهدى ؟

[٦١] ﴿ ويُنجِّي اللَّهُ الذين اتَّقَوْا بمفازَتِهِم ﴾ بفوزهم وفلاحهم لإتيانهم بأسباب الفوْز من الاعتقادات المبنيَّة على الدلائل والأعمال الصالحة ﴿ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ولا هُمْ يحزَنُونَ ﴾ .

[٦٢] ﴿ اللَّـهُ خالِقُ كلِّ شيءٍ وهوَ على كلِّ شيءٍ وكِيلٌ ﴾ يتولى التصرُّف فيه كيف شاء .

[٦٣] ﴿ لهُ مقاليدُ السَّمٰواتِ والأرضِ ﴾ هو وحده يملك أمرها وخزائن غيوبها وأبواب خيرها وبركتها ﴿ والذينَ كفَرُوا بآياتِ اللَّهِ أولئكَ هُمُ الخاسِرُونَ ﴾ .

[٦٤] ﴿ قلْ أفغَيْرَ اللَّهِ تأمُرُونِّي أعبُدُ أيُّها الجاهِلُونَ ﴾ .

[٦٥] ﴿ ولقدْ أوحِيَ إليكَ وإلى الذينَ من قبلِكَ لئِنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عملُكَ ولتكونَنَّ منَ الخاسِرِينَ ﴾ .

[٦٦] ﴿ بلِ اللَّهَ فاعبُدْ وكُنْ من الشَّاكِرِينَ ﴾ الصارفين ما أنعم به عليهم ، إلى ما خلق لأجله .

[٦٧] ﴿ وما قَدَرُوا اللَّهَ حقَّ قدْرِهِ ﴾ ما قدروا عظمته تعالى حق عظمته ، ولا عرفوا جلاله حق معرفته ، حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة[قال ابن عباس : هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم ، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير، فقد قدّر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره ـ ابن جرير] ﴿ والأرضُ جميعاً قبضَتُهُ يومَ القِيامَةِ ، والسَّمٰواتُ مطوِيَّاتٌ بيمِينِهِ ﴾ فإن تبديل الأرض غير الأرض ، وطي السموات كطي السجل ، أهون شيء عليه . وفي القبضة واليمين مذهبان معروفان ، مذهب السلف : وهو إثبات ذلك من غير تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا إزالة للفظ الكريم عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل ، والمذهب الثاني : القولُ بأن ذلك من المجاز المعروف نظيره في كلام العرب ، وأن الإطلاق لا ينحصر في الحقيقة ﴿ سبحانَهُ وتعالى عمّا يُشرِكُونَ ﴾ [عن عبد الله ـ ابن مسعود ـ قال : أتى النبي ﷺ رجل من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم بلغك أن الله يحمل الخلائق على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والثرى على إصبع ثم يقول : أنا الملك ؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه . فأنزل الله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ـ النيسابوري] .

وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ
﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى
ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

[٦٨] ﴿ ونُفِخَ في الصُّورِ فصَعِقَ ﴾ فهلك ﴿ مَنْ في السَّمٰواتِ ومن في الأرضِ إلاّ منْ شاءَ اللَّـهُ ﴾ من خواصِّ الملائكة ، أو من الشهداء ﴿ ثم نُفِخَ فيهِ أُخْرى فإذا هُم قيامٌ يَنظُرُونَ ﴾ أي وقوفٌ يقلِّبون أبصارهم دهشةً وحيرة ، أو ينتظرون ما يحل بهم .

[٦٩] ﴿ وأشْرقتِ الأرضُ بنُورِ ربِّها ﴾ لأنه يتجلّى لهم سبحانه لإقامة العدل والجزاء ﴿ ووُضِعَ الكِتابُ ﴾ عُرِضت كتب الأعمال على أهلها ليقرأ كل واحد عملَه في صحيفته . أو ﴿ الكتاب ﴾ مجاز عن الحساب وما يترتب عليه من الجزاء ﴿ وجِيءَ بالنبيِّينَ والشهَداءِ ﴾ أي الذين يشهدون للأمم وعليهم ، من الحفَظة والأخيار المطَّلعين على أحوالهم ، أي أحضروا الشهادة لهم أو عليهم لاطِّلاعهم على أحوالهم ، وجوَّز إرادة المستشهدين في سبيل الله تعالى ، تنويهاً بشأنهم ، وترفيعاً لقدرهم ، بضمِّهم إلى النبيين في الموقف ﴿ وقُضِيَ بينَهُم بالحَقِّ ، وهُمْ لا يُظلَمُون ﴾ فتوزن أعمالهم بميزان العدل ، ويوفَّوْن جزاء أعمالهم ، لا ينقص منها شيء .

[٧٠] ﴿ ووُفِّيَتْ كلُّ نفسٍ ما عمِلَتْ ، وهو أعلَمُ بما يَفعَلُونَ ﴾ . [قال ابن جرير: ووفى الله حينئذ كل نفس جزاء عملها من خير وشر، وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية ، ولا يعزب عنه علم شيء من ذلك ، وهو مجازيهم عليه يوم القيامة فمثيب المحسن بإحسانه ، والمسيء بما أساء] .

[٧١] ﴿ وسِيقَ الذينَ كفرُوا إلى جهنَّمَ زُمَراً ﴾ أفواجاً متفرقة بعضها في أثر بعض ، على تفاوت ضلالهم وغيِّهم رعاية للعدل في التقديم والتأخير ﴿ حتى إذا جاؤُوها فُتِحَتْ أبْوابُها ﴾ ليدخلوها ، ولكل فريق باب ﴿ وقالَ لهُم خزَنَتُها ﴾ الموكلون بتعذيبهم : ﴿ ألَمْ يأتِكمْ رُسُلٌ منْكُم ﴾ من جنسكم تعرفون صدْقَهم وأمانتهم ﴿ يتلُونَ عليكُم آياتِ ربِّكُم ويُنذِرونَكُم لِقاءَ يومِكُم هذا ﴾ أي وقتكم أو يوم القيامة ، حرصاً على صلاحكم وهدايتكم ؟ ﴿ قالوا بلى ولكنْ حَقَّتْ ﴾ وجبت ﴿ كَلِمَةُ العذابِ على الكافِرِينَ ﴾ أي حكمه عليهم بالشقاوة ، وأنهم من أهل النار .

[٧٢] ﴿ قِيل ادخُلُوا أبْوَابَ جهنَّمَ خالِدِينَ فيها ، فبِئْسَ مثْوَى المُتَكَبِّرِينَ ﴾ .

[٧٣] ﴿ وسِيقَ الذينَ اتَّقَوْا ربَّهُم إلى الجَنَّةِ ﴾ مساق إعزاز وتشريف للإسراع بهم إلى دار الكرامة ﴿ زُمَراً ﴾ متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل ﴿ حتَّى إذا جاؤُوها وفُتِحَتْ أبوابُها وقال لهُم خزنَتُها سلامٌ عليكُم طِبْتُم ﴾ من دنس المعاصي ، وطهرتم من خبث الخطايا ﴿ فادْخُلُوها خالِدِينَ ﴾ [وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه في قصة المعراج قال النبي ﷺ : (أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ـ الجنابذ : ما ارتفع من الأرض وغيرها والمراد عقود اللؤلؤ ـ وإذا ترابها المسك) ـ ابن كثير] .

[٧٤] ﴿ وقالوا الحمدُ للَّهِ الذي صدَقَنا وعدَهُ ﴾ بإيصالنا إلى ما وعدنا وأنبأنا عنه على ألسنة رسله ﴿ وأوْرثَنا الأرضَ ﴾ أي أرض الآخرة . شبَّه نيلهم بأعمالهم لها ، بإرثهم من آبائهم ، فكأنَّ الأعمال آباؤهم ، كما يقال : « الصدق يورث النجاة » ﴿ نتبوَّأُ من الجَنَّةِ حيثُ نَشاءُ ﴾ يتبوأ كلٌّ من جنَّته الواسعة ، أيَّ مكان أراده ﴿ فنِعْمَ أجْرُ العامِلِينَ ﴾ الذين عمِلوا بما علِموا .

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

ترتيبها ٤٠ — آياتها ٨٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ
ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ
إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

[٧٥] ﴿ وترى الملائكةَ حافِّينَ من حولِ العَرْشِ ﴾ أي الملائكة السماوية حافّين في جنّة الفردوس حول عرش الرحمن ، محدقين به ﴿ يُسبِّحُونَ بحمدِ ربِّهم ، وقُضِيَ بينَهُم ﴾ بين الخلائق ﴿ بالحَقِّ ﴾ بالعدل ﴿ وقيلَ الحمدُ للَّهِ ربِّ العالَمِينَ ﴾ القائل إما الحقُّ جلَّ جلاله ، أو الملائكة الحافُّون ، أو المؤمنون ممن قضي بينهم ، أو الكلُّ .

نصف الحزب ٤٧

[سورة غافر]

وسميت « المؤمن » لاشتمالها على كلمات مؤمن آل فرعون ، المتضمنة دلائل النبوّة ورفع الشُّبه عنها ، والمواعظ والنصائح وسلامته عن أعدائه ، وعما أُخذوا به . وتسمى « غافر » و « سورة الطَّوْل » وهي مكية . وعدد آياتها خمس وثمانون آية .

[١] ﴿ حمٓ ﴾ الكلام في مفتتَح هذه السورة وتاليه ، كالذي سلف في ﴿ الٓمٓ ﴾ «السجدة» .

[٢] ﴿ تنزيلُ الكتابِ من اللَّهِ العزيزِ العليمِ ﴾ .

[٣] ﴿ غافرِ الذَّنبِ وقابلِ التَّوْبِ ﴾ [عن أبي إسحٰق قال : جاء رجل إلى عمر فقال : إني قتلت فهل لي من توبة؟ قال اعمل ولا تيأس، ثم قرأ ﴿حم* تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم* غافر الذنب وقابل التوب﴾ ـ ابن جرير] ﴿شديدِ العقابِ ذي الطَّوْلِ ﴾ ذي المنّ والفضل ﴿ لا إلهَ إلاَّ هوَ إليهِ المصيرُ﴾ إليه المرجع والجزاء .

[٤] ﴿ ما يُجادِلُ في آياتِ اللَّهِ إلاّ الذينَ كفَرُوا ﴾ ما يخاصم في حجج الله وأدلته على وحدانيته بالإنكار لها ، إلا الذين جحدوا توحيده . والمراد الجدال بالباطل ، فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقارحة أهل العلم في استنباط معانيها ، ورد أهل الزيغ بها وعنها ، فأعظم جهاد في سبيل الله ﴿ فلا يغرُرْكَ تقلُّبُهُم في البِلادِ ﴾ للتجارات وتمتعهم بالتجوال والترداد ، فمآلهم إلى الزوال والنفاد .

[٥] ﴿ كذَّبَتْ قبلَهُم قومُ نوحٍ والأحزابُ ﴾ الذين تحزَّبوا على الرسل وناصبوهم ﴿ مِن بعدِهِم ﴾ من بعد سماع أخبارهم ومشاهدة آثارهم ﴿ وهمَّتْ كلُّ أمَّةٍ برسولِهِم ليأخُذُوهُ ﴾ ليتمكنوا منه ، ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل . والأخيذ : الأسير ﴿ وجادَلُوا بالباطِلِ ﴾ قابلوا حجج الرسل بالباطل من جدالهم ﴿ ليُدْحِضُوا بهِ الحَقَّ ﴾ ليزيلوا به الأمر الثابت بالحجة الصحيحة ﴿ فأخذْتُهُم ﴾ بالعذاب الدنيويِّ المعروف أخبارُه ، المشهود آثارُه ﴿ فكيفَ كانَ عِقابِ ﴾ في هذه الدار ، ولعذاب الآخرة أشد .

[٦] ﴿ وكذلك حَقَّتْ كلمةُ ربِّكَ على الذينَ كَفَرُوا أنَّهُم أصحابُ النَّارِ ﴾ وكما حق على الأمم التي كذبت رسلها ، يا محمد ، كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك الذين يجادلون في آيات الله ، لأنهم أصحاب النار .

[٧] ﴿ الذين يحمِلُونَ العرْشَ ﴾ من الملائكة ﴿ ومَنْ حولَهُ ﴾ يعني الملائكة المقرَّبين ﴿ يسبِّحُونَ بحمْدِ ربِّهم ويؤْمِنُونَ بِهِ ويستغفِرُونَ للذين آمَنُوا ربَّنا ﴾ أي يقولون : ربنا ﴿ وسِعْتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلْماً ﴾ شملت رحمتك وأحاط بالكل علمُك ﴿ فاغفِرْ للذين تابُوا واتَّبَعُوا سبيلَكَ ﴾ أي صراطك المستقيم بمتابعة نبيِّك في الأقوال والأعمال والأحوال ﴿ وقِهِمْ عَذابَ الجَحِيمِ ﴾ .

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ
ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ
ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ
لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾
فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

[٨] ﴿ ربَّنا وأدْخِلْهُم جناتِ عدْنٍ التي وعدتَّهُم ومَن صلَحَ مِنْ آبائِهِم وأزْواجِهِم وذُرِّيَّاتِهِم ﴾ من عمل صالحاً منهم ليتم سرورهم بهم [قال ابن جرير: وذكر أنه يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجته الجنة وإن لم يكونوا عملوا عمله بفضل رحمة الله إياه] ﴿ إنَّكَ أنْتَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ .

[٩] ﴿ وقِهِمُ السَّيِّئاتِ ﴾ عقوبَتَها وجزاءَها ﴿ ومَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فقدْ رحِمْتَهُ وذلك هُوَ الفوزُ العظيمُ ﴾ .

[١٠] ﴿ إنَّ الذينَ كفَرُوا يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أكبَرُ مِن مَقْتِكُم أنفُسَكُم ﴾ لَبُغْضُه الشديد لكم ، أعظم من بغض بعضكم لبعض ، وتبرؤ كل من الآخر ولعنه حين تُعَذَّبون ، أو أعظم من مقتكم أنفسَكم ﴿ إذ تُدْعَوْنَ إلى الإيمان فتكفُرُونَ ﴾ تدعون على ألسنة الرسل عليهم السلام، إلى الإيمان به سبحانه، فتكفرون كِبْراً وعتوّاً .

[١١] ﴿ قالوا ربَّنا أمَتَّنا اثنَتَيْنِ وأحيَيْتَنا اثنَتَيْنِ ﴾ أنشأْتنا أمواتاً مرتين ، وأحييتنا في النشأتين . قال قتادة : كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم ، فأحياهم الله في الدنيا ، ثم أماتهم الموتة التي لابد منها ، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما حياتان وموتتان ﴿ فاعترفْنا بذنوبِنا ﴾ فأقررنا بما عملنا من الذنوب في الدنيا ، وذلك عند وقوع العقاب المرتب عليها ، وامتناع المحيص عنه ﴿ فَهَلْ إلى خُروجٍ من سَبيلٍ ﴾ فهل إلى خروجنا من النار ، من سبيل ، لنرجع إلى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل ؟

[١٢] ﴿ ذلكُم ﴾ الذي أنتم فيه من العذاب ، وأنْ لا سبيل إلى خروج قط ﴿ بأنَّهُ إذا دُعِيَ اللَّهُ وحدَهُ كفرتُم ، وإنْ يُشرَكْ بِهِ تؤْمِنُوا ﴾ أي بسبب إنكاركم أن الألوهية له خالصة ، وإيمانكم بالشرك ﴿ فَالحُكْمُ للَّهِ العليِّ الكبيرِ﴾ فالقضاء له وحده لا للغير .

[١٣] ﴿ هوَ الذي يُرِيكُمْ آياتِهِ ﴾ من الريح والسَّحاب والرعد والبرْق والصواعق ونحوها ﴿ ويُنزِّلُ لكُم من السَّماءِ رِزْقاً ﴾ أي مطراً ، فهو سبب حياة كل شيء ﴿ وما يتذَكَّرُ إلاّ من يُنِيبُ ﴾ وما يتعظ بآياته تعالى إلا من يرجع إليه بالتوبة والإنابة .

[١٤] ﴿ فادْعُوا اللَّهَ مُخلِصِينَ لهُ الدِّينَ ﴾ فاعبدوه مخلصين له الدين عن شوْب الشرك ﴿ ولَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ ﴾ ولو غاظهم ذلك .

[١٥] ﴿ رفيعُ الدَّرَجاتِ ﴾ رفيع درجات عرشه ، وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش ، وهي دليل على عزّته وملكوته ، أو هو عبارة عن رفعة شأنه وعلوّ سلطانه وكمالاته غير المتناهية ﴿ ذو العرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ ﴾ أي الوحيَ والعلم اللدنيّ الذي تحيا به القلوب الميتة ﴿ مِن أمْرِهِ على مَن يَشاءُ مِن عبادِهِ ﴾ هم أهل عنايته الأزلية واختصاصه للرسالة والنبوّة ﴿ لِيُنذرَ يومَ التَّلاقِ ﴾ يوم القيامة الكبرى ، الذي يتلاقى فيه العبد بربه ليحاسبه على أعماله ، أو تلاقي العباد .

[١٦] ﴿ يومَ هُم بارِزُونَ ﴾ من قبورهم ، أو ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو بناء ﴿ لا يَخْفَى على اللَّهِ منهُمْ شيْءٌ ﴾ من أعمالهم وأعيانهم وأحوالهم ﴿ لِمَنِ المُلْكُ اليومَ ﴾ ينادي به الحق سبحانه عند فناء الكل ، أو وقت التلاقي والبروز ، فيجيب هو وحده : ﴿ لِلَّهِ الواحدِ ﴾ المتفرِّد بالمُلْك ﴿ القَهَّارِ ﴾ الذي قهر بالغلبة كلَّ ما سواه .

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ
لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ
بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ
قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا
وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ
فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ
عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟
نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾

[١٧] ﴿ اليومَ تُجزى كلُّ نفسٍ بما كسَبَتْ ، لا ظُلْمَ اليومَ ، إنَّ اللَّهَ سريعُ الحسابِ ﴾ بإيصال ما يستحق كل منهم إليه ، من تبعات سيئاته وثمرات حسناته . [ثبت في صحيح مسلم رحمه الله : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ـ إلى أن قال ـ يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله تبارك وتعالى ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ـ ابن كثير].

علامة الربع الحزب ٤٧

[١٨] ﴿ وأَنْذِرْهُم يومَ الأَزِفَةِ ﴾ الواقعة القريبة ﴿ إذِ القُلُوبُ لدى الحناجِرِ ﴾ من أهواله ترتفع القلوب عن مقارِّها ، فتصير لدى الحلقوم ﴿ كاظِمِينَ ﴾ ممتلئين غمّاً بما أفرطوا من الظلم ﴿ ما لِلظَّالِمِينَ من حَمِيمٍ ﴾ قريب يهتم لشأنهم فيخفف عنهم غمومهم ﴿ ولا شَفِيعٍ يُطاعُ ﴾ ولا من يشفع في تخفيفها عنهم ، إذ لا تُقبل شفاعة منهم .

[١٩] ﴿ يعلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ ﴾ أي نظراتها الخائنة ، وهي الممتدة إلى ما لا يحلّ ﴿ وما تُخْفِي الصُّدورُ ﴾ وما تكنُّه من الضمائر والأسرار . [قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ : هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم ، وفيهم المرأة الحسناء ، أو تمر به وبهم المرأة الحسناء ، فإذا غفلوا لحظ إليها ، فإذا فطنوا غض بصره عنها ، فإذا غفلوا لحظ ، فإذا فطنوا غض ، وقد اطلع الله تعالى من قلبه ، ود لو اطلع على فرجها ـ ابن كثير].

[٢٠] ﴿ واللَّهُ يقضِي بالحَقِّ ﴾ بالعدل ﴿ والذينَ يدعُونَ من دونِهِ لا يقضُونَ بشيءٍ ﴾ لأنهم لا يقدرون على شيء ﴿ إنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ .

[٢١] ﴿ أَوَلَمْ يَسيرُوا في الأرضِ فيَنْظُرُوا كيفَ كانَ عاقِبةُ الذينَ كانوا من قبْلِهِم ، كانوا هم أشَدَّ منهُم قوّةً وآثاراً في الأرضِ ﴾ يعني حصونَهم وقصورهم وعددهم ﴿ فأخَذَهُمُ اللَّهُ بذنوبِهِم وما كان لهُم مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ ﴾ .

[٢٢] ﴿ ذلك بأنَّهُم كانتْ تأْتِيهِم رُسُلُهُم بالبيِّناتِ فكفَرُوا ، فأخَذَهُمُ اللَّهُ ، إنَّهُ قَوِيٌّ شديدُ العقابِ ﴾ .

[٢٣] ﴿ ولقدْ أرْسَلْنا موسى بآياتِنا وسُلطانٍ مُبِينٍ ﴾ .

[٢٤] ﴿ إلى فِرْعَوْنَ ﴾ وهو ملك القبط بالديار المصرية ﴿ وهامانَ ﴾ وهو وزيره في مملكته ﴿ وقارونَ ﴾ وكان أكثر الناس في زمانه مالاً وتجارة ﴿ فقالوا ساحِرٌ كذَّابٌ ﴾ .

[٢٥] ﴿ فلمّا جاءَهُم بالحَقِّ من عِنْدِنا ﴾ بآيات نبوّته ﴿ قالوا اقتُلُوا أبناءَ الذينَ آمَنُوا معَهُ واستحْيُوا نساءَهُم ﴾ أعيدوا عليهم القتلَ كالذي كان أوّلاً [لأجل الاحتراز من وجود موسى ، أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم ، أو لمجموع الأمرين ، وأما الأمر ـ بالقتل ـ الثاني فلإهانة هذا الشعب ، ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام] ، واستبقوا نساءَهم للخدمة ﴿ وما كَيْدُ الكافرينَ إلاَّ في ضَلالٍ ﴾ وما مكرهم في دفع ما أراد الله من ظهور دينه إلا في ضياع .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ
ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى
يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ
لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ
أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

[٢٦] ﴿ وقالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أقتُلْ موسى وليَدْعُ ربَّهُ إنِّي أخافُ أن يبدِّلَ دينَكُم ﴾ أي ما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿ أوْ أنْ يُظهِرَ في الأرضِ الفسادَ ﴾ أي فساد مملكتي ، إذ يتفق الكل على متابعته وإجراء أحكامه .

[٢٧] ﴿ وقال موسى إنِّي عُذْتُ بربِّي وربِّكُم مِنْ كُلِّ متكبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بيومِ الحِسابِ ﴾ التجأت إليه وتوكَّلْتُ عليه ، فهو ناصر دينَه ومعزٌّ أهلَه . [جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوماً قال : (اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم ، وندرأ بك في نحورهم) ـ ابن كثير].

[٢٨] ﴿ وقالَ رجُلٌ مؤمِنٌ من آلِ فِرْعَوْنَ يكتُمُ إيمانَهُ ﴾ خوفاً من فرعون وملئه : ﴿ أتَقْتُلُونَ رجُلاً أنْ يقولَ ربِّيَ اللَّهُ وقَدْ جاءَكُمْ بالبيِّناتِ من ربِّكُم ﴾ معناه البيِّنات العظيمة التي شهدتموها وعرفتموها على ذلك ﴿ وإنْ يَكُ كاذِباً فعليهِ كذِبُه وإنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُم بعضُ الذي يعِدُكُم ﴾ من عذاب الدنيا إن تعرَّضتم له ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يَهْدي مَنْ هوَ مُسْرِفٌ كذَّابٌ ﴾ إن كان مسرفاً كذاباً ، خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر ، فتتخلَّصون منه ، وأنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله للنبوَّة ، ولما عضده بالبينات . [المشهور أن هذا الرجل كان قبطياً من آل فرعون، قال السديّ : كان ابن عم فرعون . واختاره ابن جرير . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون والذي قال ﴿ يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾ ـ ابن كثير].

[٢٩] ﴿ يا قومِ لكُمُ المُلْكُ اليومَ ظاهِرِينَ في الأرضِ ﴾ عالين وقاهرين ، فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ، ولا تعرِّضونا لعذابه تعالى ﴿ فمنْ ينصُرُنا من بأسِ اللَّهِ إنْ جاءَنا ﴾ [قال ابن جرير: فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته إن حل بنا ، وعقوبته إن جاءتنا] ﴿ قال فِرْعَوْنُ ما أُريكُم إلاَّ ما أرَى ﴾ ما أشير عليكم إلا ما أستصوبه من قتله ﴿ وما أَهْدِيكُم ﴾ إذ أقترح عليكم قتله ﴿ إلاَّ سبيلَ الرشادِ ﴾ وهو دفع تبدُّل دينكم وإظهار الفساد في الأرض بإظهار أحكامه .

[٣٠] ﴿ وقال الذي آمَنَ يا قوْمِ إنِّي أخافُ عليكُم ﴾ من قتْله ﴿ مثلَ يومِ الأَحْزابِ ﴾ الطوائف الهالكة بالتكذيب .

[٣١] ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قومِ نُوحٍ ﴾ أي مثل جزائهم من الغرق ﴿ وعادٍ ﴾ من الريح العقيم ﴿ وثَمُودَ ﴾ من الصيحة ﴿ والذينَ مِنْ بعدِهِم ﴾ من الأمم المكذِّبة ، مما يدل على أنَ الهلاك سنة مستمرَّة لأهل التكذيب ، إذ لم يكن لهم ذنب آخر يوجبه ﴿ وما اللَّهُ يُريدُ ظُلْماً للعِباد ﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب .

[٣٢] ﴿ ويا قَوْمِ إنِّي أخافُ عليكُم يومَ التَّنادِ ﴾ يعني يوم القيامة ، أي عذابَه . [قال ابن جرير: ويا قوم إني أخاف عليكم يوم ينادي الناس بعضهم بعضاً، إما من هول ما قد عاينوا من عظيم سلطان الله، وفظاعة ما غشيهم من كرب ذلك اليوم، وإما لتذكير بعضهم بعضاً إنجاز الله إياهم الوعد الذي وعدهم في الدنيا، واستغاثة من بعضهم ببعض، مما لقي من عظيم البلاء فيه].

[٣٣] ﴿ يومَ تُولُّونَ مُدْبِرِينَ ﴾ ذاهبين فراراً من الفزع الأكبر ﴿ ما لكُم منَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ ﴾ يمنعكم من عذابه ، لتقرر الحجة عليكم ﴿ ومَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ ﴾ بزيغه عن صراط ربه ﴿ فما لَهُ مِنْ هادٍ ﴾ ما له من حجة ولا مرشد إلى النجاة .

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ
مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ
دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ
وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

[٣٤] ﴿ **ولقدْ جاءَكُم يوسُفُ من قَبْلُ بالبيِّناتِ** ﴾ من قبل مجيء موسى بالحجج البيِّنة والبراهين النيِّرة على وجوب عبادته تعالى وحدَه ﴿ **فما زِلْتُم في شَكٍّ مما جاءَكُم بِهِ** ﴾ مع ظهور استقامته الكافية في الدلالة على صحة ما جاءكم به ، فلم يزل يقررها ﴿ **حتَّى إذا هلَكَ** ﴾ مات ﴿ **قُلْتُم لنْ يَبْعَثَ اللَّهُ من بعدِهِ رسولاً** ﴾ فقطعتم من عند أنفسكم بعدم إرسال الله لرسول مع الشك في إرسال من أعطاه البيِّنات ، من فرط ضلالكم ﴿ **كذلك يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ** ﴾ في التشكيك عند ظهور البراهين القطعية ﴿ **مُرْتابٌ** ﴾ شاكٌّ مع ظهور لوائح اليقين .

[٣٥] ﴿ **الذين يُجادِلُونَ في آياتِ اللَّهِ بغيرِ سُلطانٍ أتاهُم** ﴾ بغير برهان أو بغير علم . [قال ابن جرير : بغير حجة أتتهم من عند ربهم يدفعون بها حقيقة الحجج التي أتتهم بها الرسل] ﴿ **كبُرَ مَقْتاً عندَ اللَّهِ وعندَ الذينَ آمنُوا** ﴾ [كبر ذلك الجدال الذي يجادلونه في آيات الله مقتاً عند الله ﴿وعند الذين آمنوا﴾ بالله] ﴿ **كذلك يَطبَعُ اللَّهُ على كلِّ قلْبِ متكبِّرٍ جبَّارٍ** ﴾ بَطِرٌ للحق لا يقبل الحجَّة ، جبّار في المجادلة [قال ابن جرير: كما طبع الله على قلوب المسرفين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحده ويصدِّق رسله] . [قال قتادة رحمه الله : آية الجبابرة القتل بغير حق ـ ابن كثير] .

[٣٦] ﴿ **وقال فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحاً** ﴾ قصراً عالياً ظاهراً لكل أحد ﴿ **لعلِّي أبلُغُ الأسْبابَ** ﴾ [قال سعيد بن جبير رحمه الله : أبواب السموات . وقيل : طرق السموات ـ ابن كثير. قال ابن جرير: السبب هو كل ما تُسَبَّبَ به إلى الوصول إلى ما يطلب من حبل وسلَّم . وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال : معناه لعلي أبلغ من أسباب السموات أسباباً أتسبب بها إلى رؤية إله موسى ، طرقاً كانت تلك الأسباب منها أو أبواباً ، أو منازل ، أو غير ذلك] .

[٣٧] ﴿ **أسبابَ السَّمٰواتِ** ﴾ أي طرقها ﴿ **فأطَّلِعَ إلى إلهِ مُوسى** ﴾ لأسأله عن إرساله ، أو لأقف على كنهه ﴿ **وإنِّي لأظنُّهُ كاذِباً** ﴾ أي لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدَّعي ، من أن له في السماء ربّاً أرسله إلينا ﴿ **وكذلكَ زُيِّنَ لفِرْعَوْنَ سوءُ عملِهِ وصُدَّ عَنِ السَّبيلِ** ﴾ عن سبيل الرشاد لما طُبع على قلبه من كِبْره وتجبُّره وإسرافه وارتيابه ﴿ **وما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاّ في تَبابٍ** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : يعني إلا في خسار .

[٣٨] ﴿ **وقال الذي آمن يا قومِ اتَّبِعُونِ أهْدِكُم سبيلَ الرَّشادِ** ﴾ طريق الصواب الذي ترشدون إذا أخذتم فيه وسلكتموه .

[٣٩] ﴿ **يا قومِ إنَّما هذه الحياةُ الدُّنيا مَتاعٌ** ﴾ تمتع يسير، لسرعة زوالها ﴿ **وإنَّ الآخرة** ﴾ التي يوصل إليها سبيلي ﴿ **هي دارُ القَرار** ﴾ هي دار الاستقرار والخلود .

[٤٠] ﴿ **مَنْ عَمِلَ سيِّئةً** ﴾ في هذه الحياة الدنيا ﴿ **فلا يُجْزَى إلا مِثْلَها** ﴾ في الآخرة، إلا سيئة مثلها وذلك أنه يعاقبه بها ﴿ **ومن عَمِلَ صالحاً من ذكَرٍ أو أُنثى وهوَ مُؤْمِنٌ فأولئِك يَدخُلُون الجَنَّةَ يُرزَقُونَ فيها بغيرِ حِسابٍ** ﴾ بغير تقدير وموازنة بالعمل ، بل أضعافاً مضاعفة [أي لا يتقدر بجزاء ، بل يثيبه الله عز وجل ثواباً كثيراً ، لا انقضاء له ولا نفاد ـ ابن كثير] .

۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى
ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ
لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ
مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟
ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى
ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ
قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

[٤١] ﴿ **ويا قوم ما لِي أدعُوكُم إلى النَّجاةِ وتدعونَنِي إلى النَّارِ** ﴾ .

[٤٢] ﴿ **تدعونَني لأكفُرَ باللَّهِ وأُشرِكَ بِهِ ما ليسَ لي بِهِ عِلْمٌ** ﴾ إذ لا وجود له ﴿ **وأنا أدعُوكُم إلى العَزيزِ** ﴾ الغالب الذي يقهر من عصاه ﴿ **الغفّارِ** ﴾ الذي يستر ظلمات نفوس مَن أطاعه بأنواره .

[٤٣] ﴿ **لا جَرَمَ** ﴾ يجوز أن يكون لا جرم نظير لابدَّ من الجرم وهو القطع ، ومعناه : لا انقطاع لبطلان دعوة الأصنام ، بل هي باطلة أبداً . قال الفراء : لا جَرَم كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا محالة ، ولابد فجرت على ذلك وكثرت حتى تحوَّلت إلى معنى القسم ، وصارت بمنزلة حقاً ﴿ **أنَّ ما تدعونَنِي إليهِ ليسَ لهُ دعوةٌ في الدُّنيا ولا في الآخِرَةِ** ﴾ فالذي تدعونني إلى عبادته ليس له دعوة في الدنيا لدفع الشدائد والأمراض ونحوها ، ولا في الآخرة لدفع أهوالها . [قال مجاهد رحمه الله : الوثن ليس له شيء . وقال قتادة رحمه الله : يعني الوثن لا ينفع ولا يضر. وقال السدي رحمه الله : لا يجيب داعيه لا في الدنيا ولا في الآخرة ـ ابن كثير] ﴿ **وأنَّ مَرَدَّنا إلى اللَّهِ ، وأنَّ المُسْرِفِينَ** ﴾ في الضلالة والطغيان وسفك الدماء ﴿ **هُم أصحابُ النَّارِ** ﴾ .

[٤٤] ﴿ **فستذكُرونَ ما أقولُ لكُم** ﴾ من النصح عند معاينة الأهوال وما يحيق بكم ﴿ **وأفوِّضُ أمْرِي إلى اللَّهِ** ﴾ وأسلِّم أمري إليه وأجعله له ، وأتوكَّل عليه ، فإنه الكافي من توكَّل عليه ﴿ **إنَّ اللَّهَ بصيرٌ بالعِبادِ** ﴾ فيعلم المطيع منهم والعاصي ، ومن يستحق المثوبة والعقوبة .

[٤٥] ﴿ **فوقاه اللَّهُ سيِّئاتِ ما مَكَرُوا** ﴾ فرفع الله عن هذا المؤمن من آل فرعون بإيمانه وتصديق رسوله موسى ، مكروهَ ما كان فرعون ينال به أهلَ الخلاف عليه من العذاب والبلاء فنجَّاه منه ﴿ **وحاقَ بآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذابِ** ﴾ يعني الغرق أو النَّار .

[٤٦] ﴿ **النَّارُ يُعرَضُونَ عليها غُدُوّاً وعشِيّاً** ﴾ جملة مستأنفة مبينة لكيفية نزول العذاب بهم ، والمراد عرض أرواحهم عليها دائماً ، وبه يُستدَلُّ على عذاب القبر والبرزخ ﴿ **ويومَ تقومُ السَّاعةُ** ﴾ هذا العرض ما دامت الدنيا ، فإذا قامت الساعة يقال لهم : ﴿ **أدخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أشدَّ العذابِ** ﴾ وهو عذاب جهنم لأنه جزاء شدَّة كفرهم .

[٤٧] ﴿ **وإذْ يتحاجُّونَ في النَّارِ** ﴾ [قال ابن جرير: إذ يتخاصم الذين أمر رسول الله ﷺ بإنذارهم من مشركي قومه في النار] ﴿ **فيقولُ الضُّعفاءُ للذين استكبَرُوا إنَّا كُنَّا لكُم تَبَعاً** ﴾ أي أتباعاً كالمُكْرَهين ﴿ **فهلْ أنتُم مُغْنُونَ عنَّا نصيباً من النَّارِ** ﴾ .

[٤٨] ﴿ **قال الذينَ استكبَروا إنَّا كلٌّ فيها** ﴾ نحن وأنتم [في النار مخلدون] فكيف نغني عنكم ؟ ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا ﴿ **إنَّ اللَّهَ قدْ حكَمَ بَيْنَ العِبادِ** ﴾ بأن أدخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ ، وأهل النارِ النارَ ، ولا معقِّب لحكمه أو بأن قدَّر عذاباً لكل منا لا يدفع عنه ، ولا يتحمله عنه غيرُه .

[٤٩] ﴿ **وقال الذين في النَّارِ لخزنَةِ جهنَّمَ** ﴾ لمّا أيسوا من التخفيف عند المحاجَّة : ﴿ **ادْعُوا ربَّكُم يُخَفِّفْ عنَّا يوماً من العذابِ** ﴾ يدفع عنا يوماً من أيام العذاب ، أو ألَمَ يوم وشدَّته .

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ
بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ
(٥٠) إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ (٥١) يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٥٢) وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى
ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ (٥٣) هُدٗى
وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٥٤) فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ
وَٱلۡإِبۡكَٰرِ (٥٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡبَصِيرُ (٥٦) لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ
خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٥٧)
وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)

[٥٠] ﴿ قالوا أَوَلَمْ تَكُ تأتيكم رسُلُكم بالبيِّناتِ ﴾ المتكاثرة على صدقهم ، المنذرة بهذه الشِّدة ؟ ﴿ قالوا بلى ﴾ جاؤوا بها وأخبروا مع البيِّنات ﴿ قالوا فادْعُوا ﴾ إن كان ينفعكم ، وهيهات ﴿ وما دُعاءُ الكافِرينَ إلاَّ في ضَلالٍ ﴾ في ضياع لا يُجاب .

[٥١] ﴿ إنّا لنَنْصُرُ رُسُلَنا والذين آمنوا في الحَياةِ الدُّنْيا ويومَ يقومُ الأشهادُ ﴾ لننصرهم في الدارين .

[٥٢] ﴿ يومَ لا ينفَعُ الظالمينَ معذِرَتُهم ولهُمُ اللعنَةُ ولهُم سُوءُ الدَّارِ ﴾ وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا ، وتابع عليهم الحجج فيها ، فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب ، ولذا كانت لهم اللعنة ، وهي البعد من رحمة الله وشر ما في الدار الآخرة من العذاب الأليم .

[٥٣] ﴿ ولقَدْ آتينا موسى الهُدى ﴾ فكذَّب به فرعونُ وقومُه كما كذَّبت قريش ﴿ وأَوْرثْنا بَني إسرائيلَ الكِتابَ ﴾ وتركنا عليهم بعده من ذلك التوراة .

[٥٤] ﴿ هُدىً ﴾ بياناً لأمر دينهم وما ألزمناهم من شرائعها ﴿ وذِكْرى لأُولِي الأَلْبابِ ﴾ لذوي الحجى والعقول منهم .

[٥٥] ﴿ فاصْبِرْ ﴾ على أذى المشركين واصدعْ بما تُؤمر ﴿ إنَّ وعْدَ اللَّهِ حقٌّ ﴾ بنصرك على من خالف ﴿ واستغْفِرْ لذنْبِكَ ﴾ سله غفرانه وعفوه ﴿ وسبِّحْ بحمدِ ربِّكَ بالعَشِيِّ والإبْكارِ ﴾ . [قال ابن جرير: وصَلِّ بالشكر منك لربك ﴿بالعشي﴾ وذلك من زوال الشمس إلى الليل ﴿والإبكار﴾ وذلك من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس] . [٥٦] ﴿ إنَّ الذين يجادِلُونَ في آياتِ اللَّهِ بغيرِ سُلْطانٍ أتاهُم ﴾ يدفعون الحقَّ بالباطل ، ويردُّون الحجج الصحيحة بالشُّبَه الفاسدة ، بلا برهان ولا حجّة من الله ﴿ إنْ في صُدُورِهِم إلا كِبْرٌ ﴾ إلا تكبُّر عن الحق وتَعظُّم عن التفكر ، وغمط لمن جاءهم به ، حسداً منهم على الفضل الذي آتاك الله ، والكرامة التي أكرمك الله بها من النبوَّة ﴿ ما هُم ببالِغيهِ ﴾ وليس بالأمر الذي يُدرِكُ بالأمانيِّ . وقد قيل : إن معناه إنْ في صدورهم إلا عَظَمَة ، ما هم ببالغي تلك العظمة لأن الله مذلُّهم ﴿ فاستعِذْ باللَّهِ ﴾ فاستجرْ باللَّه يا محمد من شر هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ﴿ إنَّهُ هوَ السَّميعُ البصيرُ ﴾ . [قال ابن جرير: إن الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول، البصير بما تعمله جوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك] .

[٥٧] ﴿ لَخَلْقُ السَّمٰواتِ والأرضِ أكبرُ من خَلْقِ الناسِ ﴾ إنشاؤهما وابتداعهما من غير شيء ، أعظم من خلق البشر ﴿ ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يعلَمُونَ ﴾ لا ينظرون ولا يتأمَّلون لغلبة الجهل عليهم ، ولذا يجعلون إعادة الشيء أعظمَ من خلقه عن عدم ، مع أنه أهون وأيسر .

[٥٨] ﴿ وما يستَوِي الأعمى والبَصيرُ ﴾ وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينيه فيتدبرها ويعتبر بها . والبصير الذي يرى بعينيه ما شخص لهما ويبصره ، وذلك مثل للمؤمن الذي يرى بعينيه حجج الله فيتفكر فيها ويتعظ ﴿ والذين آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالحاتِ ﴾ ولا يستوي أيضاً المؤمنون بالله ورسوله ، المطيعون لربهم ﴿ ولا المُسِيءُ ﴾ وهو الكافر بربه ، العاصي له ﴿ قليلاً ما تتذكَّرُونَ ﴾ فلو تذكَّروا آياته واعتبروا بها ، لعرفوا خطأ ما هم مقيمون عليه ، من إنكار البعث ، ومن قبح الشِّرْك .

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤۡمِنُونَ (٥٩) وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ (٦٠) ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ (٦١) ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ
(٦٢) كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ
(٦٣) ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ
بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ (٦٤) هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ
مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٦٥) ۞ قُلۡ
إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ
ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٦٦)

[٥٩] ﴿ إنَّ الساعةَ لآتِيَةٌ لا رَيْبَ فيها ﴾ فأيقنوا بمجيئها وأنكم مبعوثون ومجازَوْن بأعمالكم ، فتوبوا ﴿ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ لا يصدِّقون بمجيئها .

[٦٠] ﴿ وقال ربُّكُم ادعُوني أستجِبْ لكُم ﴾ اعبدوني أُثِبْكم ، والدعاء بمعنى العبادة ، كثير في القرآن ﴿ إنَّ الذين يستكْبِرونَ عَنْ عِبادَتي سيدخُلُونَ جهنَّمَ داخِرينَ ﴾ صاغرين أذلاَّء . [روى الإمام أحمد رحمه الله عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الدعاء هو العبادة) . ثم قرأ : ﴿ ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ . وقال رسول الله ﷺ : (من لم يَدْعُ الله عز وجل غضب عليه) ـ ابن كثير] .

[٦١] ﴿ اللَّهُ الذي جعلَ لكُمُ الليلَ لتسْكُنُوا فيهِ ﴾ اللَّهُ الذي لا تصلح الألوهية إلا له ، ولا تنبغي عبادة غيره ، هو الذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه ، فتستردوا بالراحة فيه ، ما فاتكم من القوى في العمل بالنهار ﴿ والنهارَ مُبْصِراً ﴾ أي يبصر فيه ، أو به ، لتتحركوا لتحصيل الأكساب الدينية والدنيوية ، فقد تفضَّل الله عليكم بهما وبما فيهما ﴿ إنّ اللَّهَ لَذُو فضْلٍ على الناسِ ﴾ ليشكروه بعبادته ﴿ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يشكُرُونَ ﴾ [الله بالطاعة له ، وإخلاص الألوهية والعبادة له ، ولا يد تقدمت له عنده استوجب بها منه الشكر عليها ـ ابن جرير] .

ربع الحزب ٤٨

[٦٢] ﴿ ذلكُم اللَّهُ ربُّكم خالِقُ كلِّ شيءٍ لا إلهَ إلا هُوَ فأنَّى تُؤفَكُونَ ﴾ عن طاعته إلى إثبات الشريك وعبادته . الإفك : الافتراء والكذب .

[٦٣] ﴿ كذلك يُؤْفَكُ الذين كانوا بآياتِ اللَّهِ يجحَدُونَ ﴾ من الأمم المتقدمة الهالكة ، أي فسلكتم أنتم معشر قريش مسلكهم ، وركبتم محجتهم في الضلال . [٦٤] ﴿ اللَّهُ الذي جعلَ لكُمُ الأرضَ قَراراً ﴾ تستقرّون عليها وتسكنون فوقها ﴿ والسَّماءَ بِناءً ﴾ مبنية مرفوعة فوقكم بغير عَمَدٍ تَرَوْنها ، لمصالحكم وقوام دينكم . وقد فسر البناء بالقبَّة المضروبة ، لأن العرب تسمي المضارب أبنية ، فهو تشبيه بليغ ، وهو إشارة إلى كريَّتها ﴿ وصوَّركُم فأحسَنَ صُوَرَكُم ﴾ يجعل كلَّ عضو في مكان يليق به ، ليتم الانتفاع به ، فتستدلوا بذلك على كمال حكمته ﴿ ورزقَكُم من الطَّيِّباتِ ﴾ من لذيذات المطاعم والمشارب لتشكروه وحدَه ﴿ ذلكمُ اللَّهُ ربُّكُم فتباركَ اللَّهُ ربُّ العالَمِينَ ﴾ الذي لا تصلح الربوبية إلا له .

[٦٥] ﴿ هُوَ الحَيُّ ﴾ الذي لا يموت ، الدائم الحياة ، وكل شيء سواه فمنقطع الحياة غير دائمها ﴿ لا إلهَ إلاّ هوَ فادْعُوه مخلِصِينَ لَهُ الدِّين ﴾ مفردين له الطاعة ، لا تشركوا في عبادته شيئاً ﴿ الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمِينَ ﴾ أي الثناء والشكر لله ، مالك جميع أجناس الخلْق ، لا للأوثان التي لا تملك شيئاً ، ولا تقدر على ضرٍّ ولا نفع . [عن ابن عباس قال : من قال لا إله إلا الله ، فليقل على إثرها : الحمد لله رب العالمين فذلك قوله ﴿فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾] .

[٦٦] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لمشركي قومك من قريش ﴿ إنِّي نُهيتُ أنْ أعبُدَ الذين تدعُونَ مِنْ دونِ اللَّهِ ﴾ من الآلهة والأوثان ﴿لمّا جاءَنيَ البيِّناتُ من ربِّي﴾ الآيات الواضحات من عنده ، على وجوب وحدته وتفرُّده بالعبادة ﴿ وأُمِرْتُ أنْ أُسْلِمَ لربِّ العالَمِينَ ﴾ أخضع له بالطاعة دون غيره .

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟
شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا
قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾
فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ
مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ
نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

[٦٧] ﴿ هوَ الذي خلقَكُم من تُرابٍ ﴾ من عناصر التراب ، أو خلق أباكم آدم منه ﴿ ثُمَّ ﴾ خلقكم ﴿ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثم يُخْرِجُكُم طِفْلاً ثم لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُم ﴾ يبقيكم لتبلغوا فتتكامل قواكم ﴿ ثم لِتَكُونوا ﴾ إذا تناهى شبابُكم وتمام خلقكم ﴿ شُيوخاً ومنكم من يُتوفَّى قَبْلُ ﴾ من قبل أن يصير شيخاً ﴿ ولتبلُغوا ﴾ ونفعل ذلك لتبلغوا ﴿ أجَلاً مُسَمًّى ﴾ ميقاتاً محدوداً لحياتكم ، وهو وقت الموت ، أو لجزائكم وهو يوم القيامة ﴿ ولعلَّكُم تَعْقِلُونَ ﴾ ولكي تعقلوا حجج الله عليكم بذلك ، وتتدبروا آياته ، فتعرفوا بها أنه لا إله غيره .

[٦٨] ﴿ هوَ الذي يُحْيِي ويُمِيتُ فإذا قَضى أمْراً فإنَّما يقولُ لَهُ كُنْ فيَكُونُ ﴾ يكوِّنه من غير كلفة مؤنة ولا معاناة .

[٦٩] ﴿ ألَمْ تَرَ إلى الذين يُجادِلونَ في آياتِ اللَّهِ أنَّى يُصْرَفونَ ﴾ عن الرشد إلى الغيِّ . [قال ابن جرير : وهؤلاء هم المشركون] .

[٧٠] ﴿ الذين كذَّبوا بالكِتابِ ﴾ بكتاب الله ، وهو القرآن الكريم ﴿ وبما أرْسَلْنا بِهِ رسُلَنا ﴾ [من إخلاص العبادة لله ، والبراءة مما يعبد دونه من الآلهة والأنداد ، والإقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب] ﴿ فسوفَ يعلَمُونَ ﴾ صحة ما هم به اليوم مكذبون من هذا الكتاب .

[٧١] ﴿ إذِ الأغْلالُ في أعناقِهِم والسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ تسحبهم زبانية العذاب يوم القيامة .

[٧٢] ﴿ في الحَمِيمِ ﴾ أي الماء الحار. قال المهايمي : لدفعهم برْد اليقين من دلائل الكتاب والسنة ﴿ ثم في النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ يُحرَقون . قال المهايمي : لإحراقهم الأدلة العقلية والنقلية . [٧٣] ﴿ ثم قيلَ لهُم أينَ ما كنتُم تُشْرِكُونَ ﴾ حتى يغيثوكم .

[٧٤] ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ قالوا ضَلُّوا عَنَّا ﴾ غابوا فلم نعرف مكانهم ، أو ضلالهم استعارة لعدم نفعها لها ، فحضورهم كالعدم ﴿ بلْ لَمْ نكُنْ ندْعُواْ من قَبْلُ شيئاً ﴾ أي ما كنا مشركين ، وإنما كذبوا لحيرتهم واضطرابهم . أو بمعنى : تبين لنا أنا لم نكن نعبد شيئاً ﴿ كذلك يُضِلُّ اللَّهُ الكافِرِينَ ﴾ أهل الكفر به ، عنه وعن رحمته ، فلا يخفف عنهم العذاب .

[٧٥] ﴿ ذلِكُم ﴾ العذاب ﴿ بِما كنتُم تفرَحُونَ في الأرضِ بغيرِ الحَقِّ وبِما كنتُم تمرَحُونَ ﴾ بسبب فرحكم في الدنيا ، بغير ما أذِن الله لكم به ، من الباطل والمعاصي وبمرحكم فيها . والمرح هو الأشر والبطر والخيلاء .

[٧٦] ﴿ ادخُلُوا أبوابَ جهنَّمَ خالِدِينَ فيها فَبِئْسَ مَثْوَى المتكبِّرِينَ ﴾ منزل المتعظِّمين عن الإيمان والتوحيد [ـ في الدنيا ـ اليوم جهنم] .

[٧٧] ﴿ فاصْبِرْ إنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ فاصبر على جدال هؤلاء المتكبِّرين في آيات الله ، وعلى تكذيبهم ، فإن وعْد الله إياك بالظفر عليهم ، حقٌّ ثابت ﴿ فإمَّا نُرِيَنَّكَ بعضَ الذي نعِدُهُم ﴾ [أي في الدنيا وكذلك وقع ، فإن الله تعالى أقر عينيه ﷺ يوم بدر ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب في حياته ﷺ ـ ابن كثير] من العذاب والنقمة ﴿ أو نتوفَّيَنَّكَ ﴾ قبل أن يحلَّ بهم ما يحل ﴿ فإلَيْنا يُرْجَعُونَ ﴾ فنحكم بينهم بالحقِّ ، وهو الخلود في النار ، لمناسبة نفوسهم الكدرة الظلمانية البعيدة عن الحق ، واستحكام مَلَكات رذائلهم .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ
بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ
لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم
مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

[٧٨] ﴿ ولقدْ أرْسَلْنا رُسُلاً من قَبْلِكَ منهُم مَنْ قَصَصْنا عليكَ ﴾ لتقف على ما وفينا لهم من وعد النصر إياهم في الدنيا ﴿ ومنهُم من لمْ نَقْصُصْ عليكَ ﴾ [قال ابن كثير: وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف] ﴿ وما كانَ لِرَسُولٍ أنْ يأتيَ بآيةٍ إلاَّ بإذنِ الله ﴾ وهذا ردٌّ لمقترحهم وتعنُّتهم ، في طلب ما قصَّ عنهم من آية : ﴿ وقالوا لَنْ نُؤْمِنَ لكَ حتَّى تَفْجُر لنا من الأرض يَنْبُوعاً ﴾ الآية ، بأن الإتيان بذلك مردُّه مشيئة الله تعالى وإرادته به ، وقد شاء أن تكون الآية العظمى تنزيله الأكبر من كل آية والأعظم من كل خارقة ، فهو خير الآيات وأحسنها وأقوم المعجزات وأمتنها ﴿ فإذا جاءَ أمْرُ اللَّهِ ﴾ عند عدم الإيمان بالآية المقترحة بعد إتيانها ﴿ قُضِيَ بالحَقِّ ﴾ من المؤاخذة بعد تقرير الحجة المقترحة لهم ﴿ وخَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلُونَ ﴾ في دعواهم الشريك ، وافترائهم الكذب .

[٧٩] ﴿ اللَّهُ ﴾ الذي لا تصلح الألوهية إلا له ﴿ الذي جعلَ لكُمُ الأنْعامَ ﴾ مُسخَّرة ﴿ لتركَبُوا منها ومنها تأكُلُونَ ﴾ [قال ابن جرير: ومعناه: لتركبوا منها بعضاً ومنها بعضاً تأكلون، فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حُذِف] .

[٨٠] ﴿ ولكُم فيها منافِعُ ﴾ من الجلود والأوبار والأصواف ﴿ ولتبلُغوا عليها حاجَةً في صدورِكُم ﴾ بالمسافرة عليها ﴿ وعليها وعلى الفُلْكِ ﴾ في طريق البحر ﴿ تُحمَلُونَ ﴾ .

[٨١] ﴿ ويُرِيكُم آياتِهِ ﴾ يريكم دلائله الدالة على فرط رحمته وكمال قدرته ﴿ فأيَّ آياتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾ [فأي حجج الله التي يريكم أيها الناس في السماء والأرض تنكرون صحتها ، فتكذبون من أجل فسادها بتوحيد الله ، وتدعون من دونه إلهاً ـ ابن جرير] .

[٨٢] ﴿ أفَلَمْ يَسيرُوا في الأرضِ فينْظُرُوا كيفَ كانَ عاقِبَةُ الذينَ من قَبْلِهِم ، كانُوا أكثرَ منهُم وأشدَّ قوَّةً وآثاراً في الأرضِ ﴾ من الحصون والقصور والمباني والعَدد والعُدد ﴿ فما أغنى عنهُم ما كانوا يكسِبُونَ ﴾ مما لا يدفع به العذاب الأرضيّ ولا السماويّ .

[٨٣] ﴿ فلمَّا جاءتْهُم رسُلُهُم بالبيِّناتِ فرِحُوا بما عندَهُم من العِلْمِ ﴾ الخالي عن نور الهداية والوحي ، ورضوا بها عن قبول هداية الرسل ومعارفهم ، واستهزؤوا برسلهم لاستصغارهم بما جاؤوا به ، في جنب ما عندهم من العلم الوهميِّ [عن مجاهد قال: قولهم نحن أعلم منهم، لن نعذب، ولن نبعث ـ ابن جرير] ﴿ وحاقَ بِهِم ﴾ من عذاب الله تعالى ﴿ ما كانوا بِهِ يستهْزِئُونَ ﴾ جزاءَه .

[٨٤] ﴿ فلمَّا رأَوْا بأسَنا ﴾ [قال ابن جرير عن السدِّيّ : النقمات التي نزلت بهم] ﴿ قالوا آمَنَّا باللَّهِ وحدَهُ وكفَرْنا بما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ .

[٨٥] ﴿ فلَمْ يَكُ ينفَعُهُم إيمانُهُم لمَّا رأَوْا بأسَنا سُنَّةَ اللَّهِ التي قَدْ خلَتْ في عِبادِهِ ﴾ التي مضت في خلْقه ، أن لا يقبل توبةً ولا إيماناً في تلك الحال [جاء في الحديث : (إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ـ ابن كثير] ﴿ وخسِرَ هنالِكَ الكافِرُونَ ﴾ وهلك ، عند مجيء بأسه تعالى ، الكافرون بربهم الجاحدون توحيد خالقهم ، ففاتتهم سعادة الأبد ، والعيش الرغد .